

# التبصرة

للإمام أبي الفتح عبد الرحمن بن محمد بن

(٥١٠ - ٥٩٧ هـ)

مختص

الدكتور مصطفى عبد الواحد

[ ينشر لأول مرة على نسخ مكنية طالت ]

المجلد الثاني

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان







# التبصرة

للإمام أبي الفتح عبد الرحمن بن الخواري

(٥١٠ - ٥٩٧ هـ)

تحتقيق

الدكتور مصطفى عبد الواحد

[ ينشر لأول مرة على نسخ مکتبة طلعت ]

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى  
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

الطبعة الثانية  
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

دَارُ الْكِتَابِ الْعِلْمِيَّةِ بَيْرُوت - لُبْنَان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تكس: Le 41245 Nasher

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨ - ٨٦٨٠٥١ - ٨٥٥٧٣

فاكس: ٤٧٨١٣٧٣ / ٠٠/١٢١٢

# الطَبَقَةُ الثَّانِيَّةُ

فيها مجالس تشتمل على فضائل أيام السنة ولياليها المذكورات

---

فِيهَا إِحْدَ عَشَرَ مَجْلَسًا





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المجلس الأول

### في ذكر عاشوراء والمحرم

الحمد لله الذي طهر بتأديبه من أهل تقريبه نفوساً ، وسقى أرباب مصافاته من شراب مناجاته كؤوساً ، ودفع كيد الشيطان عن قلوب أهل الإيمان فأصبح عنها محبوباً ، وصرف عن أهل وداده بلطقه وإسماده أذى وبؤساً ، وأذلّ بقره من شاء من خلقه أعناقاً وروءوساً ، وأعاد ذكر الأصنام بمنّ التوحيد والإسلام مظلوماً ، وجعل عدد السنين بحريان الشمس والقمر للحاسبين محروساً ، وكرّم عشر المحرم وكلم في عاشوراء منه نبيه موسى .

أحمده على نعم لا تحصى عدداً وما أفيض بالحمد حقاً ، وأشكره ولم يزل للشكر مستحقاً ، وأشهد أنه المالك للرقاب كلها رقاً ، كوّن الأشياء وأحكمها خلقاً ، وفتق السماء والأرض وكانت رتقا ، وقسم العباد فأسعد وأشقى « هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا <sup>(١)</sup> » .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف المخلوق خلقاً وخلقا ، صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي حاز كل الفضائل سبقا ويكفيه : « وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَقَى » وعلى عمر العادل فأيما خلقا ، وعلى عثمان الذي استسلم للشهادة فما يتوق ، وعلى عليّ بائع ما يفتى ومشتري ما يبتى ، وعلى عمه العباس صنيو أبيه حقاً .

\*\*\*

اعلموا رحمكم الله إخواني أن شهر الحَرَم شهر شريف القَدْر ، وإِنما سُمِّي الحَرَم لأن القتال كان يحرم فيه . وقد روى عن جماعة من المفسرين في قوله تعالى : « وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْر » أنها العشر الأوائل من الحَرَم وقال قتادة : أراد بالفجر فجر أول يوم من الحَرَم . أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار ، حدثنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، أنبأنا علي بن أحمد بن محمد بن كيسان ، أنبأنا يوسف بن يعقوب القاضي ، حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا أبو عَوانة عن عبد الملك بن عُمر ، عن محمد بن المُنَشِّر <sup>(١)</sup> عن حُجَيْد ابن عبد الرحمن الحِميري ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أفضلُ الصوم بعد رمضان شهر الله الذي تدعونه الحَرَم » <sup>(٢)</sup> .

أخبرنا ابن الحُصَيْن ، أنبأنا ابن الذَّهَب ، أنبأنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبيد الله ابن أحمد ، حدثني خيمته ، حدثني أبو معاوية ، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان ابن سعيد ، عن علي قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله أخبرني بشهر أصومه بعد رمضان فقال : « إِنْ كُنْتَ صَائِمًا شهرًا بعدَ رمضان فَعَم الحَرَم فإنه شهر الله ، وفيه يومٌ تَاب فيه على قوم ويُتَاب فيه على آخرين » .

وقد روى ابن شاهين من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام يومًا من الحَرَم فله ثلاثون يومًا » .

ومن حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة تسع مائة سنة » . ورويت أحاديث من هذا الجنس لا تُنَبِّئ فلهذا تركناها .

ويستحب صيام التاسع والعاشر ، أمَّا التاسع فذهب ابن عباس أنه هو عاشوراء قال

(١) في المتن ٦١٦/٢ : منتصر بن الأجدع روى عنه ولده محمد .  
(٢) روى نحوه مسلم في صحيحه كتاب الصيام حديث رقم ٢٠٢ ، ٢٠٣ . وأخرجه أيضا أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي وأحمد .

الأزهرى : كأنه تأوّل فيه عَشْرَ الوَرْدِ والعرب تقول : وردت الإبلُ عَشْرًا إذا وردت يومَ التاسع .

وأما يوم عاشوراء في الصحيحين من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فرأى اليهود يصومونه ويقولون : هذا يومٌ عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكرًا فنحن نصومه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فنحن أحقُّ وأولى بموسى منكم » فصامه وأمر بصيامه <sup>(١)</sup> .

وفيهما من حديث سلمة بن الأكوع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلين أسلم أن أذن في الناس : من كان أكل فليصم : يعني بقية يومه . ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء <sup>(٢)</sup> .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار ، أنبأنا الحسن بن علي أنبأنا أبو الحسين علي بن محمد ابن كيسان ، أنبأنا يوسف بن يعقوب ، حدثنا إبراهيم بن بشار ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا عبيد الله ابن أبي يزيد ، قال سمعت ابن عباس سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال : « ما رأيت النبي <sup>(٣)</sup> صلى الله عليه وسلم صام يوما يتحرى فضله على الأيام إلا هذا اليوم . يعني يوم عاشوراء . وهذا الشهر ، يعني شهر رمضان <sup>(٤)</sup> » .

قال يوسف : وحدثنا عبد الواحد بن غياث ، حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة ، عن غيلان بن جرير ، عن عبد الله بن معبد الزماني ، عن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله عليه وسلم قال : « صوم عاشوراء يكفر العام الذي قبله » .  
انفرد بإخراجه مسلم .

(١) صحيح البخارى ٢٧٩/١ ( ط الأمانة سنة ١٢٨٠ هـ ) كتاب الصوم ( باب صوم يوم عاشوراء )

وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٢٧ - ١٣٠ .

(٢) صحيح البخارى ٢٨٠/١ ، وصحيح مسلم ١٥١/٣ ط استنبول ( كتاب الصوم )

(٣) ت : ما رأيت رسول الله . (٤) صحيح مسلم ١٥٠/٣ ط استنبول ( كتاب الصوم )

وقد روى في فضائل عاشوراء أحاديث موضوعة فلا فائدة في ذكرها ، مثل : من اغتسل ومن أكتحل ومن صامَّح . وكله ليس بشيء .  
وقال معاوية بن قُرَّة : صام نوح ومن معه في السفينة<sup>(١)</sup> قال ابن شاهين : ومن بلغنا أنه كان يصوم يوم عاشوراء على بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعلى بن الحصين وسعيد بن جبَّير وطاوس . وفي الجملة هو يوم عظيم فينبغي أن يُفعل فيه ما يمكن من الخير . [ فهو وأمثاله مواسم الخيرات فاغتسلوها واحذروا الفلوات<sup>(٢)</sup> ] .

### ﴿ الكلام على البسمة ﴾

خُلِقْنَا لأحداث الليالي فرائسًا      تَرَفَّ إلى الأجداث منا عرائسًا  
تَجَهَّزْنَا للقبور عساكرًا      وَتُرْدِفُ أَعْوَادَ المنايا فوارسًا  
إذا أَمَلْنا أَرْخَى لنا من عَنَانِهِ      عَدَا أَجَلَ عَمَّا نَحْوِلُ حَابِسًا  
أَرَى النَّصْنَ لما اجْتَثَّ وهو بِمَانِهِ      رَطْبِيًّا وما أَصْبَحَ الْفَضْنَ يَابِسًا  
نَشِيدُ قُصُورًا لِلْخُلُودِ سَفَاهَةً      وَنَصِيرُ مَا شَتْنَا قُتُورًا دَوَّارِسًا  
وَقَدْ نَمَتْ الدُّنْيَا إِلَيْنَا نَفُوسَنَا      بَيْنَ مَاتَ مَنْ لَوْ أَصَابَتْ أَكَابِسًا  
لَقَدْ ضَرَبَتْ كَسْرَى لِلْمُلُوكِ وَتُبَعًا      وَقَيْصَرٍ أُمَثَالًا قَلَمَ نَرَقَّاسًا  
نَرَى مَا نَزَى مِنْهَا جِهَارًا وَقَدْ غَدَا      هَوَاهَا عَلَى نُورِ الْبَصِيرَةِ طَامِسًا  
وَقَدْ فَضَحَ الدُّنْيَا لَنَا الْمَوْتُ وَاعْظَا      وَهَيْبَاتُ مَا نَزَادَ الْإِنْتِقَاعَسَا

غيره :

أَبْدَأْ نَهْمُنَا الْخَطُوبَ كُرُورَهَا      وَنَمُودُ فِي عَمَةٍ كُنْ لَا يَهْمُ  
تَلَقَّى مَسَامَعَنَا الْعِظَاتُ كَأَنَّمَا      فِي الظِّلِّ يَرْقُمُ وَعِظُهُ مِنْ يَرْقُمُ  
وَصَحَائِفُ الْأَيَّامِ نَحْنُ سَطُورَهَا      يقرأ الأخير وَيَدْرَجُ الْمُتَقَدِّمُ

(١) ذكره في الآتي المصنوعة ١١٦/٢ ، وهو غريب .  
(٢) من : ت .

لَتَحْدُ عَلَى لَحْدٍ مُّهَالٍ ضَرْبِهِ      وَبِأَعْظَمِ رِمَمٍ عَلَيْهَا أَعْظَمُ  
مَنْ ذَا تَوَقَّاهُ النَّوْنُ وَقَبْلُنَا      عَادَ أَطَاحَهُمُ الْحِمَامُ وَجُرْهُمُ  
وَالْتَّبَعَانِ تَلَاخَقًا وَنَحَرَّتْ      وَلِلنَّذِرَانِ وَمَالِكٍ وَمَتَمُّ

\*\*\*

كَأَنَّكَ بِمَا يُزْعَجُ وَيَرْوَعُ ، وَقَدْ قَلَعَ الْأَصُولَ وَقَطَعَ الْفُرُوعَ ، يَأْتَانَا إِلَى كَمْ هَذَا الْمَجْجُوعُ ،  
إِلَى مَتَى بِالْهَوَى هَذَا الْوَلُوعُ ، أَنْ يَنْفُكَ وَقْتُ لَمُوتِ الدَّمُوعِ ، كَمْ لَكَ إِلَى التَّقَى عِنْدَ النَّزْعِ  
نُزُوعُ ، هِيَئَاتِ لَا يَنْفَعُ الْقَلَّ إِذَا وَالْخُضُوعُ ، يَقُولُ فَرَّقُوا الْمَالَ فَالْحَبْ لِحُجُودِ الْمُنُوعِ ، هَذَا  
وَمَلِكُ الْمَوْتِ بَسَلُهَا مِنْ بَيْنِ الضُّلُوعِ ، رَشَقَتْ سَهْمُ النَّوْنِ فَمَا أَغْنَتْ الدَّرُوعُ ، وَأَتَى  
حَاصِدُ الزَّرْعِ وَأَيْنَ الزَّرُوعِ ، وَخَلَّتْ مِنْكَ الْمَسَاكِنُ وَفَرَّغَتْ الرُّبُوعُ ، وَنَابَ غَرَابُ  
الْبَيْنِ عَنِ الْوَرَقَاءِ الشُّجُوعِ ، وَتَمَنَيْتُ أَنْ لَوْ زِدْتُ مِنْ سَجُودِ وَرُكُوعِ ، فَاحْذَرِ مَكْرَ الْعَدُوِّ  
وَلَا تَقْبَلِ قَوْلَ الْخَدُّوعِ .

ضَيِّعَتْ وَقْتُكَ ، فَانْقَضَى فِي غَفْلَةٍ      وَطُوبَتْ فِي طَلَبِ الْخَوَادِعِ أَذْهَرَا  
أَفْهِمْتُ عَنْ هَذَا الْإِمَانِ جَوَابَهُ      فَلَقَدْ أَبَانَ لَكَ الْعِظَاتِ وَكَرَّرَا  
عَابَتَ مَا مَلَأَ الصَّدُورَ خَفَافَةً      وَكَفَلَكَ مَا عَابَتَهُ مِنْ أَخْبَرَا

\*\*\*

يَا عَجِبَا كَيْفَ أُنْسَ بِالدُّنْيَا مَقَارِقُهَا ، وَأَمِنَ النَّارَ وَارْدُهَا ، كَيْفَ يَنْفُلُ مِنْ لَا يُنْفَلُ عَنْهُ ،  
كَيْفَ يَفْرَحُ بِالدُّنْيَا مِنْ يَوْمِهِ يَهْدِمُ شَهْرَهُ ، وَشَهْرُهُ يَهْدِمُ سَنَتَهُ وَسَنَتُهُ تَهْدِمُ عُمْرَهُ ، كَيْفَ  
يَلْهُو مَنْ يَقُودُهُ عُمْرُهُ إِلَى أَجَلِهِ وَحَيَاتِهِ إِلَى مَوْتِهِ .

إِخْوَانِي : الدُّنْيَا فِي إِذْ بَارِ ، وَأَهْلِهَا مِنْهَا فِي اسْتِكْثَارِ ، وَالزَّرَاعُ فِيهَا غَيْرُ التَّقَى لَا يَجْصَدُ  
إِلَّا النَّدَمُ .

قال لقمان لابنه : يا بني لكل إنسان بيتان : بيتٌ شاهدويت غائب ، فلا يُلهيكَ  
بيتُك الحاضر الذي فيه عُمرُكَ قليل عن بيتك الغائب الذي عُمرُكَ فيه طويل .  
إخواني : أنفاس الحَيِّ خُطاه إلى أَجله وربما أورد الطمعُ ولم يُصدِر . يا من يَفنى  
ببقائه وَيَسْتَقِم بِسلامته وَيُؤْتَى من مَأمنه نِيَقَط ، الجدُّ الجد قبل بَنَات النايَا ومجاورة أهل  
البلى ، لِيَحُلَّن بِكم من الموت يوم ذو ظلم ينسيكم معاشرَةَ اللذات والنَّعم ، ولا يبقَى في  
الأفواه إلا طعم الندم .

\*\*\*

سَلِّ بِالزَّمانِ خَبِيرًا      إِنَّهُ بِهِ تَعْلِمُ  
دَاعِيَ الْإِمامَةِ ظالِمًا      بِالرَّءِ وَهُوَ مُقِيمُ  
ووراءَ ضيقِ حَياته      نَفْسٌ وَليسَ يَدُومُ  
يَاسادِرًا في غِيه      حَتَّامُ أُنْتِ مُلِيمُ  
لَا تُخَدِّعَنَّ بِمُنِيَّةٍ      أُمُّ الْخُلُودِ عَقِيمُ  
حَتَّامٌ يَمُخِّذُكَ الشَّدِيدُ      بِكَفِّهِ وَتَهْمُ  
وَإِذا المُنِيَّةُ أُبْرِقَتْ      فَرَجَاؤُكَ الْمَهْزُومُ  
عُشِّي الْبَقَاءَ وَلِما      طُولُ الْحَيَاةِ هُمُومُ

أين الذين ملكوا الدنيا ونالوا ، زالوا سبقوك يا هذا إلى ما إليه آلوا ، أين للغرورون  
بالآلِ آلُوا إلى الشَّتات ، أين المسرورون بالمال مالوا إلى الكِفَاف ، غَلِقَ رَهْنُ أَعْمالهم  
وما عَلِقُوا إلا بالوبال ، وصارت آصارهم في مصيرهم كالجلبال ، فندموا إذ لا ندم ينفع ،  
وندبوا على المصاب ولكن بدل المصارع ، وتجرَّعوا كؤوس البأس من كل مَطْع ، وضربوا  
بسيوفٍ من الحشرات إذ تَهَزَّزَ تَقَطَّع .

ظَلَّ من الدنيا قَلَصَ زائلاً      وَمُنَى مُيْذاقٍ على جَنَاحها المَلَقَمُ  
ما هذه الآمال إلا رَقْدَةٌ      فيها بأضنك الأمانى تَحَلُّمُ

والكل في رِقِّ الفناء وإنما      للناتبات مُرَّض من يَهْرُمُ  
أبدًا تَقَهْمنا الخطوبُ كرورها      ونمود في عَمِه كَن لا يَهْمُ  
تَلَقَى مامِنا العِظات كَأَمَّا      في الظل يَرَقم وعظه من يَرَقمُ  
وصحائف الأيام نحن سُطورها      بقرا<sup>(١)</sup> الأخير وَيَدْرَج المتقدمُ  
لحدِّ على لحدِّ يَهال ضَرْحُه      مع<sup>(٢)</sup> أعظم رَمَ عليها أعظم  
من ذا نوقاه البنون وقبلنا      عاد أطاحهم الحِمَام وجُرْمُ  
والثبَّان تلاحقا ومحرق      والنذران ومالك ومُتَمِّمُ  
ومَلَك مُنعت بها أربابها      فنجبروا نَقَّة بها ونمظَّموا  
سلبوا ثياب الخُرْوانة<sup>(٣)</sup> عَنوة      فهووا وشامِخُ عِزِّهم مَهْدُمُ

### الكلام على قوله تعالى

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ<sup>(٤)</sup>﴾

روى البخارى ومسلم في صحيحهما من حديث أبى بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم النحر بمكة: «دماؤكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألکم عن أَعْمَالِكُمْ، ألا فلا ترجعوا بدى ضلَّالاً يضرب بعضكم رقاب بعض<sup>(٥)</sup>» .

أخبرنا هبة الله بن الحصين، أنبأنا الحسين بن عليّ ابن المذهب، أنبأنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبى، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن شقيق، قال قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول ما يُقَصَّى بين الناس يوم القيامة في الدماء» .

(١) ت: ينى . (٢) ت: أو أعظم . (٣) الخروانة: الكبير . (٤) سورة الإسراء: ٣٣  
(٥) صحيح البخارى ٢٤٤/١ (كتاب الحج) ، وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٣١١ ، ٣٢٩

قال أحمد : وحدثنا أبو النضر ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يُصِيبْ دماً حراماً »

انفرد بإخراج هذا الحديث البخاري<sup>(١)</sup> واتفقا على الذي قبله<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا علي بن عبيد الله ، أخبرنا أبو الحسين ابن النُّفُور ، أخبرنا أبو حفص للسكناني ، حدثنا البغوي ، حدثنا محمد بن عباد المكي ، حدثنا حاتم يعني ابن إسماعيل ، عن يَشِير يعني ابن المهاجر ، عن ابن يَزِيدَ عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَتَلَ الْمُؤْمِنُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا » .

\*\*\*

واعلم أن الله عز وجل اختار هذا اليوم لاستشهاد الحسين .

أخبرنا ابن الحصين ، أخبرنا ابن المذَّهَب ، أخبرنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله ابن أحمد ، جدني أبي ، حدثنا أبو النُّضَر ، حدثنا مهدي ، عن محمد بن أبي يعقوب ، عن ابن أبي نم ، قال جاء رجل إلى ابن عمر وأنا جالس عنده فسأله عن دم البعوض فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق . قال : انظروا إلى هذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هما رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا » .

انفرد بإخراجه البخاري<sup>(٣)</sup> .

أخبرنا الكُروخي ، أنبأنا أبو عامر الأزدي . وأبو بكر المُرَّجِي ، أنبأنا الجرائحي ، حدثنا المحبوبي ، حدثنا الترمذي ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو داود

(١) صحيح البخاري ٢٤٦/٣ (كتاب الديات) .

(٢) صحيح البخاري ٢٤٦/٣ (كتاب الديات) وصحيح مسلم كتاب القسامة حديث ٢٨ .

(٣) صحيح البخاري ١٦٩/٢ (كتاب المناقب) .



الحفري ، عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن أبي نهم ، عن أبي سعيد الخدري ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهل الجنة » . قال الترمذی : هذا حديث صحيح<sup>(١)</sup> .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، أنبأنا الجوهري ، حدثنا ابن معروف ، حدثنا ابن صاعد ، حدثنا يوسف بن موسى القطان ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن عاصم بن بهلثة ، عن أبي ذرٍّ ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذان ابناي فمن أحبهما فقد أحبني » يعني الحسن والحسين عليهما السلام .

أخبرنا علي بن عبد الله ، أخبرنا علي بن أحمد بن البشري ، أخبرنا عبيد الله بن محمد ابن ريطة إذنا ، قال : حدثني أبو صالح محمد بن أحمد ، حدثنا محمد بن عبيد الله البصري ، حدثنا عبيد الله بن محمد العبسي ، حدثنا أبان بن أبي عيَّاش ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، قالت : كان جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم وحين معي فبكي فركته فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذته فبكي فأرسلته فذهب إليه فقال له جبريل : أتعبه يا محمد فقال : نعم . فقال : إن أمتك ستنتله فإن شئت أريتك تربة أرضه التي يُقتل بها . فبسط جناحه إلى الأرض التي يُقتل بها يقال لها كربلاء وأخذ بجناحه فأراه إياه . قال حماد : فأخبرني أبان أو غيره أن الحسين لما نزل كربلاء شمَّ الأرض وسألهم عن اسمها قالوا : كربلاء فقال : كرب وبلاء قتل بها<sup>(٢)</sup> .

وروى عبد الله بن نجيم ، عن أبيه أنصار مع علي عليه السلام وكان صاحب مظهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين نادى علي : اصبر أبا عبد الله ، اصبر أبا عبد الله بشط الفرات . قلت : وما ذاك ؟ قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم

(١) صحيح البخاري ٣٠٦/٢ (كتاب المناقب . باب مناقب الحسن والحسين) .

(٢) مجمع الزوائد ١٨٩/٩

وعيناه تفيضان قلت : يابى الله أغضبك أحدٌ ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال : قام من عندى جبريل قبلُ فحدَّثنى أن الحسين يُقتل بشط الفرات وقال لى : هل لك أن أشتك من تربته قلت : نعم فد يده قبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضا <sup>(١)</sup> .

وروى عمار بن أبى عمار عن ابن عباس قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيها شيئا ، قلت : يا رسول الله ما هذا ؟ قال : دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم . قال عمار : حفظنا ذلك اليوم فوجدناه قُتل ذلك اليوم <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

إنما رحل الحسينُ إلى القوم لأنه رأى الشريعة قد رُمِفت ، فجذَّ فى رفع قواعد أصلها الجَدَّ [ صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> ] ، فلما حضروه وحَصَّروه فقال : دعونى أرجع . فقالوا : لا ، انزل على حكم ابن زياد . فاختر القتل على الذلِّ ، وهكذا النفوس الأبية .

تَأبَى الدِّينُ لى نَفْسٍ نَفَسَهَا تَسَى لغير الرِّضَا بالرَّئِىِّ وَالْفَسَحِ  
فَلَا كِتَابَ الْمَلَأَ حِلِّىَّ وَمُرْتَحِلِىَّ وَفِى حَيْىِ الْمَجْدِ مُصْطَفَايِى وَمُرْتَبِىِ  
لِى هِمَّةٌ مَا أَظُنُّ اللَّحْظَ يُدْرِكُهَا إِلَّا وَقَدْ جَاوَزْتُ فِى كُلِّ مُتَمَتِّعٍ  
لِاصْحَابَتِنِى نَفْسٌ إِنْ هَمَّتْ بِأَنْ أُرْمَى بِهَا لَهَوَاتِ الْمَوْتِ لَمْ تُطْع <sup>(٤)</sup>

ولقد تبع طريق الحسين عبدُ الله بن الزَّبير ، فإن الحجاج عرض عليه الأمان قال : والله لأضرب بسيف فى عِزِّ أحبِّ لى من حياة فى ذلِّ ! وكان يحاربهم وينشد :

اصبر عصام إنه شيراقى <sup>(٥)</sup> قد سنَّ أصحابك ضَرْبَ الأعناقِ  
وقامت الحربُ بنا على ساقِ

(١) مجمع الزوائد ١٨٧/٩ (٢) مجمع الزوائد ١٩٠/٩ (٣) من : ت  
(٤) الأبيات لبس الواحد بن نصر البغدادى ، وقد أورد بعضها ابن الجوزى فى ذم العوى ص ٢٤٣ .  
(٥) التبراق : من كل شيء شدة .

قيل له قد خلق فلان وفلان بالحجاج . فأنشد :

فَرَّتْ سَلَامَانُ وَفَرَّتِ النَّيْمُ      قَدْ تَتَلَقَى مَعَهُمْ فَلَا خَيْرَ

وَكَانُوا يَرْمُونَ بِالْحِجَارَةِ      فَيَقَالُ لَهُ مَا تَأْمَنُ أَنْ يَصِيبَكَ حَجَرٌ ؟ فَيَقُولُ :

هُوَ عَلَىكَ فَإِنْ الْأُمُورَ      بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقْلَدُ يَرْهَا

فَلَيْسَ بِأَتَيْكَ مَتَّبِعُهَا      وَلَا قَامِرٌ عَنْكَ مَأْمُورُهَا

ولبس درعاً وجاء بودّع أتمه أسماء هالت : ما هذا الدرع ؟ قال : والله ما لبسته

إِلَّا لَأَوْقَى نُسْكَ !

فَإِنِّي لَيُخَيِّنُنِي عَنِ السِّيفِ عَزَمَتِي      فَهَلْ فِيهِ مَا يَنْبِيهِ عَنْ كَفِّ ضَرْبِ

إِذَا عَرَضَ الدُّنْيَا أَلَانَ صَلَابِهَا      تَحَمَّضْتُ بِأَفْنَى عَنْهُ وَازُورٌ جَانِبِي

فَلَا تَنْتَسِبُ إِلَّا إِلَى بُدْهِمَةٍ      وَلَا تَكْتَسِبُ إِلَّا بِحُرِّ الْقَانِبِ

فَإِنْ دَرَيْتَ السَّجَايَا إِذَا هَوَى      بِهَا لِلرَّهْلِ لَمْ يَنْفَعْ عِزٌّ لِلنَّاصِبِ

لله در هذه الأنفس فما أعزها وهذه الهمم فما أرفها !

ولما رأوا بعضَ الحياةِ مَذَلَّةَ      عليهم وعِزَّ اللُّوتِ غَيْرَ مُحَرَّمِ

أَبَوْا أَنْ يَذُوقُوا الْمِيشَ وَالْقَمَّ      عَلَيْهِ وَمَاتُوا مِيتَةً لَمْ تُدْمَرْ

وَلَا عَجَبٌ لِلْأَسَدِ إِنْ ظَفَرَتْ بِهَا      كَلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحِ وَأَعْجَمِ

فَحَرْبَةٌ وَخَشْيٌ سَتَتْ حَزَنَةُ الرَّدَى      وَخَتَفَ عَلَى فِي حُكْمِ ابْنِ مُلْجَمِ

\*\*\*

أخبرنا علي بن عبيد الله ، أخبرنا علي بن أحمد السري ، أن أبا عبد الله بن عتبة ،

حدثنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي ، حدثنا هلال بن بشر ، حدثنا عبد الله

ابن موسى عن هلال بن ذَكْوَانَ ، قال لما قتل الحسين مُطِرْنَا مطراً بقي أثره في ثيابنا مثل الدم .

قلت : لما كان النضبان يحمرُّ وجهه فيتبين بالحمرة تأثير غضبه ، والحق سبحانه ليس بجسم ، أظهر تأثير غضبه بحمرة الأفق حين قتل الحسين .  
وبالإسناد قال ابن بطة : وحدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن هشام ، عن محمد بن سيرين ، قال : لم تر هذه الحمرة في السماء حتى قُتل الحسين .

قال ابن بطة : وحدثنا أبو ذر الباغندي ، حدثنا حماد بن الحسين الوراق ، قال سمعت علي بن أخى شبيب بن حرب يقول : ناحت الجنُّ على الحسين ابن علي قتالت جنية : جاءت<sup>(١)</sup> نسله الحى يبيكن شجياتٍ وباطمن خدوداً كاللذنانير ثباتٍ ولبَّسن ثياب السود بعد القصصيات

ورويها في حديث أنه حفظ من قول الجن :

مَسَحَ النَّبِيُّ جَبِينَهُ      فَلَهُ بَرِيقٌ فِي الْخُلُودِ  
أَبَوَاهُ مِنْ عَلِيٍّ قَرِيشٍ      وَجَدَهُ خَيْرُ الْجُلُودِ<sup>(٢)</sup>  
وقال جنى آخر<sup>(٣)</sup> .

أَبْكَى قَتِيلًا بِكَرْبَلَاءَ      مَضْرُجٍ الْجَسْمُ بِالدَّمَاءِ  
أَبْكَى قَتِيلًا بِكَ عَلَيْهِ      حُزْنًا بَنُو الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ  
أَبْكَى قَتِيلَ الطَّمَاةِ ظُلْمًا      بَنِيرَ جُرْمٍ سِوَى الْوَفَاءِ  
هَتَكَ أَهْلُوهُ فَاسْتَحَلُّوا      مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي الْإِمَاءِ

(١) ب ، ج : جن . (٢) أورد الميثمي هذا الخبر في مجمع الزوائد ٩٩٩/٨ وقال : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه وأبو جثاب مدلس . (٣) ب ، ج : قالت .

يَا بَإَيِّ جِسْمِهِ لَنَعْرِى إِلَّا مِنْ الدِّينِ وَالْحَيَاةِ  
 كُلِّ الرِّزَايَا لَهَا عَزَاءٌ وَمَالِذَا الرُّزْءُ مِنْ عَزَاءِ  
 وروينا أن صخرة وجدت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث مائة سنة وعليها  
 مكتوب باليونانية:

أَيْرَجُو مَمَشْرَ قَتَلُوا حِينَا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ  
 وَيَحْ قَاتِلِ الْحُسَيْنِ أَكَيْفَ حَالَهُ مَعَ أَبَوَيْهِ وَجَدَهُ !  
 لَا بَدَّ أَنْ تَرَدَّ الْقِيَامَةُ فَاطِمَةُ وَقِيصَهَا بِدَمِ الْحُسَيْنِ مَلْعُطُ  
 وَيْلٌ لِمَنْ شَفَعَاؤُهُ خَصَمَاؤُهُ وَالْصُّورُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُنْفَخُ  
 إِخْوَانِي : يَا اللَّهَ عَلَيْكُمْ مِنْ قُبْحٍ عَلَى يُوسُفَ بَايَ وَجْهِ يَلْقَى بِمَقُوبِ !  
 لَمَّا أُسِرَ الْعَبَّاسُ يَوْمَ بَدْرٍ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَيْنَهُ فَا نَامَ ، فَكَيْفَ لَوْ سَمِعَ  
 أَنَيْنَ الْحُسَيْنِ ؟

لَمَّا أَسْلَمَ وَحَشَى قَالَ لَهُ : نَتَيْبُ وَجْهَكَ عَنِّي . هَذَا وَاللَّهِ وَالسَّلَامُ لَا يُؤَاخَذُ بِمَا كَانَ فِي  
 الْكُفْرِ ، فَكَيْفَ يَقْدِرُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَصِّرَ مَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنِ ؟

\*\*\*

قوله تعالى : « وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا قَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيِّهِ سُلْطَانًا »  
 لقد جمعوا في ظلم الحسين ما لم يجمعه أحد ، ومنموه أن يرد الملاء فيمن ورد ، وأن  
 يرحل عنهم إلى بلد ، وسبوا أهله وقتلوا الولد ، وما هذا حَدٌّ<sup>(١)</sup> دَفْعٌ عَنْ الْوَلَايَةِ هَذَا  
 سُوءٌ مُتَقَدِّدٌ .

نِعِ الْمَلَأَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ جَدِّهِ فَمَا سَقَوْهُ مِنْهُ قَطْرَةً !  
 كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُبِّ الْحُسَيْنِ بِقَبْلِ شَفِيعِهِ وَيَحْمِلُهُ كَثِيرًا عَلَى

(١) ب ، ج : جد دفع .

عائقيه<sup>(١)</sup> ، ولا مشى طفلاً بين يدي النذر نزل إليه ، فلورآه مُلتقى على أحد جانبيه  
والسيوف تأخذه والأعداء حواليه والخليل قد وطئت صدره ومشت على يديه ودمأوه  
تجرى بعد دموع عينيه لضجّ الرسول صلى الله عليه وسلم مستغيثاً من ذلك ولعزّ عليه .

كربلاء زلت كرباً وبلاء ما لي عندك أهل المصطفى  
كم على تزيتك لنا صرعوا من دم سال ومن دمع جرى  
يا رسول الله لو عايتهم وهم ما بين قتل وسباً  
من رميم<sup>(٢)</sup> بمنع الظل ومن عايش يسقى أنايب القنا  
نأت عينك فيهم منظرنا للعنا شجوا وللعين قدأى  
ليس هذا لرسول الله يا أمة الطين والمين جزأ  
غارس لم يأل في الفرس لهم فاذاقوا أهله مرّ الجنى  
جزروا جزر الأضاحي نسله ثم ساقوا أهله سوق الإما  
هاقات يا رسول الله في بهر<sup>(٣)</sup> السعي وعثرات الخطأ  
قتلوه بعد علم منهم أنه خامس أصحاب الكسأ<sup>(٤)</sup>  
يا جبال الجدة عزاً وعلاً وبدور الأرض نورا وسناً  
جمل الله الذي نالكم سبب الوجد طويلاً والبكأ  
لا أرى حزنكم يُنسى ولا رزأكم يُسلى ولو طال لدى



سبحان من رفع للحسين جثته مكاناً ، ودمع من عاداه ضاد بعد العز مهأنا ، ما ضره

(١) ت : على كتفيه . (٢) الرميم : من أمابته الرضاء ، وهي شدة المي بالهجرة .

(٣) البهر : اختطاع النفس من الإعياء .

(٤) أي الذين غطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردته وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي . وهم الرسول  
صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين .

حين الشهادۃ من أوسعه خذلانا » ومن قُتل مظلوماً قد جعلنا لوليّه سلطاناً « هَلَكَ<sup>(١)</sup>  
أهل الرِّبْعِ والسناد وكأنهم ما ملكوا البلاد وعاد عليهم اللّٰهُ كما عاد على عاد ، أين يزيد  
أين زياد ، كأنهما ما كانا لا كانا « قد جعلنا لوليّه سلطاناً »

تمتعوا أياماً يسيرة ، ثم عادت أجنحة الملك كسيرة ، وبقيت سيرة الحسين أحسن  
سيرة ، ومن عزّت عاقبته والسيّرة<sup>(٢)</sup> فكان لم يلق هواناً « قد جعلنا لوليّه سلطاناً »  
هزّوا والله كلّ مُمَزَّق ، وفرقوا بالشتات أي مُتَفَرِّق ، وظنوا أنهم رفوا<sup>(٣)</sup> ما جنّوا  
فَتَحَرَّق ، إن ناصر المظلوم لا يتوانى « قد جعلنا لوليّه سلطاناً »

تمزّوا على [ مثل ]<sup>(٤)</sup> الحسين وطالوا ، وظنوا بقاء الملك لهم بما احتالوا ، وركل  
لهم من الدم أضعاف ما كالوا ، ومجّل قلمهم من السلطة فزالوا سلطاناً سلطاناً « قد جعلنا  
لوليّه سلطاناً » .

ويلهم لو دبروا أمرهم رضوا بطاعة الحسين قدّرم ، ملكوا أياماً ثم بقى الخزي  
دَهرهم ، اشتغلوا اليوم بتسيحك ودعوا ذكرهم أهواناً « ومن قُتل مظلوماً قد جعلنا لوليّه  
سلطاناً » . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) ب، ج : مكلفاً . عرفة . (٢) ب، ج : والسريرة . (٣) ت : وظنوا رفوا . (٤) ليست في ت

## المجلس الثاني

### في ذكر رجب .....

الحمد لله الذي خلق<sup>(١)</sup> النوى والحب ، وخلق<sup>(٢)</sup> الفاكهة والأنب ، وأبغض وكره وأحب ، وأمرض ودأوى وطب ، أنشأ الحيوان بقدرته فدب ، وبناء فأحسن تدبيره حين رب ، فاعجب لربوب يتحد الرب ، عم إنعامه فلم ينس في البحر الحوت وفي البر الضب . أحمده على تبليغنا هذا الشهر الشريف الأصب ، وأشكره على إيمان به في القلوب صب ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة اجتمع بها مراد التوحيد واستتب ، وأن محمداً عبده ورسوله المسمى الأمين صغيرا وما شب ، ثم قهر الأعداء فألبسهم الزنار والقب<sup>(٣)</sup> وأجيب عنه لكل من عابه وسب « تبت يدا أبي لهب وتب » وعلى صاحبه أبي بكر الذي خلق صافيا في الصحة ولب ، وعلى عمر الذي قع كل جبار على الكفر أكب فكب ، وعلى عثمان المناجى طويل ليلته مناجاة الصب ، وعلى علي أشجع من حامى عن الإسلام وذب ، وعلى عه العباس الذي أثنه السحاب لما ذكر اسمه وهب . اللهم بارك لنا في شهر رجب الأصم واحفظنا فيه من موجبات السخط والدم ، وحطنا حياطة ننسى بها لطف الأب والعم ، غمنا بأياديك يا خير من أعطى وعم .

\*\*\*

اعلوا إخواني أن شهركم هذا شهر محرم<sup>(٤)</sup> . وقد أخبرنا أبو علي بن محبوب ، أنبأنا طراد ابن محمد ، أنبأنا الحسين بن عمر بن برهان<sup>(٥)</sup> ، حدثني عثمان بن أحمد ، حدثنا إسحق ابن إبراهيم الحلبي ، حدثنا الحسن بن علي بن يزيد الصدائي ، [ قال ]<sup>(٦)</sup> حدثنا أبي ،

(١) ت : فخلق النوى (٢) ت : وخلق . (٣) الق : ما يسلخ في جيب القميص من الرقاق .

(٤) ٩ : شهر محرم . (٥) ٩ : ابن برهان . (٦) من ٩ .



عن هارون بن عنترة ، عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن شهر رجب شهر عظيم من صام منه يوماً جزى [الله] <sup>(١)</sup> له ألف سنة ومن صام منه يومين جزى [الله] <sup>(٢)</sup> له ألفى سنة ومن صام منه ثلاثة أيام جزى [الله] <sup>(٣)</sup> له [صوم] <sup>(٤)</sup> ثلاثة آلاف سنة ، ومن صام من رجب سبعة أيام غُفرت عنه أبواب جهنم ، ومن صام منه ثمانية أيام فحُت له أبواب الجنة الثانية فيدخل من أيها شاء ، ومن صام منه خمسة عشر يوماً بدلت سيئاته حسناتٍ ونادى مناد من السماء قد غُفر لك فاستأنف العمل » <sup>(٥)</sup> .  
وروى من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة نهراً يقال له رجب من صام يوماً من رجب سقاه الله عز وجل من ذلك النهر »

وروى من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رجب من الشهور الحرم وأيامه مكتوبة على أبواب السماء السادسة ، فإذا صام الرجل منه يوماً وجرد صومه لتقوى الله نطق الباب ونطق اليوم وقالاً : يارب اغفر له . وإذا لم يتم صومه بتقوى الله لم يستغفر له وقيل له خذ حظ نفسك » .

وقد رويت أحاديث كثيرة في فضائله من هذا الجنس غير أنها لا تثبت ولا تنصح ، فلذلك تجنبنا ذكرها .

[ وما يروى فيه من صلاة الرغائب لحديث لأصل له وإني لأغار لصلاة التراويح من صلاة الرغائب وإتماميهم بوضعها ابن جهم <sup>(٦)</sup> ] .

وقد روى عن علي ابن أبي طالب أنه قال يعجبني أن يفرغ الرجل نفسه في أربع ليال : ليلة الفطر ، وليلة الأضحي ، وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب .  
وروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطاة : إن عليك بأربع ليال ، فإن الله يُفرغ فيهن الرحمة إفرافاً . فذكر هذه الليالي الأربع .

(١) من ث (٢) من ب ، ج . (٣) ذكره في الآتي المصنوعة ١١٥/٢ وقال : لا يصح ،  
أقهرات مزوك . (٤) ليست في أ .

وقال قيس بن عباد : في اليوم العاشر من رجب يمحو الله ما شاء ويُثبت .  
وقد أغرى القصاص والمتزهدون بالتحريض على صومه <sup>(١)</sup> ، وإنما يصومه كله من  
يصوم السنة . قال حنبل سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن صيام رجب فقال : من كان  
يصوم السنة وإلا فلا يصمه متواليا يكره له ذلك ولا يشبهه برمضان .  
وقد كان عمر بن الخطاب يضرب أكف الناس في رجب حتى يضموها في الطعام ويقول :  
كلوا فإنما هو شهر كانت الجاهلية تنفطه .

ودخل أبو بكر على أهله فرأى عندهم سلالا وكيزانا فقال : ما هذا ؟ قالوا :  
رجب نصومه . قال : أجعلتم رجباً كرمضان فألقى السلال والكيزان . قال عمرو  
الزاهد : حدثنا ثعلبة ، عن سلمة ، عن الفراء ، عن الأعمى وعن ابن الأعرابي عن الفضل  
قال : كلُّ العرب تقول : رجبت فلاناً أرْجُبه رَجَباً ورَجُوباً إذا عَظَّمته . قال ثعلب :  
وإنما سُمِّيَ رجباً <sup>(٢)</sup> لتعظيمه . قال سليمان الشاذكوني : إنما سُمِّيَ الأَصَمُّ لأن العرب كانت  
لا يُغيِّر بعضها على بعض فيه ولا تحمل فيه السلاح ، وكانوا لا يسمعون قعقة السلاح فسمي  
أَصَمَّ به . وأما تسميته برجب مضر فلأنها كانت تنفطه أشد من جميع العرب فأضيف إليها .  
وقد خصه خلق كثير من المومنين بإخراج الزكاة فيه . وهذا جهل منهم فإن الزكاة إنما تجب  
في المال إذا حال الحول عليه ، ففني ملك النصاب في الحرم مثلاً وجبت الزكاة في الحرم ،  
ففي آخرها إلى صفر أتم لأنها حقوق الفقراء فُرِضَتْ لحاجتهم فلا وجه للتأخير . وقد يروى  
القصاص في رجب من الفضائل وأفضال الطاعات أشياء كثيرة لا تدرى ذكر شيء منها  
لِعَمَلنا بدمم صحته ، بل نقول : ينبغي للإنسان أن يبادر [ إلى ] <sup>(٣)</sup> فعل الخير على الدوام  
والله الموفق .

(١) : على صياحه (٢) : رجب . (٣) : من .

### ﴿ الكلام على البسملة ﴾

أَلَا يَا غَافِلًا يُحْصَى عَلَيْهِ      من العمل الصغيرة والكبيرة  
يُصَاحَ بِهِ وَيُنْذَرُ كُلَّ يَوْمٍ      وقد أُنْتُتِه غَفْلَتُهُ مَصِيرَهُ  
نَاهِبٌ لِلرَّحِيلِ قَدْ تَدَاوَى      وأُنْذَرَكَ الرَّحِيلَ أَخْجَ وَجِيرَهُ  
وَأَنْتَ رَخِيٌّ بِالْأَلِ فِي غُرُورٍ      كأن لم تَقْرَفْ فِيهَا صَفِيرَهُ  
وَكَمْ ذَنْبٍ أَتَيْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ      وعَيْنُكَ بِالْأَلِ تَأْتِي قَرِيرَهُ  
تَحْذَرُ أَنْ تَرَكَ هُنَاكَ عَيْنٌ      وَإِنَّ عَلَيْكَ لَأَمِينُ الْبَصِيرَةِ  
وَكَمْ حَاوَلْتَ مِنْ أَمْرِ عَظِيمٍ      مُنِمْتَ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَخِيرَهُ  
وَكَمْ مِنْ مَدْخَلٍ لَوْ مِتَ فِيهِ      لَكُنْتَ بِهِ نَكَالًا فِي الْمَعِيرَةِ  
وَقُبْتَ السُّوءَ وَالْكَرُوهَ فِيهِ      وَرُحْتَ بِنَسْمَةٍ فِيهِ سَتِيرَهُ  
وَكَمْ مِنْ نَعْمَةٍ لَهِ تُمْنِي      وَتَصْبِحَ لَيْسَ تَعْرِفَهَا كَثِيرَهُ

\*\*\*

يامن بين يديه الموت والحساب ، والتوبيخ الشديد والعتاب ، وعليه بأفضاله وأقواله  
كِتَاب ، وقد أذنب كثيرا غير أنه ماتاب ، وكلما عُوتِبَ خرج من باب إلى باب ،  
إلى متى هذا الجهل والإلام هذا العاب ، ما أظنك حاضرا عدوك فيمن غلب .

أَيَقْظَانُ أَنْتَ الْيَوْمَ أَمْ أَنْتَ نَائِمٌ      فكيف يطيق النوم حيران هائمٌ

أَلَسْتُ الَّتِي دُمْتُ عَلَى الْخَطَايَا وَعَصِيَتْ ، وَبَارَزْتَ بِالْقَبِيحِ وَمَا اسْتَحْيَيْتْ ، وَعَلِمْتُ  
تَحْرِمَ الذَّنْبَ ثُمَّ أَتَيْتْ ، وَعَرَفْتُ عَظِيمَ الْجَزَاءِ وَتَنَاسَيْتْ ، سَكَنْتُ [ مِنْكَ ] <sup>(١)</sup> الْخَسْ  
بَدَ الْحَرَكَةُ وَاللَّسْ ، وَسَيَذْهَبُ الْيَوْمُ كَمَا ذَهَبَ أَمْسٌ ، وَسَيُبْدَلُ النُّطْقُ بِالسُّكُوتِ

والهَمْسُ ، وستعلم نور القمر وضوء الشمس ، وسيُقلع البستان وَيُنْبِس الغرس ، وقد قَرُبَ وقت الغَمْسِ في بحر الرَّمْسِ ، وسيُنسى ذو العلم الدَّرْسُ [ بالدَّرْسِ ] <sup>(١)</sup> :

لا تَلْبِس الدهرَ على غِرّةٍ      فما لموتِ الحَيِّ من بُدّ  
ولا يخادعك طويلُ البقاءِ      فتَحَسب الطولَ من الخلدِ  
يَنفدُ ما كان له آخرُ      ما أقربَ للهدمِ اللحدُ

يامنُ يُنصح وليس منه إلا الإباء ، أين الأجداد أين الآباء ، أين الإخوان أين الأقرباء ، أدرك القومَ بعد القهر السَّاء ، فبكى لسوء مُنقلبهم الغرباء ، تالله لقد قامت بالوعظ الخطباء ، ولقد أذنتُ برحيل الجيش النُقباء ، ولكن قد عمت <sup>(٢)</sup> النفلة والغباء ، وكان قد كفت عن الدواء الأطباء ، وهل مرض القلوب إلا حُبّ الدنيا ، فعلى الدنيا العفاء :

أقلّ قليلاً بكفيك منها      ولكن لست تَقنع بالقليلِ  
ومن هذا الذي يَبقى وتَبقى      مضاربه بِمَدْرَجَةِ السيولِ

ويحك أنت في القبر محصور إلى أن ينفخ في الصور ، ثم راكب أو مجرور ، حزين أو مسرور ، مُطلق أو مأسور ، فاهذا اللهو والنور . الحازم من تزود لما به قبل أن يصير لمآبه .

إخواني إنكم تُفدون وتزُوحون في آجال قد غيّبت عنكم ، فانظروا خلاصكم قبل اقتضاء أعماركم ، الوحا الوحاً ، فالطالب حثيث ، تذكروا تلك الصَّرعَة بين الأهل وهم لا يقدرّون على ضرّ ولا نفع ، والله ما بات عاقل قط إلا على فراش حذر ، إنما هو دَيب من سُمّ ثم تؤخذون بالكظم ، فإن زلت القدم لم ينفع ندم ، لا توبة تُنال ولا عثرة تُقال ولا فداء بمال .

أَغفلُ والدهر لا يَفسل      وأنسى الذي شأنه أَعْفلُ

(١) ليت في ١ (٢) ت : قد غرت .

وَيُطْمَعْنِي أَتَى سَالِمٌ وَدَاهِ السَّالَمَةَ لِي أَقْتُلُ  
وَيَمُضِي نَهَارِي وَلَيْلِي مَعًا بِمَا غَيْرُهُ الْأَحْسَنُ الْأَجْمَلُ  
وَأَمَلٌ <sup>(١)</sup> أَتَى أَفْوَتِ الْحَمَامِ أَمَانٌ <sup>(٢)</sup> لَمَزَكْ لِي ضَلَّلٌ <sup>(٣)</sup>  
وَكَيْفَ يَرَى آخِرُهُ <sup>(٤)</sup> أَنَّهُ سَيَبْقَى وَقَدْ هَلَكَ الْأَوَّلُ  
خَفَى مَتَى أَنَا لَا أُرْعَوِي وَكَمْ ذَا أَقُولُ وَلَا أَفْهَلُ  
أَبَاذَاهِمِلًا وَتَلَاهِ الْخَوْفِ فِي النَّاسِ تَوَقُّظٌ مِنْ يَذْهَلُ <sup>(٥)</sup>  
أَلَا أَيْنَ أَهْلُ النِّعَمِ الْعَزِيزِ وَأَيْنَ الْأَجَالِدُ وَالْبَزَلُ <sup>(٦)</sup>  
تَنَاوَلُهُمْ مِنْ قِلَالِ الْقُصُورِ فَأَهْلَكَهُمْ مُزْعِجٌ مُنْجِلٌ <sup>(٧)</sup>

\*\*\*

قُلْ لِلَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الْهُدَى فَاتَّبِعُوا ، وَخَوْفُوا يَوْمَ الرَّدَى فَمَا ارْتَدَعُوا ، وَاسْمَعُوا  
الْمَوَاعِظَ فَكُنْتُمْ مَا سَمِعُوا ، قَلْبُوا كَيْفَ شِئْتُمْ وَمَا شِئْتُمْ فَأَصْنَعُوا .  
غَدًا تَوَفَّى النَّفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيُخَصِّدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا  
إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لَأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا  
لَهُ دَرَّ أَقْوَامٌ بَادَرُوا الْأَعْمَالَ وَاسْتَدْرَكُوا ، وَجَاهَدُوا النَّفُوسَ حَتَّى مَلَكَوْهَا ،  
وَتَاهَبُوا السَّبِيلَ <sup>(٨)</sup> التَّوْبَةُ ثُمَّ سَلَكَوْهَا ، وَعَرَفُوا عِيُوبَ الْعَاجِلَةِ فَتَرَكَوْهَا ، اسْتَعْمَلُوا  
الْأَدَبَ <sup>(٩)</sup> فِي مُجَادَى كَرْجَبٍ .  
بَاهَذَا إِذَا هَمَمْتَ بِغَيْرِ فَبَادِرْ هَوَاكَ ثَلَاثًا تَنْقَلِبْ ، وَإِذَا هَمَمْتَ بِشَرِّ فُسُوقِ هَوَاكَ  
لَعَلَّكَ تَنْقَلِبُ .

(١) : أَوَّلٌ . (٢) : ب ، ج : أَمَانٌ . (٣) : ظَلَالٌ . ب ، ج : ضَلَّلٌ وَمَا أَتَيْتُهُ مِنْ ت .

(٤) : أَحَدٌ . (٥) : تَعَمَّلُ مِنْ يَحْمَلُ .

(٦) : الْبَزَلُ : حَجٌّ بِالزَّلِّ وَهُوَ الرَّجُلُ الْكَامِلُ فِي تَجَرِبَتِهِ . (٧) : ب ، ج : يَجْعَلُ . (٨) : لَبِيلٌ .

(٩) : ب ، ج . لِلْأَدَبِ . وَمَا أَتَيْتُهُ مِنْ ت .

الحكمة نور الفطرة ، والصواب فرع الروية ، والتدبير قيمة الهمة ، والهموى ضد الحزن ، **تُغْفُ** نفسك بالأداب قبل محبة الملوك ، فإن سياسة الأخلاق <sup>(١)</sup> مَراقى العالى .  
 قال بَزْرَجَمهر : أَخَذْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَ مَا فِيهِ حَتَّى مِنْ الْكَلْبِ وَالْغُرَابِ وَالْهُرَّةِ .  
 قيل : وما أَخَذْتَ مِنَ الْكَلْبِ ؟ قال : ذَبَّهُ عَنْ حَرِيمِهِ وَإِلْفَهُ لِأَهْلِهِ . قيل : فمن الهرة ؟ قال : رَقَّتْهَا <sup>(٢)</sup> عِنْدَ السَّالَةِ وَلَيْنَ صِيَّاحِهَا . قيل فمن الغراب ؟ قال : شِدَّةَ حَدَرِهِ .  
 يا هذا صُنْ حَيَاةَ عَقْلِكَ عَنْ مَخَالَطَةِ غَوَّغَاءِ نَفْسِكَ ، مِنْ طَلَبِ الْمَالِ اسْتَقْبِلِ الْعَوَالِي ، مِنْ لَازِمِ الرِّقَادِ فَاتِهِ لِلرَّادِ ، مِنْ دَامِ كَسَلِهِ خَابَ أَمَلُهُ .

مِنْ صَغُرَتْ نَفْسُهُ فِهْمَتُهُ أَبْلَغُ فِي قَصْدِهِ مِنَ الْمَحَنِ  
 وَقُلَّ مَا تَذَنَّنَ بِالسُّرُورِ فَقِيَ لَمْ يَحْمِئْهُ مِنْ عَوَاقِبِ الْحَزَنِ  
 لَوْلَا سَخَطُ نَفْسِ أَيْ بَكَرَ عَلَيْهِ لِفَارَقَةِ هَوَاهَا مَا نَالَ مَرْتَبَةَ « أَنَا عَنْكَ رَاضٍ »  
 لَوْلَا عُرْيُ أَوْيَسَ مَا لَيْسَ حَلَّةٌ « بِشَفْعٍ فِي مَثَلِ رِبْعَةٍ وَمَضَرٌ <sup>(٣)</sup> » .

### الكلام على فرد تعالى :

﴿ إِنِ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ <sup>(١)</sup> ﴾

قال المفسرون : نزلت هذه الآية من أجل النسيء الذى كانت العرب تقطعه . والنسيء تأخير الشيء وكانت العرب تحرم الشهور الأربعة . هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم ، فربما احتاجوا إلى تحليل الحرم لحرب تكون بينهم فيؤخرون تحريم الحرم إلى صفر ثم يحتاجون إلى تأخير صفر ، ثم كذلك حتى تتلافى الشهور فيستدير التحريم على السنة . فكانوا يستنثون الشهر الحرام ويسترضونه .

قال الفراء : كانت العرب فى الجاهلية إذا أرادوا الصدر من مئى قام رجل من بنى كنانة

(١) ت : من مراقي (٢) ب ، ج : رقتها .

(٣) هو أويس القرني الصماني . (٤) سورة التوبة ٢٦ .

يقال له نعيم بن ثعلبة ، وكان رئيس الموسم فيقول : أنا الذي لا أعاب ولا أخاب ولا يردُّ لي قضاء . فيقولون : أنسئنا شهراً يريدون آخر عنا حرمة الحرم فاجعلها في صفر . فيفعل ذلك . وقال مجاهد : أول من أظهر النسوة جنادة بن عوف الكِنَانِي فواقت حجة أبي بكر الصديق ذات القعدة ، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام القابل في ذى الحجة فذلك حين قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .

أخبرنا عبد الأول ، أنبأنا الداودي ، أنبأنا ابن أعين ، حدثنا الفرزبي ، حدثنا البخاري ، حدثنا محمد بن سلام ، أخبرنا عيد الوهاب ، أنبأنا أيوب ، عن محمد بن أبي بكر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُم ثلاثة متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب مضر [ الذي ] <sup>(١)</sup> بين جمادى وشعبان . أخرجاه في الصحيحين <sup>(٢)</sup> .

قال العلماء : أعلم الله عز وجل بهذه الآية أن عدد شهور المسلمين التي يمدونها <sup>(٣)</sup> اثنا عشر شهراً على منازل القمر . وقوله : « في كتاب الله » أي في اللوح المحفوظ الذي كتبه الله يوم خلق السموات والأرض « منها أربعة حرم » وإنما سماها حُرُمًا لمعنيين : أحدهما تحريم القتال فيها . والثاني : لتعظيم انتهاك الحرمات فيها . وقوله تعالى « ذلك الدين القيم » قال ابن قتيبة : يعني الحساب الصحيح والمعدى المستوي .

« فلا تظلموا فيمن أنفسكم » اختلفوا في هذه الكناية على قولين : أحدهما أنها تعود على <sup>(٤)</sup> الاثني عشر شهراً . قاله ابن عباس . فيكون المعنى : لا تجمعوا حرامها حلالاً ولا حلالها حراماً كعمل أهل النسوة . والثاني : أنها ترجع إلى الأربعة الحرم وهو قول

(١) بن ١ (٢) صحيح البخاري ١٦٩/٢ وصحيح مسلم كتاب القسامة حديث رقم ٢٩ .

(٣) ب ، ج : التي يسمونها (٤) ١ : لك .

قتادة والفرّاء واحتج بأن العرب تقول لما بين الثلاثة إلى العشرة : ثلاث خلون وأيام خلون . فإذا جازت <sup>(١)</sup> العشرة قالوا : خَلَّتْ ومضت . ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة من هؤلاء فإذا جزت <sup>(٢)</sup> العشرة قالوا : هي وهذه ، إرادة أن يُعرَف اسمُ القليل من الكثير .

وفى المراد بهذا الظلم قولان : أحدهما : أنه خص النحى عن الظلم بهذه الأشهر لأن شأن المعاصى يُنظَّم فيها أشدَّ من تمظييه في غيرها لقضائها على ما سواها كما عظمت طاعة الحرم ومعصيته وإن كان العبد مأمورا بذلك في غيرها . هذا قول الأكثرين . والثانى : أن المراد بالظلم فيهن فعل النسيء ، قاله ابن إسحاق .



واعلم أن تفضيل بعض الشهور على بعض ليكون الكف عن الهوى ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها ، تدريجا للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعا .  
فبادروا في هذا الشهر من الخير كل مُمكن مادام الأمر يمكن ، واعلموا أن العمر لا قيمة لأوقاته وزمان الصحة لا مثل لساعاته ، فحاسبوا أنفسكم قبل الحساب وأعدّوا للسؤال صحيح الجواب ، واحفظوا بالتقوى هذه الأيام واغفلوا عن الأجرام قبيح الإجرام ، قبل ندم النفوس حين سيّاقها ، قبل طمس شمس الحياة بعد إشراقها ، قبل ذوق كأس مرّة في مذاقها ، قبل أن تدور بدور السلامة في أفلاك محاقها ، قبل أن يُجذَّب الأبدان إلى القبور بأطواقها ، وتفتّرش في العود أخلاق أخلاقها ، وتفصل المفاصل بعد حُسْن انساقيها ، وتشتد شدة الحشرات حاسرةً عن ساقها ، وتظهر مُخَبَّات الدموع بسرعة اندلاقها ، وتقلب القلوب في ضنك ضيق خناقها ، ويطول جزع من كان في عمره <sup>(٣)</sup> ناقها ، وتبكي النفوس في أسرها على زمان إطلاقها :

---

(١) ب ، ج : فإذا جازت (٢) : فإذا حضرت . (٣) : طول عمره .



أَلَا بِالْقَوَىٰ لِحَيِّ رَدِي وَلَعَرَّ يَجْهَلُ مَا فِي غَدِي  
وَاللَّيْتِ جَمَعَ أَمْوَالَهُ لآخر في الحَيِّ لم يَجْهَدْ  
سُيُفِيكَ أَهْلَكَ وَالْحَامِلُونَ وَأَعْضَاءُ جَنْبِكَ لَمْ تَبْرُدْ  
وَيَصْبِحُ مَالُكَ لِلوَارِثِينَ وَأَنْتَ شَقِيتَ وَلَمْ تُحْمَدِ

هذا حادى للمات قد أسرع ، هذه سيوف اللمات قد تقطع ، هذه قصور الإخوان  
بَلَقَعَ ، مال صاحب المال فإذا المال بُورَعَ ، أنفعه حرصه حين سلب ما جمع أجمع ، إنما هذه  
الدنيا نخذ منها أودع ، إن وصلتْ فعلى نية أن تقطع ، وإن بذلت فبعزيمة أن تمنع ،  
انتظر سَلْبها يامشغولاً<sup>(١)</sup> بها ، وتوقع أسفا لبعكدي على حبها تقطع ، أتراها أنها  
ما علمت أنها تخدع ، أفيها حيلة أم في وصلها مطمئن ، أين كسرى أين فيصر أين تنع ، أين  
حاتم الجود أين من كان يجمع ، أين قيس وسجبان أين ابن المقفع ، إنها التحو العين ثم  
للاثر تَقْلَع ، إن لك مَنَعًا في وعظها لو كفالك القنع ، بامفرقا في الليلى قل لمن تجمع ،  
إذا خلوت وَخَلَّيت فكيف تصنع ، أرى أنت عندما أو ماسمع ، بأطروش الشقوة  
أما الحديث معك أما التخويف لك ، واعجبا رَجَب الأسم أم أنت<sup>(٢)</sup> :

أُدْمِى لِقُرُوتِكُمْ فِي انْهَالِهَا سُحْبُ  
مَسْمِى إِذْ عَذَلُوا فِي صَبَابِي رَجَبُ

\*\*\*

من مبلغ قومي على قربهم وبُئِدَ أَسْمَاعُ من الواعظين  
هُبُوا قَدْ طالت بكم نومة وَاثْبَهُوا من رقدة الغافلين  
حُتُّوا مطايا الجد تَرَفَّلْ بكم ناجين في الناجين أو مُنْذِرِينَ  
سَلُّوا قِيَابَ اللُّكْ عن مَشْرِيرِ كانوا لها من قَبْلِكُمْ مُتَبَتِّينَ

(١) : يامشغولاً . (٢) ب ، ت : أو أنت .

تُخَبِّرُكُمْ عَنْ زَمَنٍ لَمْ يَزَلْ يَجْلُو لِقَوْمٍ مَضَوْا لِأَعْيُنٍ  
 قَدْ شَاحَ جَدُّ النَّاسِ فِي بَاطِلٍ وَضَرَبُوا فِي غَمْرَةٍ حَاطِرِينَ  
 وَأَطْبَقَ الشَّرُّ عَلَى جَمْعِهِمْ وَدَقَّ شَخْصَ الْحَقِّ فِي الْعَالَمِينَ  
 وَرَكَضُوا فِي الْجُبُورِ رَكْضًا فَمَا تَحْسِبُهُمْ تَقْوَى حَيَاءٍ وَدِينٍ  
 نَسْرُهُمْ خَضْرَاءُ دَنِيَاءٍ قَدْ أَمِنُوا الدَّهْرَ وَبَثَّ الْقَرِينَ  
 فَإِنْ يَكُونُوا مِنْ أَنْاسٍ دَرَوْا فَإِنِّي كُنْتُ مِنَ النَّاصِحِينَ  
 مَعْتَرَةً مَنِي إِلَى حَاضِرٍ وَأَثَرٍ فِي صَحْفِ الْفَاسِرِينَ  
 يَاجِبِيًّا مِنْ نَاصِحٍ لَمْ يُطْلَعْ كَمْ حَازِمٍ قَدْ ضَاعَ فِي الْجَاهِلِينَ

لله دَرَّ قَوْمٍ فَهُمْ مِنْ الوجود ، وتأملوا المقصود واشتغلوا بطاعة المعبود ، وانتبهوا  
 وانطلق رِقود ، يَصْنُونَ الْأَقْدَامَ [ يَنَاجُونَ الْمَلِكَ الْعَلَامَ ] <sup>(١)</sup> وَيَصْنُونَ الْهِمَمَ ، وَيَصْنُونَ تَقْصِيرَهُمْ  
 وَيَصْنُونَ الشُّكْرَ لِلنِّعَمِ ، تَحْمَلُوا تَبَّ السَّهْرِ وَكَابَدُوا مَشْتَةَ الظُّلْمَا ، وَأَخْلَصُوا الْعَمَلَ فَرَادَ  
 عَلَيْهِمْ <sup>(٢)</sup> وَنَمًا ، وَجَرَى الْقَدَرُ فَرَضُوا وَلَمْ يَمْتَرِضُوا بَلْ وَلَمَّا ، فَيَاحَسَنُ تُجْتَهِدُهُمْ يَذْكُرُ الذَّنْبَ  
 فَيَبْكِي نَدَمًا .

إِخْوَانِي : اسْلُكُوا جَادَّةَ الْقَوْمِ لِمَلِّ مَشَاعِلِهِمْ تَلُوحُ لَكُمْ ، تَعْلَمُوا بُنْيَانَهُمْ لِمَلِّ الْحَادِي  
 يَنْوَهُ بِكُمْ ، صَوَّوْا بِالْقَوْمِ عَسَى يَقِفَ بَعْضُ السَّاقَةِ لَكُمْ ، ابْكُوا عَلَى تَأْخُرِكُمْ لِمَلِّ عَطْفِ  
 الرَّحْمَةِ تَنْعَطِفُ مَحْوُكُمْ .

أَوْمَضَ لِي عَلَى الصُّوْرِ بَارِقُ فَهَاجَ مِنْ وَمِيضِهِ التَّائَسُفُ  
 لَمَنِي عَلَى عَيْشٍ مَغْنَى بِرَامَةٍ أَوْرَدَ مُشْتَقًّا بِهِ تَلَهُّفُ  
 يَامَالِكِي رِقِّ الْهَبِّ قَسَمًا عَلَيْكُمْ بِحَبِّهِ تَعَطُّفُوا  
 وَيَا حُدَاةَ الظُّلَمِ قَدْ أَمْلَى إِلَى الضَّائِفَاتِكُمْ لِي صَفُّوا

لعلنى أن أشتنى بنظرة يَبُلُّ منها السهامُ الدنفُ  
ففى الضلوع ججرة ماتنطقى وفى الشئون عبرة ما تُنزَفُ

\*\*\*

إخوانى : كأنكم بالحافظ الذى حرسكم وقد حصدكم بعد أن غرسكم ، وبعث الموت  
نسيب فرسكم وفرسكم ، فلينوا إلى التقى فى هذه الأشهر وخلوا شرسكم « فلا تظلموا  
فيهن أنفسكم » .

هذه أوقات مُعْظَمة وساعات مكرمة وقد صيرتم ضحايا بالذنوب عتمة ، فيبضوا  
بالتوبة صحفكم المظلمة ، فالملك يكتب خطاكم ونفسكم « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .  
لقد ضيعتم مُعْظَمَ السَّنة فدعوا من الآن هذه السَّنة ، واسموا المواعظ قد نطقت  
بالسنة ، ودعوا الخطايا يا فيكى ما قد وكسكم « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

البدار البدار قبل القوت ، الحذار الحذار قد قرب الموت ، اليقظة اليقظة قد أسمع  
الصوت ، قبل أن يضيق الحساب محببكم « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » لا بد أن تنطق  
الجوارح وتشهد عليكم بالقبائح ، فاملاوا الأوقات بالعمل الصالح ، فإنكم إذا نزلتم بطون  
الصفايح أنفسكم « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

اعزموا اليوم على ترك الذنوب ، واجتهدوا فى إزالة الميوب ، واحذروا سخط علام  
النيوب ، واكتبوا على صفحات القلوب مجلسكم « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

## المجلس الثالث

### في ذكر المراج

الحمد لله فائق الحبِّ والنَّوى ، وخالق العبد وما نوى ، المطلع على باطن الضمير وما حوى ، بمشيئته رشد من رشد وغوى من غوى ، وإرادته فسد ما فسد واستوى ما استوى ، صَرَف من شاء إلى الهدى وعطف من شاء إلى الهوى ، قَرَّب موسى كَنِيئاً وقد كان مَطْوِيّاً من شدة <sup>(١)</sup> الطوى ، فَنَحَّه فَلَاحاً وكَلَّمَهُ كِفَاحاً وهو بالواد المقدس طوى . وعرج بمحمد إليه فرآه بعينيهِ ثم عاد وفرأشه ما انطوى . فأخبر بقربه من ربه وحدث بما رأى وروى ، فأقسم على تصديقه من حرسه بتوقيفه عن قَوَى « والنجم إذا هوى ما ضلَّ صاحبكم وما غوى <sup>(٢)</sup> » .

أحمد على صَرَفِ المهم والجوى ، حمد من أناب وارعوى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فيما نَشَر وطوى ، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله وعودُ الهدى قد دَوَى ، فسفاه ماء المجاهدة حتى ارتوى ، صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر الصديق صاحبه إن رحل أو ثوى ، وعلى القاروق الذى وسَمَ بجِده <sup>(٣)</sup> جبينَ كل جبار وكوى ، وعلى ذى النورين الصابر على الشهادة ساكتاً ما التوى ، وعلى على الذى زهد فى الدنيا فباعها وما احتوى <sup>(٤)</sup> ، وعلى عمه العباس الذى منع الله به الخلافة عن غير نبيِّه وزوى .

\*\*\*

قال الله عز وجل : « والنجم إذا هوى » .

هذا قسم . وفى النجم خمسة أقوال : أحدها أنه الثريا . رواه العوفي عن ابن عباس . قال ابن قتيبة : والعرب تسمى الثريا وهى ستة أنجم نجماً . وقال غيره : هى سبعة أنجم ،

(١) : بئدة الطوى . (٢) : سورة النجم  
(٣) : وسَمَ بجِده وحيز كل جبار . (٤) : كذا فى ١ و ٢ ب ، ج : فباعها واجتوى .

فستُ ظاهرة وواحد خفيّ يمتحن الناسُ به أبصارهم .  
والثاني : الرُّجوم من النجوم ، وهي ما يُرمَى به الشياطين . رواه عكرمة  
عن ابن عباس .

والثالث : أنه القرآن نزل نجوماً متفرقة . رواه عطاء عن ابن عباس . وقال مقاتل :  
كان ينزل نجوماً ، ثلاث آيات وأربع آيات ونحو ذلك .

والرابع : نجوم السماء كلها . روى عن مجاهد . فلي هذا هو اسم جنس .  
والخامس : أنها الزهرة قاله السدي . فلي قول من قال : النجم [ هو ] <sup>(١)</sup> الثريا  
يكون « هوى » بمعنى غاب . ومن قال : هي الرجوم يكون هويهاً في رجم <sup>(٢)</sup> الشياطين  
ومن قال القرآن يكون هوى نزل <sup>(٣)</sup> . ومن قال نجوم السماء كلها فيه قولان : أحدهما أن  
هويها حين تقيب . والثاني : أن تنتثر يوم القيامة .

قوله تعالى : « ما ضلَّ صاحبُكم » هذا جواب القسم . والمعنى : ما ضلَّ عن طريق الهدى  
والمراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما غوى » .

قوله « وما يتطلق عن الهوى » أى ما يتكلم بالباطل . وقال أبو عبيدة : عن  
بمعنى الباء . وذلك أنهم قالوا : إنه يقول القرآن من تلقاء نفسه .

« إن هو » أى ما القرآن إلا « وحى » من الله « يُوحى » . علَّه شديد القوى «  
أى علم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم . وكان من قوته أنه قلع قرآت قوم لوط  
وحملها على جناحه فقلبها عليهم . وصاح بشنود فأصبحوا خاملين .

« فاستوى » وهو بالأفق الأعلى « فيه قولان : أحدهما فاستوى جبريل ، وهو يعنى  
النبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى أنهما استويا بالأفق الأعلى لما أسمى برسول الله

(١) من ٢ . (٢) كذا في ت . و ١ : يكون هوى بمعنى رى الشياطين : ولى ب ، ج : يكون  
هويها في رى الشياطين .

(٣) ١ : بمعنى نزول القرآن .

صلى الله عليه وسلم . قاله الفراء . والثاني : فاستوى جبريلُ وهو ، بمعنى جبريل ، بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية ، لأنه كان يمثل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل ، وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراه على حقيقته فاستوى في أفق المشرق فلا الأفق فيكون للمعنى : فاستوى جبريل بالأفق الأعلى في صورته . قاله الزجاج . والأفق الأصل : مَطْلَعُ الشمس وإنما قيل له الأعلى لأنه فوق جانب الغرب في صعيد الأرض لا في الهواء .

قوله تعالى : « ثم دنا فتدلى » قال الزجاج دنا : بمعنى قَرَّب . وتدلى : زاد في القُرْب . ومعنى اللفظين واحد .

وفي المشار إليه بقوله : « ثم دنا » ثلاثة أقوال : أحدها : أنه الله . روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث شريك ابن أبي نمر عن أنس قال : « ثم دنا<sup>(١)</sup> الجبار ربُّ العزة »<sup>(٢)</sup> وقد قال الخطابي : هذا من غلط شريك راوى<sup>(٣)</sup> أنس .

قال ابن الجوزي : قلت : وإذا كان الدنو لا على ما يُعْقَل في الأجسام كان المراد به القُرْب المذكور في قوله تعالى : « من قَرَّبَ مَنى شِبْرًا قَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا » فإن قيل : كيف يصح هذا وقد حُصِرَ قَدْرُ المسافة ؟ قلنا : إنه مثل بأقرب الأشياء كما قال : « ونحن أقربُ إليه من حَبْلِ الوَرْدِ »<sup>(٤)</sup> .

والثاني : ثم دنا محمد من ربه . قاله ابن عباس .

والثالث : أن جبريل دنا من محمد . قاله الحسن .

والقالب : القَدْر . وقال ابن فارس : القالب ما بين التَقْبِضِ والسَّيَةِ ، وهي مأخوذة من

(١) ب ، ت ، ج : قال دنا . وما أئتمه من ؟ .

(٢) صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قوله : « وكلم الله موسى تكليمًا »

(٣) كذا في ت وهو الصواب . وفي ؟ وراء أنس . وفي ب ، ج : ورأى أبى .

(٤) سورة فرقان ١٦ .

طَرَفِي الْقَوْسِ . وقال ابن قتيبة : قَدَّرَ قَوْسَيْنِ . وقال الكسائي : أراد بالقوسين قوساً واحداً .

« أَوْ أَدْنَى » بل أدنى . « فَأَوْحَى » الله عز وجل « إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » قال ابن عباس : رأى ربه عز وجل والمعنى : مَا أَوْحَاهُ فَوَادَاهُ أَنَّهُ رَأَى وَلَمْ يَر .

« وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى » قال ابن عباس : رأى محمد ربه . وبيان هذا : أنه لما تَرَدَّدَ لأجل الصلوات رأى ربه مرة أخرى . وقال كعب : قسمَ الله عز وجل كلاماً موروثة بين محمد وموسى فرآه محمد مرتين ، وكلمه موسى مرتين .

قوله تعالى : « عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى » السِّدْرَةُ : شَجَرَةُ النَّبِيِّ وَهِيَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ . وهو في الصحيحين من حديث مالك بن صعصعة . وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود أنها في السماء السادسة . وإنما سميت بسدرة المنتهى لأن إليها ينتهي ما يُصْعَدُ به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يُهْبِطُ به من فوقها فيقبض منها ، وإليها ينتهي عِلْمُ الْمَلَائِكَةِ .

« عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى » قال ابن عباس : هِيَ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ وَهِيَ مَنْزِلُ الشَّهَدَاءِ .

« إِذْ يَنْفَخُ السِّدْرَةُ مَا يَنْفَخُ » قال ابن مسعود : غَشِيَهَا فِرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ « مَا زَاغَ الْبَصَرُ » أَيِ مَا عَدَّلَ بَصَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا « وَمَا طَلَنِي » أَيِ مَا جَاوَزَ مَا رَأَى .

وهذا كان في ليلة للعراج . واتفق العلماء على أن هذا للعراج كان بمكة قبل الهجرة ، واختلفوا في المدة التي كانت بينهما على أربعة أقوال : أحدها : سنة . قاله ابن عباس . والثاني : ستة أشهر . قاله السُّدِّي . والثالث : ثمانية عشر شهراً . قاله الواقدي . ذكر

هذه الأقوال عنهم أبو خنيس بن شاهين . والرابع : ثمانية أشهر .

فأما الهجرة فإنها كانت في يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول ، أعنى اليوم الذى قدِم فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة . فعلى القول الأول يكون للمعراج في ربيع الأول . وعلى الثانى والثالث يكون في رمضان . وعلى الرابع يكون في رجب . وقد ذكر محمد بن سعد عن الواقدي عن أشياخ له قالوا : كان للمعراج ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا<sup>(١)</sup> . إلا أنه لما اشتهر ذكر المعراج برجب ذكرناه فيه .

أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين ، أنبأنا أبو على الحسن بن على التميمي ، أنبأنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا همام بن يحيى ، قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أُسرى به قال : بينما أنا في الحظيم وربما قال قتادة في الحِجْر مضطجع إذ أغانى آتٍ فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة . قال فأتاني فقد . وسمعت قتادة يقول : فشق ما بين هذه إلى هذه . قال قتادة : قتلت للجارود وهو إلى جنبي<sup>(٢)</sup> هايعني ؟ قال : من نُفْرة نَحَره إلى شِعْرته . وقد سمعته يقول من قصَّه إلى شعْرته قال فاستخرج قلبي . قال : فأتيت<sup>(٣)</sup> بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحِكْمة فغسل قلبي ثم حُشِي ، ثم أعيد ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض . فقال له الجارود : أهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : نعم . يقع حَطْوُهُ عند أقصى طَرَفِهِ .

قال : فحملت عليه فانطأق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد قيل : أو قد بُعث إليه ؟ قال : نعم فقيل مرحبا

(١) طبقات ابن سعد ١/ ١٤٣ ( القسم الأول ) ط ليدن .

(٢) ب ، ت ، ج : وهو إلى جنبي . (٣) : ثم أتيت .



به ونم الحجى . جاء . قال : فُتِّحَ له <sup>(١)</sup> فلما خلصتُ إذا فيها آدم قال : هذا أبوك آدم فسلم عليه . قال : فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح قتيلا : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو <sup>(٢)</sup> قد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل : مرحبا به ونم الحجى . جاء . قال : ففتح [لنا] <sup>(٣)</sup> فلما خلصتُ إذا بيهي وعيسى وهما ابنا الخالة ، قال : هذا يهي وعيسى فسلم عليهما . قال فسلمتُ عليهما فردا السلام ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح قتيلا : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ونم الحجى . جاء . قال : ففتح فلما خلصتُ إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه فسلمتُ عليه فردا السلام ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح قتيلا : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ونم الحجى . جاء . قال : ففتح فلما خلصتُ إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه . فسلمتُ عليه فردا السلام ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قتيلا : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ونم الحجى . جاء . ففتح له <sup>(٤)</sup> ، فلما خلصتُ إذا أنا بهارون قال : هذا هارون فسلم عليه . فسلمتُ عليه فردا السلام ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قتيلا : من هذا ؟ قال : جبريل <sup>(١)</sup> : ففتح لئلا . وفي : ففتح . (٢) ب ، ت ، ج : وقد . وفي صحيح مسلم : فأرسل إليه ؟ . (٣) من : . (٤) : ففتح . (٥) : ففتح لنا .

قيل : ومن مملك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم قيل : مرحبا به ونم  
الحيء جاء فتفتح له <sup>(١)</sup> فلما خلصت إذا أنا بموسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت  
عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح . قال : فلما جلوزتُ بكى  
فقبل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاما بُعثَ بِمَدْيَ يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها  
من أمتي !

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .  
قيل : ومن مملك قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ! قال : نعم . قيل : مرحبا به ونم  
الحيء جاء . قال : فتفتح فلما خلصت إذا إبراهيم قال : هذا إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه  
فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم رُفِعت إلى سِدْرَةِ المنتهى فإذا نَبَقَها مثل قَلَالِ هَجَرٍ وإذا ورقها مثل آذان  
الفيلة ، فقال : هذه سِدْرَةُ المنتهى . قال : وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران  
ظاهران ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فهبران في الجنة ، وأما الظاهران  
فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع لى البيت المعمور . قال قتادة : وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن  
النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم  
لا يمودون فيه إلى يوم القيامة .

ثم رجع إلى حديث أنس . ثم أتيت إناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ،  
قال : فأخذت اللبن قال : هذه الفطرة أنت <sup>(٢)</sup> عليها وأمتك .

قال : ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال : فرجت فررت على  
موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع

---

(١) : التي أنت عليها .

خمين<sup>(١)</sup> صلاة، وإني قد خَبَرْتُ<sup>(٢)</sup> الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ للمعالجة،  
 فارجع إلى ربك عز وجل فاسأله التخفيف لأمتك قال: فرجعت فوضع عني عَشْرًا، فرجعت  
 إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بأربعين صلاة كلَّ يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع  
 أربعين صلاة [في]<sup>(٣)</sup> كلَّ يوم وإني قد خَبَرْتُ الناسَ قبلك [وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ  
 للمعالجة]<sup>(٤)</sup> فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال فرجعت فوضع عني عَشْرًا آخر  
 فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بثلاثين صلاة كلَّ يوم قال: إن أمتك  
 لا تستطيع ثلاثين<sup>(٥)</sup> كلَّ يوم، وإني قد خَبَرْتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ  
 للمعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فوضع عني عَشْرًا  
 آخر فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بعشرين صلاة كلَّ يوم. قال: إن  
 أمتك لا تستطيع عشرين صلاة كلَّ يوم وإني قد خَبَرْتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيل  
 أشدَّ للمعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فأمرت بعشر صلوات  
 صلوات كلَّ يوم قال: فرجعت إلى موسى قال: بم أمرت؟ قلت: بعشر صلوات كلَّ  
 يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كلَّ يوم وإني قد خَبَرْتُ الناسَ قبلك  
 وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ للمعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال فرجعت  
 فأمرت بخمس صلوات كلَّ يوم فرجعت إلى موسى قال: بم أمرت؟ قلت: أمرت  
 بخمس صلوات كلَّ يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كلَّ يوم وإني قد  
 خَبَرْتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ للمعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف  
 قال: قلت: قد استحييتُ من ربي ولكني أَرْضَى وأسلمُ فلما جاوزتُ<sup>(٦)</sup> نادى مناد:  
 قد أُمِيتَ فَرِيضَتِي وَخَفَّتْ عَن عِبَادِي.

(١) ب، ج: تخمين. (٢) ١: قد اختبرت. (٣) من ٢. (٤) من ١. (٥) ب، ج: ثلاثين.

(٦) كذا في ١ وفي بقية النسخ: فلما خَفَّتْ.

أخرجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup> وليس لمالك بن صمصمة في الصحيح غيره .

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أنه مرَّ بآدم وعن يمينه أسودة<sup>(٢)</sup> وعن يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى فقال: يا جبريل من هذا ؟ قال آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وشماله<sup>(٣)</sup> تسم بنيه ، عن يمينه<sup>(٤)</sup> أهل الجنة وعن يساره أهل النار .

وفي أفراد مسلم من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتيت بالبراق فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصلت ركعتين<sup>(٥)</sup> .

وقد روى حديث للمراج جماعة منهم علي بن أبي طالب وابن مسعود وحذيفة وأبو ذر وابن عباس وأبو سعيد وأبو هريرة وجابر وأم هانئ في آخرين .

### السلام على البسمة

يا صاح إن كنت ليبياً حازماً فكن لأسباب الهوى هراًغماً  
وإن أردت أن تفوز في غد فكن تقياً واهجر الحارماً  
لا تهو دينك فإن حبها رأس الخطايا يكسب للآثماً  
غدارة فكل من حلت له لا بد أن تذيقه العارماً  
ولإنها<sup>(١)</sup> تتخذ من أهانها كما تهين من أتاها خادماً  
فكن بها مثل غريب مُصلح أزواده على الرحيل عازماً

(١) صحيح البخاري ١٨٧/٢ • كتاب بدء الخلق باب المراج • وصحيح مسلم ٩٩/١ ( ط استامبول ) .

(٢) الأسودة : يكتئب بها عن النفس .

(٣) من ؟ . (٤) : قالدي عن يمينه .

(٥) ب، ج : فصلت الركعتين . والحديث في صحيح مسلم كتاب الإيمان ( ٩٩/١ ط ) استامبول

(١) ت : فلنيتها .

فإنما حُمر الفتي سوقٌ له يروح عنها خاسراً وغنائماً  
يا عجبا لعشر أنتهم الدنيا فلم يَينُوا بها المكارماً  
ولا شَرُوا مع عِلمهم زوالها بها جَنَاناً ونسباً دائماً  
إياك والتسوية فالعقل من يَنْجز ما كان عليه عازماً  
وإنما الموت مُغير هائل أعظم به على النفوس هاجماً  
والقبر إما روضة للفتى أو حفرة النار تصيب الظالماً  
يا لَهْفَتِي من اشتقاق حُرْفِي وعشري إلى الحساب راغماً  
وموقفي أسأل عما قد جَنَتْ بدای من سوء فأبقي واجماً  
وحين يَأْتِنِي كتابي فأرى فيه النى أنته مُكَاثِماً  
فإن يُناقِشني فبِدهْ هالك وإن عفا نَجَوْتُ<sup>(١)</sup> منها سالماً

\*\*\*

إخواني : هذا شهر رجب قدر حلُّ أ كثره وبان<sup>(٢)</sup> ، ونور شعبان قد لاحت وبان ،  
وقد سار إلى ديار الفوز رُكبان ، وأقدم<sup>(٣)</sup> الشجاع وولَّى الجبان<sup>(٤)</sup> ، هذا الشهر الأهم  
يؤذَنكم بإقلاعه ويخبركم برحيله ووداعه ، فأبكم ودعو قد أودعه ما ينفعه غدا ، وأبكم داوم  
الماضي فلم يُقلع حتى غدا ، ويل لمن ذهب عنه شهر رجب وانصرم وهو في عِدَاد من هجر  
الهدى وصرم ، كيف يرجو الفضل والكرم من اجترم وما احترم .

أكثر هذا الشهر قد مضى وتولى عنكم معرضاً ، وبقيته قد نادى للتوبة مُعْرِضاً ،  
فاحضروا أن يفوتكم الفزان مع الرضا . أين من استلذذ باقي ساعاته وقضى ، ومالاب  
نفسه بالإنبابة واقتضى ، أين من خاف لُحْبَ السعير وحرَّ لظى ، فبادر إلى ما يؤثّر من الخير  
ويرتضى ، أين من جرّد سيف التوبة على الخطايا واقتضى ، قبل أن يعود يد التحريض  
حرّضاً<sup>(٥)</sup> .

(١) ت : وإن عفا عن نجوت سالماً . (٢) بان : يمد . (٣) ١ : وتقدم .

(٤) كفنا في ١ . وفي بقية النسخ : وما تقدم جبان . (٥) المرفى : القاسد للمريض .

آه لأوقات مضت من رجب لاسبيل إلى رجوعها ، وأهلاً بنفوس صبرت فيه على عطشها وجوعها ، وبأأسفا لأعمال ما يُقبل شيء من مرفوعها ، ولأصوات رُدّت لعدم صديق مسموعها .

إخواني: فارقوا خطاباًكم قبل مفارقتة ، وسابقوا بالتوبة رحيله قبل مسابقتها ، واعلموا أن الأوقات عليكم شاهدة بما هي منكم مُشاهدة ، فالخدار الخدار أن يفوت وقت الاقتدار ، فإزالت الدنيا تجدد وتفرّم ترحل وتمرّ .

عَنَّتْكَ دُنْيَاكَ الْغُلُوبُ وَحُبُّهَا فِي الْكَفِّ عُوذُ  
أَمَّا إِسَاءَتُهَا قَدْ كَانَتْ وَحُضَانُهَا وَهُجُودُ

لنيران الموت على ديارنا نعيم ، ونحن نحرص على ما لطالبه<sup>(١)</sup> نعيم ، الخلق بأشرهم في قبضة التلف أسرى ، وما يعدّونه لإربابها يعود غداً خُسراً ، سيف للنون ما يُنبؤ ولا يقنع ، ويطعن الأرض يأكل الخلائق وما يشنع .

إخواني : لا للموت بالاستعداد تنتظرون ، ولا بالقلوب في الذكر تحضرون ، وكأنكم للتلف تأمنون أو بالوعيد ما تؤمنون ، أما علمتم أنكم ترحلون ، أما ترون الأقران أين يتقلبون ، كأننا والله بنا إذ قدمنا وقد ندّمنا ، ووضع الحساب وقدّمنا ، وطلبنا ما يرضى من العمل فهدّمنا ، وريح للتقوى بالثقي وحرّمنا ، وأقمنا لقراءة الصحف فلما فهمنا هُنا ، فرحم الله عبداً استلذك بقية هذا الشهر فربما لا يرى مثله في الدهر ، قبل أن يؤخذ بشدة القهر ويحاسب على فعل السر والجهر .

\*\*\*

واعلموا أن اليوم السابع والعشرين منه يوم معظّم .  
أخبرنا أبو الحسن الأنصاري ، أنبأنا عبد الله بن علي الآبنوسى ، أنبأنا عبد الملك

(١) ت : على ما لطالبها . وفى ١ : لطالبنا .

ابن عمر البزَّاز ، أنبأنا أبو حفص بن شاهين ، حدثنا أحمد بن عبد الله البزار ، حدثنا علي بن سعيد الرقي ، حدثنا سمرة ، عن ابن أبي شَوَّاذ ، عن مطر الورَّاق ، عن شهر ابن حَوْشَب ، عن أبي هريرة قال : « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا <sup>(١)</sup> » . وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وأول يوم هبط فيه .

### قوله تعالى

« سبحان الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا »

معنى التسييح : التنزيه عن كل سوء . واعلم أن الله تعالى سبح نفسه عند كل عظيم لما كان اختلاف الليل والنهار من عجائب الأمور وما لا يقدَّر عليه غيره ، ثم ادعى للمشركون وجود شريك معه تزعمه نفسه عن ذلك فقال : « سبحان الله حين تمسون وحين تُصبحون » <sup>(٢)</sup> ولما اختار عائشة لتبنيه قدَّفت سبح نفسه أن يختار المختار إلا خيرة فقال : « سبحانك هذا بهتان عظيم » <sup>(٣)</sup> . ولما أسرى نبيه صلى الله عليه وسلم فكذبه الكفار سبح نفسه لأن قدرته لا تقَعُز . وللنم عليه بذلك أهل فقال « سبحان الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا » .

وَأَسْرَى بمعنى سَير <sup>(٤)</sup> عبده . ويقال : سَرَيْتُ وَأَسْرَيْتُ ، إذا سرت ليلًا . وقد جاءت اللتان في القرآن . قال تعالى : « والليل إذا يسر » .

وللرَّاد بسببه ما هنا : محمد صلى الله عليه وسلم

قوله سبحانه وتعالى : « من للمجدِّ الحرام » فيه قولان : أحدهما أنه من قس المسجد قاله الحسن وقتادة ويؤيده <sup>(٥)</sup> ما ذكرنا في حديث مالك بن صُفْصَمَة : « يَبْنِئَانَا فِي الْحَطِيمِ أَوْ فِي الْحِجْرِ » .

(١) أخذت فضائل صيام الأيام أكثرها موضوع أحسن ما فيها ضيف \* (٢) سورة الروم ١٧ .  
(٣) سورة التور ١٦ (٤) ١ : بمعنى سَرَّ عبده . (٥) كقَالَ ١ . وفي بقية النسخ : وَيَبْنِئُهُ

الثاني : أنه أُسرى به من بيت أم هانئ\* . ذكره جماعة من المفسرين فعلى هذا يعنى بالمسجد الحرم والحرم كله مسجد .  
وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس . وقيل له الأقصى لبُعد المسافة بين المسجدين .  
ومعنى « بَارَكْنَا حَوْلَهُ » أن الله تعالى أجرى الأنهار وأبنت الأشجار . وقيل إنه مَقَرُّ الأنبياء ومَهْبِطُ الملائكة . قال أبو هريرة دخل بيت المقدس وصلى فيه بالأنبياء ثم عُرج به إلى السماء .

\*\*\*

واعلم أن الإسرائ كان إلى بيت المقدس والمراجع من هنالك إلى السماء ، وإنما جعل كذلك لأربعة فوائد :

القائدة الأولى : أنه لو أُخبر بصموده إلى السماء في بدء الحديث لاشتد إنكارهم ولو وصفها لم يكن عندهم علمٌ بذلك ، فلما أُخبرهم ببيت المقدس ووصفه لم دلَّ صدقُه في ذلك على صدقه في حديث المراجع .

وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما كذبني قريش قت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه<sup>(١)</sup> » . وروى عروة عن عائشة قالت : لما أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يحدث الناس بذلك فسمى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا : هل لك في صاحبك يزعم أنه أُسرى به إلى بيت المقدس ؟ قال : وقد قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : إن كان قال ذلك لقد صدق . قالوا : تصدقه أنه ذهب إلى الشام في ليلة وجاء قبل أن يُصبح ؟ قال : نعم إني لأصدقُه في خبر السماء في غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ . فذلك سُمي أبو بكر الصديق .  
القائدة الثانية : أنه سيَره في الأرض يستأنس ثم درج إلى الصمود إلى السماء ، فهو

---

(١) صحيح البخارى ٢٦٤/٢ ( ط الأميرية ) وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٧٦  
ط الهلبى ) .



نظير قوله : « وما نلِكَ بيمينِكَ يا موسى »<sup>(١)</sup> فلما أنيس بالخطاب حُجِّلَ الرسالة إلى فرعون .  
القائدة الثالثة : أن الأنبياءُ جُمِعوا هنالك فصلى بهم فبانَ فَضْلُهُ بالتقديم عليهم في دار  
التكليف . وكان اتمامهم به مشيراً إلى نَسْخِ شرائعهم بَشَرَعِهِ .  
القائدة الرابعة : أنه مرَّ بالنواحي التي كُلِّمَ عندها موسى ، ثم صعد فكلَّم في السموات  
ليظهر التفاوتُ بتقدِّيمه .

\*\*\*

ومذهب أهل السنة أنه رأى ربَّه ليلة المراج . وقد ذكرنا ذلك عن ابن عباس  
وكعب .

أخبرنا ابن المذهب أخبرنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ،  
حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتُ ربِّي . تبارك وتعالى »<sup>(٢)</sup> .  
وقد تملَّق من أنكر ذلك بإنكار عائشة أن يكون رآه . والجواب من ثلاثة أوجه :  
أحدها : أنه رأى منها لارواية ، فلا يقاوم رواية من روى عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أنه قال « رأيتُ ربِّي » .

والثاني : أنها نفَتْ والمَلَمَل على الإثبات .

والثالث : أنها كانت في زمن المراج صغيرة ولم تكن عند رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، وقول الرجال العلماء من الصحابة مقدَّم .  
وقد زعم قومٌ أن للمراج كلن منلماً . ويرد قولهم أن الشركين أنكروا عليه ما قال ،  
ولو كان منلماً لم ينكروه أحد .

---

(١) سورة طه ١٧ .

(٢) تراجع روايات مسلم في صحيحه التي تنفي الرؤية « كتاب الإيمان » .

وقد رأى تلك الليلة الجنة والنار .

أخبرنا هبة الله بن محمد ، أنبأنا الحسن بن علي ، أنبأنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله ابن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا وكيع ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أُسرى بي على قوم تُقرض شفاههم بمقاريض من نار ، قلت من هؤلاء قال : خطباء أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون .

\*\*\*

إخواني : قفوا ليلة للمراح على قدم الشكر ، نارة لما أنعم الله على نبيكم من إسرائه ، نارة للإينام عليكم بالإيمان بمِراجِه ، والذي ناله للصطفى من الارتفاع والعلو بحث امته على التماس القرب والدنو ، فالسميد من تأهب للقاء ربه بتأديب نفسه وتطهير قلبه .  
بأي عين تراني يا من بارزني وعصاني ، بأي وجه تلقاني ، يا من نسي عظمة شافي خاب المحجوبون عني وهلك المبعدون مني :

يا من يحدث نفسه بدخول جنات النعيم  
إن كنت مُتَقِيًّا فَأنت على الصراط المستقيم  
لا ترجو سلاماً من غير ما قلب سليم  
فاسلك طريق التقى ونّ وطن خيراً بالكريم  
واذكر وقوفك خائفاً والناس في أمر عظيم  
إتأ إلى ذل الشقاوة أو إلى اليز القيم  
فاجعل نُفْثَكَ وقايةً في الحشر من نار السُوم  
واغنم حياتك واجتهد وأنب إلى الرب الرحيم

\*\*\*

سبحان من أسرى بعبده<sup>(١)</sup> فأصبح الخُتاد أسرى، قصرت دولته قيصر وكسرت هيبته كسرى، أقامه بالليل من وطائه ودنائه، ورفضه فوق السموات بقوته واقتداره، وأراه ما في جنته وما في نارهِ، وأوحى إليه ما أوحى من أسرارهِ، ثم أعاده في الليل إلى مكانه وقراره، وجاوز أفق الشمس والقمر، وعلا على الملائكة والبشر، وفاز بالتقريب والنظر، وما حضر أحد قط حيث حضر، ارتقى إلى مقام القُرب بقدميه، والأملاك تحفُّ به من جانيه، وجبريل يمشی خادماً بين يديه، والرب قد أنعم بتقريبه إليه، وكشف له الحجاب حتى رآه بعينه، فحماه بالطفانه من الزينج في طريقته، وأيده بإسعاده وتوفيقه، وعصده في صدقه بتصديق صديقه، سبحان من رفعه فوق الأفلاك، وقدمه على الأنبياء والأملاك، وإياه والله أهلُّ لذلك، لأنه أطول القوم في جهاد أهل الإِشراك ذِيلاً «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً» .

طَّيِّبُهُ بِأَزْكَى الْخَلَائِقِ ثُمَّ رَفَعَهُ [عَلَى أَزْكَى الْخَلَائِقِ] <sup>(٢)</sup> فَوْقَ السَّعْبِ الشَّدَادِ الطَّرَائِقِ، فَيَا فَضْرَ ذَلِكَ الْمَقْدَمِ السَّابِقِ رَجُلًا وَخَيَّلاً «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً» .  
أَوْ قَدْ هُدَايَا الْخَلْقِ سِرَاجِهِ، وَشَادَ قَوَاعِدَ دِينِهِ وَأَبْرَاجِهِ، وَقَوَّيْ دَلِيلَهُ وَأَظْهَرَ احْتِجَاجِهِ، فَانْزَلْزَلْ كُلَّ الْخَزْيِ لِمَنْ جَحَدَ مَعْرَاجَهُ وَيَلَّا لَهُ وَيَلَّا «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً» .  
كَلَّمَهُ كِفَاحًا، وَمَنَعَهُ فَلَاحًا، وَسَقَاهُ مِنْ شَرَابِ الْحُبَّةِ رَاحًا يَمِيلُ بِأَعْطَافِهِ مَيَّلاً «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً» .

أَصْلَحَ بِتَدْبِيرِهِ طَبَاعَ الرِّضَى، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ عَلَى الْخَلْقِ قَرَضًا، وَضَمِنَ أَنْ يَعْطِيَهُ حَقَّ رِضَى، كَيْلًا يُمْحَرُّ مَا يُعْطَى وَزَنًا وَكِيلًا «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً» .  
عَاشَ فِي الدُّنْيَا بِالْقَنَاعَةِ، وَصَبَرَ عَلَى الْفَقْرِ وَالْجَاعَةِ، وَبَكَتْهُ فُضْرًا شَرَفُ الشَّفَاعَةِ، وَشَغَلَهُ ذِكْرُ الْقِيَامَةِ وَالسَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ مُلْكًا أَوْ قَيْلًا «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً» .

(١) ت: سبحان من أسرى بعبده أسرى. و ب ج: سبحان من أسرى بأسرى عبده. وبأنيابه من ؟ .  
(٢) من ب ج .

كان يجمع فيشد الحجر ، ويفترق فصابر الضرر ، راضيا بالظلم وقطرا المطر من سحاب  
الدنيا يجزي سَيْلا « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » .

سبحان من شرفنا بهذا الرسول ، ورزقنا موافقة المنقول ، فنحن أهل الثَّنة لا أهل  
النُّضول ، لا تزال<sup>(١)</sup> على الصراط ولا نزول ، ما نعرف ميلا « سبحان الذي أسرى  
بعبده ليلا » .

فخر نبينا أجل وأعلى ، ومناقبه من الشمس أجل ، وذكره في قلوبنا والله أحلى عند  
قيس من ليل « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » .  
والحمد لله وحده .

## المجلس الرابع

### في ذكر فضائل شعبان

الحمد لله أحق من شكر وأولى من حمد، وأكرم من تفضل وأرحم من قصد، المعروف بالدليل وبالذليل عُبد، القديم لم يولد ولم يَلِدْ، أحاط علماً بالمعلومات وحواسها، وأنشأ الخلق بالقدرة وبناها، وأظهر الحكم في الوجودات إذ يراها، ومن يتبحر حكمتها للآراء فلينظر بالفهم وليفتقد، تعرف إلى <sup>(١)</sup> خلقه بالبراهين القاهرة، وأظهر في مصنوعاته المجائب الباهرة، وتفرّد في ملكه بالقدرة القاهرة، ووعد المتقين الفوز في الآخرة، فالإشري للموعود بما وعد. تعالى أن يشبه ما صنعه <sup>(٢)</sup> وأن يقاس بما جمعه، سبحانه لا وزير له ولا شريك معه. نادى موسى ليلة الطور فأسمعه، فأعلم هذا واعتقد وتمسك بالكتاب والسنة ولا تمل عنها وسلم إليها وتسلم العلم منها ولا تنطق برأيك وظنك فيها، هذا مذهب أهل السنة لا تنقص ولا تزد. أحدهم حمداً إذا قيل صمد، وأصل على رسوله محمد خير مولود ولد.

\*\*\*

عن أبي سلمة قال: «حدثني عائشة: قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر من السنة أكثر من صيامه من شعبان كان يصومه كله» أخرجاه في الصحيحين <sup>(٣)</sup>.

وفيها من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى ثقل لا يُفطر ويفطر حتى يقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان <sup>(٤)</sup>» وفي لفظ آخر به مسلم قالت: كان يصومه إلا قليلاً <sup>(٥)</sup>

(١) ب ج : في خلقه . (٢) : أن يشبهه بما صنعه .

(٣) صحيح البخاري ٢٧٥/١ ط الأميرية وصحيح مسلم ١٦١/٣ بروايات مختلفة (ط استابول) .

(٤) صحيح البخاري ٢٧٥/١ . وصحيح مسلم ١٦١/٣ ط استابول (٥) صحيح مسلم ١٦١/٣ .

(النجدة ٢/٤)

أخبرنا محمد ناصر بسنده عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان كله حتى يصله بـرمضان ، ولم يكن يصوم شهراً تاماً إلا شعبان ، فإنه كان يصومه كله ، قلت : يارسول الله إن شعبان لمن أحب الشهور إليك أن تصومه . فقال : « نعم يا عائشة ، إنه ليس من نفسي تموت في سنة إلا كُتِبَ أجلها في شعبان ، فأحب أن يُكُتَبَ أجلي وأنا في عبادة ربي وعمل صالح » .

وعن أسامة بن زيد ، قال : قلت يارسول الله رأيتك تصوم في شعبان صوماً لا تصومه في شيء من الشهور إلا في شهر رمضان ، قال : « ذلك شهرٌ يُفَعِّلُ الناسُ عنه بين رجب وشهر رمضان ترفع فيه أعمالُ الناس ، فأحب أن لا يُرفع علي إلا وأنا صائم » <sup>(١)</sup>

\*\*\*

واعلم أن الأوقات التي يُفَعِّلُ الناسُ عنها معظمة التَّذَرُّ لاشتغال الناس بالمدادات والشهوات ، فإذا تأمَّرَ عليها طالبُ الفصل دلَّ على حرصه على الخير . ولهذا فَضَّلَ شهودُ العَجَرِ في جماعة لنفلة كثير من الناس عن ذلك الوقت ، وَفَضَّلَ ما بين المشاءين ونفعل قيام نصف الليل ووقت الحر .

عن عائشة قالت : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناسٌ يصومون رجلاً قتال : « فأين هم عن صيام شعبان » .

قالت لؤؤة مولاة عمار : كان عمار يتبهاً لصوم شعبان كما يتبهاً لصوم رمضان . وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حابوته وقرخ لقرآن في شعبان ورمضان . وعن الحسن بن شُهَيْل <sup>(٢)</sup> ، قال : قال شعبان : يارب جمعتني بين شهرين عظيمين فإلى ؟ قال : جمعت فيك قراءة القرآن .

وقد ذكرنا في حديث أن الآجال تكتب في شعبان .

وعن عثمان بن محمد بن النيرة بن الأخنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) أخرجه القائي وأحمد وأبو داود وصححه ابن خزيمة . شرح اللوامب ١٢٦/٨

(٢) بـج : ابن سهيل .

« تَقَطَّعَ الْآحِلُ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى شَعْبَانَ حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ يَنْكَحُ وَيُولَدُ لَهُ وَلَتَدُخِرَ اسْمُهُ فِي الْمَوْتِ » .

فهذا الحديث وحديث عائشة لم يَدِينْ فِيهِمَا مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ شَعْبَانَ وَقَدْ رَوَى فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ تُنْشَخُ فِيهَا الْأَجَالُ وَالْأَرْزَاقُ .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، إِذَا كَانَ هَلَالُ شَعْبَانَ دُفِعَ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ صَحِيفَةٌ يُقْبَضُ مِنْ فِيهَا إِلَى شَعْبَانَ مَنْ قَابَلَ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُفْرَسَ الْفَرَسَ وَيَبْنَى الْبِنَانَ وَيُنْكَحَ وَيُولَدُ لَهُ وَيُظَلَمَ وَيُفْجَرُ وَمَا لَهُ فِي السَّمَاءِ اسْمٌ وَمَا اسْمُهُ إِلَّا فِي صَحِيفَةِ الْمَوْتِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَهُ الَّذِي يُقْبَضُ فِيهِ أَوَّلِيَّتُهُ



فِي أَيِّهَا الْفَاقِلُ تَنْبِيهُ لِرَحِيكَ وَمُسْرَاكِ ، وَاحْذَرِ أَنْ تُسْتَلَبَ عَلَى مُوَاقَعَةِ هَوَاكَ ، انْتَقِلْ إِلَى الصَّلَاحِ قُلْ أَنْ تُنْقَلَ ، وَحَاسِبِ نَفْسَكَ عَلَى مَا قَوْلُ وَتَقُلْ ، وَلَا تَنْفُذْ عَنِ التَّدَارُكِ اللَّهُ اللَّهُ لَا تَقْدُلْ .

### السلام على البسملة

فَدَ أَنْ بَدَّ ظِلَامَ الْجَهْلِ لِهَاضِرِ	الشَّيْبِ صُحَّحَ بِنَاجِيَنِ يَاسْفَرِ
لَيْلِ الشَّبَابِ قَصِيرٍ فَاسْرَ مُنْتَدِرًا	إِنَّ صَبَاحَ قُصَارَى الدَّيْلِجِ النَّارِ
كَمْ اغْتَرَارَى بِالْدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا	أَبْنَى بَقَاهَا عَلَى جُرْفٍ لَهَا هَارِ
وَوَعْدِ زُورٍ وَعَهْدِ لَا وَفَاءَ لَهُ	تَلَمَّ الْقَدَرُ مِنْهَا كُلُّ غَدَارِ
دَارٍ مَا آمَنَهَا تَبَقَّى وَلَدْنُهَا	تَفَى الْأَقْبَحَتِ هَانِكَ مِنْ دَارِ
فَلَيْتَ إِذْ صَغُرْتُ مِمَّا كَبَتْ يَدِي	لَمْ تَتَلَقَ مِنْ خَطْلِهَا بِأَوَارِ

ليس السعيد الذي دنياه تُسعدُه    إنَّ السعيد الذي ينجو من النار

\*\*\*

لقد بالفت المواعظ وبلَّغتْ أئىِّ إبلاغٍ وأئىِّ بلوغٍ، وأنتَ تتلون هكنا وهكنا ثم تروغ  
إليكِ وسُورُ<sup>(١)</sup> الهوى فسُورُ الهوى ما يَسُوغُ، وقد رأيتُ غيرك أفلأ يَمُظُّ للملوعُ، يا مُجِلَّا  
قد أُجْدَبَ عامُه، يا مُغْرِقًا قد أَهْلَكَ قَلْبَه ساءُه، يا مُقْتُولَ الهوى قد قَطَعَه حُسامُه، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ  
الراى لا تَطْلِشُ سِهامه، أينَ الظَّيَاهِ الكَسُ، أينَ السَّكَمِ الأَشْوَسُ، أينَ من تَكْبُرُ وَعَيْسُ  
تساوى فى القبور اللّين والأُنحسُ<sup>(٢)</sup>، واعتدل فى اللّحود النّطوق والأُخرسُ، ورمى  
الكلَّ سِهمَ اللّون قَرَمَسُ<sup>(٣)</sup>، وعروا فى المراء من حُلُمهم فتمائل المائِسُ .  
ونادتنا الرِسومُ وهُنَّ صُمٌ وَمَنْطِقُهَا الْمَاجِمُ وَالسَّطَّارُ<sup>(٤)</sup>  
وكان اليأسُ أَجَلَ فأنصرفنا ودمع العين تجراه المَحْدَارُ<sup>(٥)</sup>

زار عمرُ بن عبد العزيز قبورَ آبائه ثم رجع وهو يبكى، قال لأصحابه: نادانى التراب:  
ألا تسألنى عما صنعتُ بأحبّك؟ قلتُ: ما فعلتُ؟ قال: فصلتُ الكفّين من الساعدين  
والقدمين من الساقين، وفعلتُ وقُلتُ . فلما وليت نادانى: ألا أدلك على كفّن لا يلى؟  
قلت: بلى . قال: التفتوى .

إخوانى: سلّوا المقابر بالنسبة التّكرّم بكم بكلام المِعَر:

عُوجُوا فُجُوا لنُعمِ دِمْنَةِ الدار    ماذا تُحَيُّون من نُؤىِّ وأُحجار<sup>(٦)</sup>  
أَقْوَى وأَقَرّ من نُعمٍ وغيَرها    هُوَجُ الرّياح بهارى الثّرب مَوَارِ<sup>(٧)</sup>  
وقُتّ فيها سرّاةُ اليوم أسألمها    عن آل نُعمِ أُمونا عُبُرَ أسفارِ<sup>(٨)</sup>

(١) السُّور: البقية والفضلة .

(٢) الأُنحس: الضّلع . (٣) قرطس: أصاب . (٤) كذا فى ١ ت . وفى ب ج: النطار .

(٥) ب ج: البتة المهدار . (٦) ب ج: لتسمى . والدمنة: آثار الدار .

وفى ١: دمنة الوادى . والنؤى: الخفير حول الحياء أو الخيمة بين الجبل .

(٧) هارى الثرب: ما تهال منه وتبدد . (٨) الأمون: الناقة الوثيقة الخلق

وناقة عُبُرَ أسفار: منتقة قوية تنقى ما مرّت به يريد: أنه وقف نافته أول اليوم على الحلال لم يألها .



فاستجمعت دارُ نُمى ما نكَلَمْنَا والدارُ لو كَلَمْتَا ذاتُ أخْبَارٍ  
فما وجدتُ بها شيئاً أُعِيجُ به إِلَّا الثَّامَّ وإلا مَوْقَدُ النَّارِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

أما يكنى العاقلَ تجاربه ، أما أَيْظُ الفطنِ نوابه ، غلبَ الموتُ فن ذاباله ، قهر  
الخلقَ فمن ذا يحاربه ، كأنكم به قد دبَّت عقاربهُ ، قل للفرطِ وقد حانت مصائبهُ ، القلبُ  
غائبٌ فكيف نعاتبه ، لقد قتل الهوى آله بلا آله فالكم وماله ، خلوا له ماله ، كم طالبُ  
مرايه ماله ، كم لذة أخفيت وأبقت<sup>(٢)</sup> قاله ، إياكم وإيا الدنيا فاتها محالة .

ومَكَاسِبُ الدنيا وإن كُثِرَتْ فما يبقى سوى تبعاتها والمآثم  
فليكن بالقفل الجليل فإنه أنس<sup>(٣)</sup> للقيم غداً وزاد للمعدم  
كان حبيب المعنى إذا أصبح بكى ، وإذا أمسى بكى فست زوجته عن بكائه ،  
ضالت : يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح وإذا أصبح أن لا يمسي ، يقول لى : إن ميتٌ  
فأضلى كذا وأصنعى كذا .

وكان شُعَيْطُ بن عَجْلان يقول : أيها الفتر بصحته أما رأيت ميتاً من غير سقم أيها  
الفتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً من غير علة ؟ !

كان شيخ متعب في نيم الله يجتمع إليه فتيان الملى فيعظهن فإذا أرادوا أن يفرقوا قال :  
يا إخوتاه قوموا قيام قوم قد بسوا من الماودة لجلسهم خوفاً من ورطات الذنوب وخوفاً  
من خضقات الموكل بالنفوس فيبسكى . ويبكى .

وكان يزيد الرقائشي يقول : إلى متى تقول غداً أفضل كذا وبس غدٍ أفضل كذا  
أغفلت سرك البعيد ونسيت الموت ، أما علمت أن دون غدٍ ليلةٌ تحترق فيها أنفس ،  
أما رأيت صرياً بين أحبابه لا يقدر على ردّ جوابهم ؟ !

(١) أعيج به : أرضى . وانجم : نبت . (٢) : وبقت قاله . (٣) ت : فإنه ليس القيم .

مضى اناسٌ وأصبحنا على ثقة أنا سُنْبَعُ بالأشجان نُعْتاجُ  
إن أدلجوا وتخلَّفنا وراءهم وما نسير فإننا سوف نَدْلُجُ

السلام على قومه تعالى

« أم حَبيب الذين اجتروحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات »<sup>(١)</sup>

قام تميم الداري ليلَةً إلى الصباح هذه الآية وكذلك الربيع بن خُثَيْم قام بها ليلة لم يزد .

قال الحسن : لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبداً أبطأ عنه .

وقال يَحْيَى بن بُجْهَان : الناس ثلاثة : فرجل ابتكر الخير في حادثة سنة ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا المقرب . ورجل ابتكر عُمره بالذنوب وطول الغفلة ثم راجع بتوبة ، فهذا صاحب يمين . ورجل ابتكر الشر في حادثة سنة ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب شمال .

إخواني : المعاصي تنكس الرأس وما مَخْطُ كُنْ كَس<sup>(٢)</sup> ، ولا بانٍ على رمل كَحَكِّمِ الأساس ، إن بينهما كما بين الطهارة والانجاس ، وعلى وجه الطائع نور طاعته وعلى وجه العاصي ظلام مخالفته ، وعند الموت يُتَأَنَّى هذا بالبخارة ويقع هذا في الخسارة ، وفي القبر يَفْتَرَشُ هذا مهادَ الفلاح ويُتَأَنَّى ذاك على حَكِّ<sup>(٣)</sup> القَبَاحِ ، وعند الحشر هذا يَرْكَبُ وذاك يُسَحَبُ ، ثم يقال للعصاة : هَلَا ذَكْرَتِمْ وللطائمين : سلامٌ عليكم بما صبرتم . كم بين خَجَلٍ يَدِلُّ وبين طائعٍ يَدِلُّ . إياكم إياكم والذنوب ، احذروا عواقب الميوب ، لقد ورَّطت الذنوبُ أربابها أيَّ إِرَاط ، وأسقطت أصحابها أيَّ إِسْطَاط ، وأبعدتهم عن أغراضهم أشواطاً بعد أشواط ، وضربت عليهم سرادقاً من الندم بعد قَسْطَاط ، هذا جَنَى

الجنة فآين التقي الخياط . تنبها لهذا يا أصحاب اللثم الشَّامِط<sup>(١)</sup> ، تيقظوا فهذا الموتُ بكم قد أحاط ، إياكم والزَّلزل فكم من دم قد أشاط ، آذيتُمْ أنفسكم بالذنوب فهل لكم إغراط ، هذا العدوُّ مُراصدٌ فليكم بالرَّباط ، هذا الفتور وإِنما مَهَرُ الْجِلْدِ النشاط ، سار الصالحون وقد سلكتم غير الصراط ، ما الذي شغلكم عن أهل الحَبَّة ؟ جَمْعُ الحَبَّةِ والقيراط ، كانوا يصومون وأنتم مُفطرون ، ويقومون وأنتم نائمون ، ويكونون خَوْفاً وأنتم تضحكون .

روى عن هشام ، قال : بلغني أن منادياً ينادي من أول الليل : أين العابدون . فيقوم ناس فيصلون ثم ينادي في وسط الليل : أين الفائزون فيقوم ناس فيصلون . ثم ينادي في السحر أين المستغفرون فيقوم ناس فيصلون . فلذا أصبح قال : أين الغافلون .

يا من إذا صلى خَفَّفَ وإذا كال طَفَّفَ ، وإذا دعى تَخَفَّفَ ، وإذا قبل له نُبَّ سَوَّفَ ، ما يؤثر عنده قول من حَذَّرَ وخوف ، ثم يطمع في لحاق الصالحين فما أنصف ، جدَّ القومُ وأنت قاعد ، وقربوا وأنت متباعد ، كم بين راغب وزاهد ، كم بين ساهر وراقد ، شغلهم حُبُّ مَوَلاهم عن لذات دنيائهم ، اسمع حديثهم إن كنت ما ترام ، خوْفهم الشديد قد أزعج وأقلق ، وحذرهم العظيم قد أتلف وأحرق ، وحادي جدِّهم مُجَدِّما يترقُّ ، كلما رأى طول الطريق نصَّ<sup>(٢)</sup> وأعنتق ، وكيف يحسن الفتور وأوقات السلامة تُسرَّق ، دموعهم في أنهار الخلدود تجري وتندفق ، يكاد حزينهم لكثرة الذنوب يَشْرُق ، يشتاقون إلى الحبيب والحبيب إليهم أشوق ، باحْسَنهم في الدجى ونورهم قد أشرق ، والحياه قانص<sup>(٣)</sup> والرأس قد أطرَّق والحفين والأئين قد أخرسا الحمام الملوَّق ، والأسير يبكي ويشكو ويرجو أن يُعْتَق ، فإذا جاء النهار دخلوا سُوراً من التَّقَى بمدخلنق ، تعرّفهم بسيلم وللصدق رَوِّق ، اسلك طريقتهم وسلَّ مُصِيبهم تَوَقَّق . احذر من الهوى فالهوى عدوُّ أزرُق ، يا من كلما أتتهم

(١) اللثم : جمع لقومي الشعر المجاوز لشحمة الأذن . والشَّامِط : جمع شطاء . وهي مخالط بياض الشعر فيها سواده .

(٢) نص : أسرع . وكذا أعنتق . (٣) قانص : كفا في الشيء بفتح ج : والحياه قانص .

ناجحه أنجد ، وكلما غرب شرت ، قد بقي القليل وهذا الرهن يقات .

\*\*\*

أستغفر الله الذى بقضائه مطر السحاب وأخصب الأب  
تباً لقوم أذهبوا أوقاتهم لعباً وأشهد أنهم تبوا  
وصبوا إلى الدنيا فكلهم بها كيف بُفّرَ بحُبّها صب  
شئوا الحروب على حطام زائل وعلى فساد غرائر شَبوا  
رقدوا فما قدت كرمي أجنانهم حتى إذا جان الردى قبوا  
لبوا وقد دعت الدعاة إلى الخنا فجميعهم خطوا فما لبوا

يا قليل النظر فى أمره ، يا غافلاً عن ذكر قبره ، أما تقل الموت واحداً واحداً ،  
وما هو قد أضحى نحوك قاصدا ، كم سلب ولدنا وأخذ والدا ، إلى متى تصبح جاهلا  
وتمسى ماردا ، وتمت على انهوض وما نبرح قاعدا ، متى يذوب دمع ما يزال جامدا ،  
متى ينقص جهل ما بُفّرَ زائدا ، يا من إذا قارب النصح أضحى متباعدا ، لقد نظرت لنفسك  
نظراً فاسداً ، كم أثمرت بك عدوا وأفرحت حاسدا ، يا ناعماً عن خلاصه راقدا ؛ يا مريضاً  
ما نرى له عائدا ، كم نوضح الأمثل ونضرب حديداً بارداً ، أترضى هذا الحال أن يكون  
زاداً لا راحلاً ، تذكر عبث اليمين والشمال إذا خابت جميع الآمال ورأيت حسرة ما جمعت  
من مال ، وتيقنت فراق الأيتام والأطفال ، وحملت فما خفت عنده الجبال ، وبان لك  
أن حديث اللئى مُحال ، يا مؤثر النفى تأمل رشدك ، باراحل عن قابل تعرف قصدك ،  
أصلح بالتقى يومك قبل أن تاتى غدك ، إياك والهوى ودع متعودك :

أصبحت عادت للعبأُ رشدك جهلاً وأسلت للهوى قورك  
حتى متى لا تُفريق من سِنة ولا بداوى مُقنّد فنّدك<sup>(١)</sup>

(١) المقنّد : اللائم . والتند : الضلال ، والخطأ .

تُعمل في صَيْد كُلِّ صَائِدَةٍ خَتَلَكِ طَوْرًا وَتَارَةً طَرَدَكِ<sup>(١)</sup>  
 ترمى التي إِنْ أَصَابَ ظَاهِرَهَا سَهْمُكَ شَكَّتْ بِحَدِّهِ كَيْدُكَ  
 كان الحسن يقول : حَادِثُوا<sup>(٢)</sup> هذه القلوب فإنها سريعة الدُّثُورِ ، وانزعوا هذه الأنفس  
 فإنها طُلُعةٌ ، وإنها تنازع إلى شرغاية ، فتبصروا وتشدّدوا ؛ فإنما هي أيام قلائل وإِنَّمَا أَنْتُمْ  
 رَكَبٌ وَقُوفٌ يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلفظ ، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

يا هذا زاحمٌ باجتهادك للتَّحْنِثِ ، وسيرٌ في سَرَبٍ<sup>(٤)</sup> أهل اليقين ، هل القومُ إِلَّا رجال  
 طرُقوا بابَ التَّوْفِيقِ فَفَتَحَ لَهُمْ ، وما نِيَأْسُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ .

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ امْرِئٍ فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكَ  
 فليس على الجُودِ والمُكْرَمَاتِ إِذَا جَنَّبَهَا حَاجِبٌ يَحْجُبُكَ  
 لقد رَضِيتَ لِنَفْسِكَ النَّيِّبَةَ ، وبعت الدارَ الشريفةَ بالدارِ المهينةَ ، وأعْجَبَكَ مَعَ عَقْلِكَ  
 مَا يَعْجِبُ الْأَطْفَالَ مِنَ الزَّيْنَةِ ، أَتَرَاكَ مَا عَلَتْ أَنَّ الدُّنْيَا مَحْبَةٌ سَفِينَةٌ ، إِنْ ذَكَرَ الصَّالِحُونَ  
 فَلَسْتَ فِيهِمْ ، وَإِنْ عُدَّ الْأَبْرَارُ فَمَا أَنْتَ مَعَهُمْ ، وَإِنْ قَامَ الْعِبَادُ لَمْ تَرَبِّبْنِهِمْ ، وَمَحَكَ أَنْتَ طَمَعٌ  
 فِي الْحِصَادِ وَلَا يَذَرُ لَكَ ، أَتَرْجُو الْأَرْيَاحَ وَلَا تَجَارَةُ مَعَكَ ، تَنْبِي بِلَا أَسَاسٍ وَلَا بَيْتِ الْبِنَاءِ ،  
 وَتَحْمِلُ عَلَى عَسْكَرِ الْهَوَى بِلَا عَزْمٍ فَلَا تَصِلُ إِلَى مَرَادٍ ، وَمَحَكَ دُمٌّ عَلَى الْحَفِيَّةِ يَزُلُّ أُنْزُ  
 التَّخْلِيطِ ، وَاسْتَوْقَوْا مِنْ عَقْدِ الْعَزْمِ خَوْفًا أَنْ يَنْحَلَّ ، فَإِنْ عَرَضَ تَصْغِيرُ يَوْهِنٍ فَاسْتَدْرِكْ نَعْنَ  
 إِذَا مَا عَقَدْتَ الْعَقْدَ ثُمَّ تَرَكْتَهُ وَلَمْ تَنْتَهَ عَقْدًا وَهِيَ ذَلِكَ الْمَقْدُ  
 وَمَا الْيَسْدُ لَوْلَا أَخْتَهَا بِقُوَّةٍ وَلَا الرَّجُلُ لَوْلَا الرِّجْلُ تَمْشِي وَلَا تَعْدُو

(١) الختل : الخنازير والطرود : مزاولة الصيد .

(٢) حادثوا : حدثوا . (٣) دُم الهوى ص ٣٦ (٤) السرب : الطريق .

ولا كل محتاج إلى ما يشده فيصيف إلا والوهاء له وكُدُّ<sup>(١)</sup>  
ترفع عن التعذير<sup>(٢)</sup> غير مذمم إلى شرف الإعذار يخلص لك الحمد  
ويحك ضاق الوقت فتى تزود، تمب الرائض وما تترك للتعود.

عجبت للطلاب الأمر البصير بما فيه من النقى إذ يسى له طلباً  
وللُكْب على مالٍ يثمره وسوف يصبح منه المالُ منهياً  
وللداوى ضنى جسم عراه وقد دعا إلى نفسه الأوجاع والوصباً  
فذكر النفس هو لا أنت راكبه وكربة سوف تلقى بعدها كربةً  
لا تحترق من الآثام محترقاً كل امرئ سوف يُجزى بالذى اكتسباً  
إذا أتيت الماعى فاخش غايتها من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً  
لتعظم على أهل الخالقات الآفات<sup>(٣)</sup>، ولتعظم أفئدة المفرطين بالزفات، وليشتهرن  
الفاجر فى الخلوات بالجلوات، ولتمورن السوق يوم السوق إلى سوق الخاسبات، ولتسلى  
الدماء بعد الدموع على الوجنات، وليتحسرن أهل الماعى إذا لاحت درجات الجنات،  
ولينادين منادى الجزاء يُخبر بتفاوت المعطاء ووقوع السيئات « أم حَسِبَ الذين اجترحوا  
السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

(١) يصف : يميل ويصل . والوهاء : الضعف . والوكد : الدأب . (٢) : عن التعذر .

(١) : الأوقات

## المجلس الخامس

### في ذكر ليلة النصف من شعبان

الحمد لله الذي لا ناقض لما بنّاه . ولا حافظ لما أفناه ، ولا مانع لما أعطاه ، ولا رادّ لما قضاه ، ولا مظهر لما أخفاه ، ولا ساتر لما أبداه ، ولا مُضِلّ لمن هداه ، ولا هادي لمن أعماه ، أنشأ الكون بقدرته وما حواه ، ورزق الصّون بمنته ومنه من والاه ، « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » . خلق آدم بيده وسوّاه وأسكنه في حرم قُربه وجماه ، وأمره كما شاء ونهاه ، وأجرى القضاء بمواقته هواه ، فنزعت يدُ التفریط ما كساه ، ثم تاب عليه فرحه واجتباؤه وحالُه بنذر من يسعى فيما اشتباه ، وطرد لإيمس وكانت السموات مأواه فأصممه بمخالفته كما شاء وأعماه ، وأبعدته عن بابهِ للصّبيان<sup>(١)</sup> وأشتتاه وفي قصته نذير لمن خالفه وعصاه . ألان الحديد لداود كما تمنّاه ، يَأْمَنُ لابسُه من يلقاه ، ثم صرع صانعه بسهم قدر ألقاه ، فلما تسوّر الحراب خَصَمَاهُ أظهر جدال التوبيخ نفعيَاهُ « وظنّ داودُ أنما قَتَلناه » وذهب ذو النون مغاضباً فالتقمه الحوت وأخفاه ، فندم إذ رأت حيناه ما جنت بداه ، فلما أقلقه كُربُ ظلامٍ تنشّاه تضرع مستغيثاً ينادي مولاه : « إني كنت من الظالمين . فنجّيناه » .

تعالى ربنا وسبحانه وحاشاه أن يخيب راجيه وينسي من لا ينساه ، أخذ موسى من أمه طفلاً ووراعاه ، وساقه إلى حجرٍ عدوه فربّاه ، وجاد عليه بنم لا تمحى وأعطاه ، فشى في البحر وما ابتلت قدماه ، وتبعه العدو فأكدره الفرق وواراه ، فقال آمنت فإذا جبريل يمدّ يده ، وكان من غاية شرفه ومنتهاه أنه خرج يطلب ناراً فناداه : « يا موسى إني أنا الله »

وشرف أمته شرفاً بيناً أولاه « وأنى فضّلتكم على العالمين » بكنتم<sup>(١)</sup> خير أمة أخرجت للناس .  
خلق محمداً واختاره على الكلّ واصطفاه ، وكشف له الحجاب عند قاب قوسين  
فرآه ، وأوحى إليه من سرّه للمستور ما أوحاه ، ووعد القام المحمود وسيلقه مناه .  
فالحمد لله الذى دلنا بنبية عليه وعرفناه ، وأجلنا بالقرآن العظيم القديم وعلمناه ، وهدانا  
إلى بابه بتوفيق أو دعائه ، حمداً لا ينقضى أولاه ولا ينفد آخره .  
وصلّى الله على محمد ما تحركت الألسن والشفاه ، وعلى آله وصحبه صلاة دائمة تدوم  
بدوام ملك الله ، وسلم تسليماً .



عباد الله إن ليستكم هذه النصف ، عظيمة التدرج ومجيدة الوصف ، يطالع الله فيها على العباد ،  
فيفغر لكل ما خلا أهل العناد .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة  
فخرجت فإذا هو بالبيع رافع رأسه إلى السماء فقال : كنت تخافين أن يحيف الله عليك  
ورسوله ؟ قلت : يا رسول الله ، ظننت أنك أتيت بعض نساءك . فقال : « إن الله عز وجل  
ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب »  
وعنها أيضاً قالت : كانت ليلة النصف من شعبان أيلقى فبات رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عندى ، فلما كان في جوف الليل فقدته فأخذنى ما يأخذ النساء من الغيرة . فتلفعت  
بسرطى ، أما والله ما كفى مرطى خزاً ولا قرأ ولا حريراً ولا ديباجاً ولا قطناً ولا كتاناً .  
قيل : فمـ كان ؟ قالت : كان سداً شمرًا ولحمته من أوبار الإبل . قالت : فطابت في حجر  
نائه فلم أجده فانصرفت إلى حجرى فإذا به كالثوب الساقط على وجه الأرض ساجداً  
وهو يقول فى سجوده : سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فزادى ، هذه يداى  
وما جنيتُ بهما على نفسى ، يا عظيماً يرتجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم ، أقول كما قال

(١) : وكنتم خير أمة أخرجت للناس . (٢) الحديث أخرجه الزهنى فى صحيحه كتاب الصرم باب  
ما جاء فى ليلة النصف من شعبان . قال الزهنى : وسميت محمداً يضاف هذا الحديث . ورواه ابن ماجه  
فى سننه حديث رقم ١٣٨٩



داود عليه السلام أَعَفَّ وجهي بالتراب لسيدي وَحُقَّ له أن يسجد وجهي للذي خلقه وَشَقَّ سمعه وبصره . ثم رفع رأسه صلى الله عليه وسلم قال : اللهم ارزقني قلباً قَيِّماً من الشرك لا كافراً ولا شقيماً . ثم سجد وقال : أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من معاقبتك ، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . قالت : ثم انصرف ودخل معي في الرحيلة ولى نفس علي فقال : ما هذا النفس يا حبيراء ؟ قالت : فأخبرته فطلق يمسح يده على ركبتي ويقول : « ويح هاتين الركبتين ماذا لقيتا في هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ، إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا <sup>(١)</sup> فيغفر لعباده إلا لمشرك أو مشاحن » .

وفي رواية أخرى عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يا حبيراء أما تدرين ما هذه الليلة ؟ هذه ليلة عتقاء من النار بمدد شعر غنم كلب . قلت : يا نبي الله وما بال غنم كلب ؟ قال : ليس في العرب قوم أكثر غنا منهم ، لا أقول فيهم ستة : مُدْمَن خمر ولا عاق والدبه ولا مصرّ على ربا أو زنا ولا مُصَارِم ولا [مُصَوِّر] <sup>(٢)</sup> ولا قَتَات . وروى عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يُطَاع الله إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا لاثنتين : مشاحن وقاتل نفس <sup>(٣)</sup> » .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة النصف من شعبان يفر الله لعباده إلا لمشرك أو مشاحن » .

قلت : والظاهر من <sup>(١)</sup> للشافعي أنه الذي بينه وبين أخيه المسلم عداوة . وقد قال الأوزاعي : هو الذي في قلبه شحنة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يُسْح <sup>(٤)</sup> الله الخير في أربع ليال سحاً : الأضحي والنظر وليلة النصف من شعبان تُنْسَخ فيها الآجال والأرزاق ويكتب فيها الحاج ، وفي ليلة <sup>(٥)</sup> عرفة إلى الأذان .

(١) ت : إلى السماء الدنيا . (٢) ليست في ت . (٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ١٧٦/٢ .

(٤) ت : والظاهر أن الشاحن الذي بينه . (٥) يسح : يغضب . (٦) ت : وليلة عرفة .

وفي حديث عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : خَسُّ لَيْالٍ لَا يُرَدُّ فِيهِنَّ الدُّعَاءُ . فذكر منهن ليلة النصف من شعبان .

وروى ابن كِرْدَوَيْسٍ عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحيا لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ وَلَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ »<sup>(١)</sup> .

وعن عليّ أنه قال : « إذا كان ليلة النصف من شعبان قال الله تعالى : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من مسترزق فأرزقه ؟ حتى يَنْفَجِرَ النَّجْرُ . فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيام ليلتها وصيام نهارها » .

وقال حكيم بن كيسان : يَطَّلِعُ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَمِنْ طَهَرَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ زَكَّاهُ إِلَى مِثْلِهِا مِنْ قَابِلٍ .

روى عن عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ »<sup>(٢)</sup> قال : فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ يَدْبُرُ اللَّهُ أَمْرَ الْمَنَّةِ وَيُنْشِخُ الْأَحْيَاءَ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، وَيَكْتُبُ حَاجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ فَلَا يَزِيدُ فِيهِمْ أَحَدًا وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ أَحَدًا .

واعلم أن الرواية بهذا عن عِكْرَمَةَ مُصْطَرَبَةٌ ، فَتَارَةً يَرُوى هَكَذَا وَتَارَةً يَرُوى أَنَّهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ كِبَاقٍ لِلْمُفَسِّرِينَ . وَقَدْ سَبَقَتِ الْأَحَادِيثُ أَنَّ الْأَجَالَ تَكْتُبُ فِي شَعْبَانَ ، فَجَائِزٌ أَنْ يَخْتَصَّ شَعْبَانُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَجَالِ وَيَكُونُ الْقَدَرُ الْعَامُّ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ .

وقد رويت لهذه الليلة خمس صلوات ليس في أسانيدھا شيء صحيح ، ولا فيها ما يثبت ، فلذلك سكتنا عن ذكرها ، فإن الحديث إذا لم يصح كان وجوده كالمدم .

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط بطون : «ليلة النصف من شعبان» مجمع الزوائد ١٩٨/٢

(٢) سورة الدخان ٤

### الكلام على السورة

سَهْمُ الْمَنَالِ (١) أَبَدًا صَائِبٌ يَدْعُو إِلَى الْبَيْتِ مُتَعَرِّضًا  
بَيْنَا الْفَتَى فِي عَيْشِهِ نَاعِمٌ تَفَرُّهُ الْأَيَّامُ حَتَّى قَفَى  
وَكُلُّ يَوْمٍ مَرٌّ مِنْ عُمْرِهِ يَحْذَوْهُ لِلتَّرْجَالِ مُتَقَنِّهَا  
وَالنَّفْسُ دَيْنٌ لِلوْتِ عِنْدَ الْوَرَى وَدَيْنُهُ لَا بَدَّ أَنْ يَقْتَضَى  
بِاعْجَبَا مِنْ عَالَمٍ آمِنٍ مِنْ غَدَرِهِ أَوْ سَيْفِهِ لِنَتَقَى  
أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَبَقُوا لِلنَّهْيِ وَانْتَبَهُوا بِالْمُشْرَبِ لِنَرْتَقَى  
طَوْنَهُمُ الْأَجْدَاثُ فِي ضَيْفِهَا وَعَادَ مِنْ يَهْوَاهُ مُضَرِّعَا

أَيْنَ الْحَبِيبِ وَالْخَلِيلِ ؟ وَدَعَا ، أَيْنَ الرِّفِيقِ ؟ رَحَلَ عَنْكُمْ دَعَا ، أَلَيْسَ الْمَوْتُ لَكُمْ  
فِي الْحَيَاةِ مَطْلَعًا ؟ أَخَذَ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ مَعًا ، صَاحَ الْوَالِدَ وَالْوَلَدَ فَاسْرِعَا ، جُزْ عَلَى الْقُبُورِ  
تَرَى الْقَوْمَ خُشَعًا ، أَيْنَ الْفَهْمِ وَالتَّدْبِيرِ ، أَيْنَ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالتَّكْبَرِ ، أَيْنَ مَنْ فَسَحَ لِنَفْسِهِ  
فِي الزَّلَلِ ، أَيْنَ مَنْ خَانَهَا بِبَيْعِ الْعَمَلِ ، بَيْنَنَا هُوَ يَعْمُرُ فِي رِبَاعِهَا ، وَقَدْ اشْتَرَاهَا وَمَا بَاعَهَا ،  
يَخْفِرُ فِيهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَغْرَسُ فِيهَا الْأَشْجَارُ ، وَالْهَالِكُ تَدُورُ حَوْلَ الْبَارِ [ وَالسَّارَى بِحَسْبِهَا  
تَسْرَ ، وَتُحَوِّرُهَا قَدْ زَانَهَا الدُّرُ ، وَالتُّخُوتُ تَمْلَأُ الصَّنَادِيقَ ، وَرُكْنُ الْيَمْرِ فِي الدُّنْيَا وَثِيقٌ ،  
وَالْمَالُ يَجْمَعُ فَوْقَ الْمَالِ ، وَالْخَلِيلُ تَرْدِي فِي الْجَلَالِ ، وَالْمُرَاكِبُ مِنْ أَلَى نَصَاغٍ ، وَقَدْ مُنَحَتْ  
الصَّحَّةُ إِلَى الْفَرَاغِ ، ثُمَّ سَاعَدَ سَاعِدَ الشَّبَابِ كَفَّ الْهَمُّ عَلَى الْاسْتِلَابِ ، وَالْهُدُودُ قَدْ رُتِّمَتْ عَادَ ،  
وَالْبُعَاشُ فِي الْمَلِكِ بِطِشٍّ عَادَ ، وَقَدْ أَسْكُرَتْ مِنْ قَبْلِ شُرْبِ الْخَمْرِ لَذَّةُ النَّعْيِ وَالْأَمْرِ ، صَاحَتْ  
بَيْنَ الْبَيْنِ أَغْرَبَةُ الْبَيْنِ ، فَزَوَّتِ النَّيْنُ وَأَسْخَنَتِ الْمِينُ ، نَاقَهُ قَدْ اسْتَلَبَ صَاحِبُ الْقَمَرِ  
بِكَفِّ النَّسْرِ ، فَصَارَ بِالْقَهْرِ أَحَدُوتَهُ الدَّهْرُ ، وَلَقَدْ كَانَ عَلَى غَايَةِ الْبَلَى فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ ، فَوَاجِبَا  
لِجَنَةِ صَارَتْ كَالنَّصْرِيمِ بَعْدَ الزَّهْرِ (٢) ] .

(١) ت : سهم المنية . (٢) ملين القوسين ساقط من ت .

نُودِيْ بِصَوْتٍ أَيْتَا صَوْتِ مَا أَقْرَبَ الْحَيِّ مِنَ الْمَوْتِ  
كَأَنَّ أَهْلَ النَّيِّ فِي غِيْهِمْ قَدْ أَخَذُوا أَمْنًا مِنَ الْفَوْتِ  
كَمْ مُضْنِجٍ يَمْتَرُ يَتَنَاسَلُ لَمْ يَمْسُ إِلَّا خَرِبَ الْبَيْتِ  
هَسْدًا وَكَمْ حَمْدٍ بِكَيِّ مَيِّتَا فَأَصْبَحَ الْحَيُّ مَعَ الْمَيِّتِ



يا مشغولاً بما لديه عما بين يديه ، يا غافلاً عن الموت وقد دنا إليه ، يا ساعياً إلى ما يضره  
بقدميه ، يا مختاراً المؤذي له من حالتيه ، يا من الدهر وقد رأى صرقيته ، كم عابن ميّتا  
لو اعتبر بعينيّه ، إنما أغار على شبابه هاجم على قوّده ، أينفعه يوم الرحيل دمعاً خديبه ؟ يا من  
يصبر عن قليل إلى حفرة ، تنبّه لنفسك من هذه السكرة ، لو أنك تذكرت لحدك كيف  
تبليت وحدك ، وبيّاشر التراب خذك وتنقسم الديدان جلدك ، ويضحك الحب بحدك  
ناسياً عنه بُدّك ، والأهل قد وجدوا المال وما وجدوا قَدّك ، إلى متى وحتى متى تترك  
رشدك ، أما تحسّن أن تحسّن قصّك ، الأمر مجدّ جداً فالزم جدّك .

ذهب الأُحبةُ بعد طُولِ تَوَدُّدٍ وَنَأَى الزَّارُ فَاسْلُوكِ وَأَقْشَمُوا  
خَذَلُوكَ أَقْفَرُ مَا تَكُونُ لِفُرْبَةٍ لَمْ يُونْسُوكِ وَكَرْبَةً لَمْ يَدْفَعُوا  
فَقَضَى الْقَضَاءُ وَصَرَّتْ صَاحِبُ حُفْرَةٍ عَنْكَ الْأُحْبَةُ أَعْرَضُوا وَتَهَدَّعُوا



إخواني : إنكم تَعُدُّون وتروحون في آجال قد غيّبت عنكم ، لا تدرون متى تهجم  
عليكم ، فالوحا الوحاً فالطالب حثيث .

يَجِدُّ بِنَا صَرَفُ الزَّمَانِ وَتَهْوِلُ وَتَوْقُظُ بِالْأَحْدَاثِ فِيهِ وَتَنْفُلُ  
وَمَا النَّاسُ إِلَّا ظَالِمِينَ أَوْ مَوْدِعَ وَمُسْتَلَبٌ مُسْتَجِلٌ أَوْ مُؤَجَّلُ  
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنْزِلٌ إِذَا مَا قَطَعْنَا مَنْزِلًا بَانَ مَنْزِلُ

فَنَآءُ مُلَحٍّ مَا يُبِ جَمِينَا إِذَا عَلَشَ مِنَّا آخِرُ مَا تِ أَوَّلُ  
وَكَمْ صَاحِبٍ لِي كُنْتُ أَكْرَهُ تَعْدَهُ تَسْلَمُهُ مَتَى الْفَنَاءُ الْمَجْجَلُ

اسمعوا عظة الزمان إن كنتم تسمعون وتأملوا قلب الأحوال إن كنتم تبصرون .  
قال يحيى بن معاذ : لوسم الخلائقُ صوتَ النياحة على الدينامن ألسنة الفناء لتساقطت  
القلوب منهم حُزْناً ، ولو رأَت العقول بين الإيمان نزهة الجنة لقابت النفوسُ شَوْقاً ،  
ولو أدركت القلوب كُنْهَ الحجة لخالقتها لتخلَّت مفاصلها ولها . فسيحان من أغفل الخليفة  
عن كُنْه عين هذه الأشياء ، وألهام بالوصف عن حقائق هذه الأنبياء :

مِن نَالٍ مِّنْ جَوْهَرِ الْأَشْيَاءِ بُغِيَّتَهُ يَأْسَى وَيَحْقِرُ قَوْمًا حَظُّهُمْ عَرَضُ  
إِنِّي لِأَعْجِبُ مِنْ قَوْمٍ يَشْفُهُمْ حُبُّ الزَّخَارِفِ لَا يَذَرُونَ مَا لِفَرَضُ  
أَلَا عَقُولُ أَلَا أَحْلَامُ تَزْجِرُهُمْ بَلَى عَقُولٌ وَأَحْلَامٌ بِهَا مَرَضُ

إخواني : من آثر قِنَاعَ القناعة حاطه من رداء الردى . ومتى ساعد القترَ ساعدُ  
الصبرِ قَلَعَ قَلَمُ الحِرْصِ فاستنارت طريقُ الهدى بمصباح اليقظة ، ومتى تأنَّجت نيرانُ  
الخوف<sup>(١)</sup> أحرقت مواطن الهوى وطردت عنه الدنيا :

تَزُودُ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ هَالِكٌ وَتَتْرِكُ لِلْأَعْدَاءِ مَا أَنْتَ مَالِكٌ  
وَوَسَّعَ طَرِيقًا أَنْتَ سَالِكُهُ غَدَا فَلَا يَدُ مِنْ يَوْمٍ تَضِيقُ لِلْمَالِكِ

(١) ت : نيران الحزن

## الكلام على قوله تعالى حم والكتاب المبين

اختلف المفسرون في « حم » على قولين : أحدهما : أنها من التشابه الذى استأثر الله بعلمه . وهذا مذهب جماعة من المفسرين . والثانى : أنها معروفة المعنى . ثم لهؤلاء فيها قولان : أحدهما أنها حروف من أسماء . ولهؤلاء فيها ثلاثة أقوال : أحدها : أنها من الرحمن . قال ابن عباس : الـ ، وحم ، ون ، اسم الرحمن على الهجاء . والثانى : أن الحاء مفتاح اسمه حميد والميم مفتاح اسمه مجيد قاله أبو العالية . والثالث أن الحاء مفتاح كل اسم ابتدأه حاء مثل حكيم وحليم وحى . والميم مفتاح كل اسم ابتدأه ميم مثل ملك ومجيد . حكاه أبو سليمان العمشقى .

والقول الثانى : أن معنى حم : قُضى ما هو كائن . رواه أبو صالح عن ابن عباس كأنه يصير إلى حم الأمر .

قال المفسرون : حم قسم جوابه : « إنا أنزلناه » والهاء كناية عن الكتاب وهو القرآن . « فى ليلة مباركة » وفيها قولان : أحدهما أنها ليلة القدر . قاله الأكثرون . والثانى : ليلة النصف من شعبان : وقد ذكرناه عن عكرمة . « إنا كنا منذرين » أى مخوفين عقابنا . « فيها يُفرق » أى يُفصل « كل أمر حكيم » .



اجتهدوا الليلة فى محو ذنوبكم واستغثوا إلى مولاكم من عيوبكم ، هذه ليلة الإنابة فيها تفتح أبواب الإجابة ، أين اللائذ بالجناب ، أين المتعرض<sup>(١)</sup> ، أين الباكي على ما جرى ، أين المستغفر لأمر قد دنا ، كم منقول فى هذه الليلة من ديوان الأحياء مثبت فى صُحف أهل التلف والفناء ، فهو عن قرب يفجأ بالمات وهو مقيم على السيئات ، ألا ربَّ فرِّح بما يؤتى قد خرج اسمه مع الموتى ، ألا ربَّ غافل عن تدبير أمره قد انقصت عرى

(١) ت : المفترض .

عُمره ، ألا رب مُعرض عن سبيل رُشدِه قد آن أوانُ شَقِّ لَحْدِه ، ألا ربُّ رافِلٍ في ثوبِ شِبابِه قد أُرِفَ فراقُه لأحبابِه ، ألا رب مقيم على جِهله قد قرب رَحيله عن أهله ، ألا رب مشغول بجمع ماله قد حانت خيبة آماله ، ألا رب ساعٍ في جمع حُطامِه قد دنا تشييت عِظامِه ، ألا رب مُجِدِّ في تحصيل لذاته قد آن خرابُ ذاته ، أين من كان مثلَ هذه الأيام في منازلِه يَنسأُ في طمأنينته إزعاجَ مُنازلِه ، مشغولا بشهواتِه مغرورا بعاجله ، أما أصحاب مَقَاتِلِهِم مُقاتِلَه ، أما ظُهر خَساره عند حساب مُعامِلِه ، أين المعتذر مما جَناه قد اطلع عليه مولا ه ، أين الباكى على قصيره قبل تحسره في مصيره ، يامطرودا مادري ، تَعاتَب ولا نَهم ماجرى ، متى تُرى على الباب ترى :

تَعالَوْا كُلٌّ مِنْ حَضْرَا لِنَطْرُقْ بَابَه سَحْرَا  
وَنَسْكِ كُلُّنَا أَسْفَا عَلَى مَنْ بَاتَ قَدْ هَجِرَا

روى عن كعب الأبحار رضى الله عنها قال : إن أهل الجنة لَيُفْرَحُونَ بِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْخُورِ وَالْخَزَنَةِ وَالْوِلْدَانِ كَمَا يَفْرَحُ أَهْلُ النَّارِ مِنْ ذُرِيَةِ آدَمَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ إِذَا سَكَنُواهَا . وذلك أن الله عز وجل يبعث جبريل عليه السلام في ليلة النصف من شعبان فيقول : السلام عايكن أيها الجن أن أنا جبريل الأمين رسول رب العالمين تزيى وتجلدى وازدادى نوراً وتلاشى وافضى أبواب مقاصيرك للرُجائية وحجالتك العُقبورية التي بطائنها من إستبرق وحشوها أذقِ ربّات المسك ، وأخرجى متضمنات الخلوقات التي لم يطعمهن إنس قبلهن ولا جان ، فإن الله عز وجل قد أعتق في ليلتك هذه عدد نجوم السماء وعدد أيام الدنيا ولياليها وعدد ورق الشجر وزنة الجبال وعدد الرمال <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

يا مضيعا اليومَ تضعيه أمس ، تيقظ ويحك قد قتلت النفس ، وتنبه لا تسعود قذالي  
كم نحس ، واحفظ بقية العمر قد يمت اللغوى باليخس <sup>(٢)</sup>

(١) هنا من المبالغات التي لا ترجع إلى أصل صحيح (٢) ت : بوكس .

أَوَّلُ جَفْوَةِ الدِّنْيَا وَتَهْوِينِ شَأْنِهَا      فَمَا الْعَاقِلُ الْمَفْرُوزُ فِيهَا بِعَاقِلٍ  
يَرْجَى خُلُودًا مَعِشَرُ صَلَّى ضَلُّهُمُ      وَدُونَ الَّذِي يَرْجُونَ غَوْلُ الْغَوَائِلِ  
وَلَيْسَ الْأَمَانِيُّ لِلْبَقَاءِ وَإِنْ مَضَتْ      بِهَا عَادَةٌ إِلَّا تَمَّ الْيَلُّ بِاطِلِ  
وَمَا الْمَقْلُوتُونَ أَجْمَلُ الدَّهْرِ فِيهِمْ      بِأَكْثَرِ مَنْ فِي عِدَادِ الْحَيَائِلِ  
يُسَارُ بِنَسَا قَصْدِ اللَّبُونِ وَإِنَّا      لَنُصْغَفُ أحيانًا بِطَيِّ الْمَرَاكِيلِ  
غَفَلْنَا عَنِ الْأَيَّامِ أَطْوَلَ غَفْلَةٍ      وَمَا جُوبَهَا الْحَشْيُ <sup>(١)</sup> مِنْهَا بِغَافِلِ

\*\*\*

إِخْوَانِي حِبَالِ الْأَمَلِ رِثَاثُ ، وَسَاحِرُ الْهَوَى نَفَاثُ ، رَحَلَ الْأَقْرَانُ إِلَى ظِلَاةِ الْأَجْدَاثُ ،  
لَهُ مَا صَنَعْتَ الْأَجْدَاثُ فِي الْأَحْدَاثُ . أَفُتَدِمُ بِلَاثُكُمْ فَإِذَا مَ بِلَا مِ إِلَى وَاللَّهِ وَغَاثُ  
بَانُوا شَيْبَاعًا مِنَ الْأَمَلِ فَإِذَا مَ غِرَاثُ <sup>(٢)</sup> وَإِنْ لَهُمْ أَنْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْهَوَى أَضْغَاثُ  
وَاسْتَغَاثُوا بِالْخُلَاصِ . وَقَدْ فَاتَ الْغِيَاثُ . مَجْبَأُ لَهُمْ مَا لَهُمْ صِرَّ النَّوَى مَا لَهُمْ فِي الْمِيرَاثُ . فَدَبَّرُوا  
أَنْتُمْ أَحْوَالَكُمْ فَقَدْ تَرَوْنَ أَمْوَالَكُمْ لِلْوَرَاثُ ، أَسْفَا لَأَجْسَامِ ذُكُورٍ وَعَقُولِ إِنَاثُ :  
أَكْبَرُ بَنُو الدُّنْيَا عَلَيْهَا وَإِنَّمَا لَقَنَهُمُ الْأَيَّامُ عَنْهَا لَوْ انْتَهَوْا  
مَقَى قَبْلَنَا قَدَمًا قُرُونٌ كَثِيرَةٌ وَنَحْنُ وَشَيْبَاكَ مَا سَنُفِي كَمَا مَضُوا  
سَيَبْكُونَ حُزْنًا حَوْلَ قَبْرِكَ سَامَةٌ وَلَا يَبْرَحُونَ الْقَبْرَ إِلَّا وَقَدْ سَلَوْا  
رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا إِذَا مَا سَمَوْا بِهَا هَوَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا عَلَى قَدَرٍ مَا سَمَوْا

\*\*\*

يَا مَنْ يَجُولُ فِي الْمَعَاصِي قَلْبُهُ وَهْمُهُ ، يَامُؤَثِّرُ الْهَوَى عَلَى الثَّقَى لَقَدْ ضَاعَ حَزْمُهُ ، يَامُعْتَدَا  
صِحَّتَهُ فِيمَا هُوَ سَقَمُهُ ، يَامَنْ كَلَّمَ زَادَ عَمْرُهُ زَادَ إِثْمُهُ ، يَاطْوِيلُ الْأَمَلِ وَقَدْ رَفَقَ عَظْمُهُ ،  
أَمَّا وَعَظْلُكَ الزَّمَانُ وَزَجْرُكَ مُلْكُهُ ، أَيْنَ الشَّبَابُ قُلْ لِي قَدْ بَانَ رَسْمُهُ ، أَيْنَ زَمَانُ الرَّحْلِ لَمْ يَبْقَ  
إِلَّا اسْمُهُ ، أَيْنَ اللَّذَّةُ ذَهَبَ الطَّعُومُ وَطَعْمُهُ ، كَيْفَ يَقَاوِي الْمَقَاوِي وَلِلْوَتِّ حُصْمُهُ ، كَيْفَ

(١) ب ج : وما جوفها الهنى . (٢) الفراء : المبوعى .



خلاص من قد أغرق<sup>(١)</sup> فيه سببه ، بالدفع الأمل قد بالغ فيه سمّه ، يا قليل العبر وقد رحل  
أبوه وأمه ، يامن سيجمعه الحدُّ عن قليل ويضمّه ، كيف يوعظ من لا يهبط عقله ولا فهمه ،  
كيف يُوقظ من نام قلبه لآعينته ولا جسمه .

إذا لم تسكن دنياك دارَ إقامةٍ      فما لك تبنيها بناءً مُقيمٍ  
وما صعبٌ وُدَّ انْخِلَ فيها وإِنَّمَا      يُعَرِّ بُودٍ في الحياة سقيمٍ  
وجدتُ بنى الأباُم في كلِّ موطنٍ      يمدّون فيها شِقْوَةً كنعيمٍ  
تزيدك قَرَأَ كلما ازدادت ثروةً      فتُلقَى غِنياً في ثيابٍ عديمٍ

## المجلس السادس لاستفتاح شهر رمضان

الحمد لله اللطيف الرؤوف العظيم المنان ، الكبير القدير القديم الديان ، الفنى العلى  
القوى السلطان ، الحليم الكريم الرحيم الرحمن ، الأول فالسبق لسبقه ، المنعم فاقام مخلوق  
بحقه ، الموالى بفضله على جميع خلقه بشرائف النافع على نوالى الزمان ، جلّ عن شريك  
وولد ، وعزّ عن الاحتياج إلى أحد ، وتقّس عن نظير وانفرد ، وعلم ما يكون وأوجد  
ما كان . أنشأ المخلوقات بحكمته وصنّعها ، وفرّق الأشياء بقدرته وجمّعها ، ودحا الأرض على  
اناء وأوسعها « والسماء رفعها ووضع الميزان » .

سالت الجوامد لهيبته ولانت ، وذات الصّعاب لسلطوته وهانت ، وإذا بطاش « انشقت  
السماء فكانت ورْدَةً كالدهان » .

يُمرُّ ويُدل ، ويفقر ويفنى ، ويُسدّ ويُشقى ، ويبقى ويُفنى ، ويثين ويَزين ، ويُنقص  
ويُبنى « كلُّ يومٍ هو فى شأن » .

قدّر التقدير فلا رادّ لحُكمه وعلم سرّ العبد وباطن عَزَمه « وما تحمّلُ من أنّى  
ولا تُضعُ إلا بعلمه » ، ولا ينتقل قدم من مكان .

مدّ الأرض فأوسّعها بقدرته ، وأجرى فيها أنهارها بصنّته ، وصنّع ألوان نباتها بحكمته ،  
فن يقدر على صنّيع تلك الألوان . ثبّتها بالجبال الرواسى فى نواحيها ، وأرسل السحاب بمياه  
تحّيئها ، وقفى بالفناء على جميع ساكنيها « كلُّ مَنْ عليها فان » .

من خدّمه طامعا فى فضله نال ، ومن لجأ إليه فى رَفْع كربه زال ، ومن عامله أربحه  
وقد قال : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » .

إله يُنبئ عباده ويماقب ، ويبهب الفضائل ويمتّح للناقب ، فالغور للنتقى والعزّ للمراقب

« وابن خاف مقامَ ربه جَنَّان » .

أنم على الأمانة بتمام إحسانه، وعاد عليها بفضلها وامتنانه، وجعل شهرها هذا مخصوصا بعميم غفرانه « شهرُ رمضان الذي أنزل فيه القرآن » .  
أحمد على ما خصَّنا به فيه من الصيام والقيام ، وأشكره على بلوغ الآمال وسُبُوغ  
الإِنعام ، وأشهد أنه الذي لا تحيط به القول والأذهان ، وأن محمدا أفضل خلقه وبرِّيته ،  
المقدَّم على الأنبياء ببقاء معجزته ، الذي انشق ليلة ولادته الإيوان ، صلى الله عليه وسلم ،  
وعلى أبي بكر الصديق رفيقه في الفار ، وعلى عمر فتَّاح الأمصار ، وعلى شهيد الدار عثمان ،  
وعلى عليٍّ كاشف غمِّه سيد الشجعان <sup>(١)</sup> ، وعلى عمه العباس المطهر من الأرجاس ، الذي  
دُعِيَ به فلل من السحاب تهتان .

\*\*\*

قال الله عز وجل : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » <sup>(٢)</sup> .

إنما سُمِّي الشهر شهرًا لشهرته في دخوله وخروجه . قاله النحاس . وأما أسماء الشهور  
فذكر أبو منصور الأزهري عن الفضل قال : كانت العرب في الجاهلية تقول لرمضان تاق ،  
ولشوال وعيل ، وللمحرم مؤتمر ، ولصفر ناجر ، ولربيع الأول خُوَّان ، ولربيع الآخر بُصَّان ،  
ولجداى الأولى رُنَى <sup>(٣)</sup> ، ولجداى الآخر حَنِين ، ولرجب الأصم ، ولشعبان عاذل . قال :  
وكانت عاد تسمى هذه الأشهر بهذا فلما نقلت العرب أسماء هذه الأشهر سموها بما وقعت فيه  
من الزمان <sup>(٤)</sup> . قال ثعلب : سُمِّي رمضان لأن الإبل ترْمض فيه من الحرِّ ، وسمى شوال  
لأن الأبلان كانت تَسْوَل فيه أى تذهب وتَقِل . وسمى ذو القعدة لأنهم كانوا يقدمون  
فيه . وذو الحجة لأنهم كانوا يحجُّون فيه . والحرم لتحريم القتال فيه . وصفر لأنهم

(١) ت : وعلى على سيد الأبرار . (٢) سورة البقرة ١٨٥ .

(٣) الذي في النسخ لابن سيدة ٤٣/٩ : والمئين : جدى الأولى . . وربى جدى الآخرة ويسمى  
أيضا ملجان .

(٤) وانظر فهر أسماء الصهور العربية أيضا : مروج الذهب ٢٤٨/١ ، ونهاية الأرب ١٥٧/١ والأزمنة  
والأمكنة للمرزوقي ٢٧٢/١

كانوا يطلبون القطر فيه ، يقال صَفِرَ السَّاءُ إِذَا خَلَا . و ربيع لأنهم كانوا يربعون فيها .  
و جُمَادَى لِأَن الْمَاءَ يَجْمَدُ فِيهِمَا . و رجب من التمثيل يقال رَجَبُهُ يَرْجَبُهُ إِذَا عَظَّمَهُ . وقال شمر :  
ومنه سَمِيَ رَجَب . وشعبان لأنهم يتفرقون ويتشعبون فيه . وقال قطرب : سَمِيَ صَفْرًا لِأَنَّهُمْ  
كَانُوا يَخْرُجُونَ إِلَى بِلَاد تَسْمَى الصَّفْرَةَ يَمْتَارُونَ مِنْهَا .

وقد أحدثت العرب لأسماء شهور الأعاجم أسماء . فقلت من خط أبي بكر بن الأنباري  
في كتاب قد صنعه أبو محمد الصُّنْبُحِيُّ قَالَ : لَقَّبَتِ الْعَرَبُ شَهْرَ الْعِجَمِ بِأَلْقَابٍ غَيْرَ مَا سَمَّيَاهُ  
العجم : تشرين الأول أحد وثلاثون يوما والعرب تسميه مُطْلَقًا ، والثاني ثلاثون يوما  
واسمه عند العرب طَلِيق ، وتسمى النَّشْرِبْنَيْنِ الْقَصَائِينَ لِنَشْوِ الْمَوْتِ فِيهِمَا وَكَثْرَةِ مَيِّمَاتٍ ،  
وكانون أحد وثلاثون يوما واسمه عند العرب مجدح ، وكانون الآخر اسمه عند العرب  
حديج وتسميهما أيضا شَيْبَانِ وَمَلْحَانَ لِلتَّلَجِّ وَبِاضِهِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ قَالَ السَّكَّكِيُّ :  
وَأَصْبَحَتْ الْآفَاقُ حُمْرًا جُنُوبَهَا بَشَيْبَانِ أَوْ مَلْحَانَ فَالْيَوْمَ أَشْهَبُ <sup>(١)</sup>

ويقال لها أيضا الهزار لشدة البرد . وشباط تسعة وعشرون يوما واسمه عند العرب فربح ،  
وآذار أحد وثلاثون يوما واسمه عند العرب مسهل . ونيسان ثلاثون يوما واسمه عندهم  
صحان ، وحزيران ثلاثون يوما واسمه عندهم واقد ، وتموز أحد وثلاثون يوما واسمه عندهم  
ضرام ، وأيلول ثلاثون يوما واسمه عندهم طلق .

\*\*\*

قوله تعالى : « الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ » فيه أربعة أقوال : أحدها : أنه أنزل القرآن  
في شهر رمضان إلى السماء الدنيا جملة واحدة . وروى عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل  
القرآن في رمضان ليلة القدر إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوما .

(١) رواية البيت في اللسان مادة (ملح) :

إِذَا أَمَسَتْ الْآفَاقُ حُمْرًا جُنُوبَهَا لَشَيْبَانِ أَوْ مَلْحَانَ وَالْيَوْمَ أَشْهَبُ

والثاني : أنزل القرآن بقرض صيامه . قاله مجاهد والضحاك .

والثالث : أنزل في فضله القرآن . قاله سفيان بن عُيينة .

والرابع : ابتدئ فيه بإزال القرآن . قاله ابن إسحاق وأبو سليمان الدمئقي .

قوله تعالى : « هُدى للناس » أى ياناً لهم . والبيّنات : الآيات الواضحات .

والفرقان : المرقى في الدين بين الضلالة والشبهة .

أخبرنا أبو القاسم بن الحسين بسنده عن نافع بن أويس أن أباه حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسُلت الشياطين »<sup>(١)</sup> .

وقد روينا أيضاً عالياً عن أبي سهيل نافع بن مالك فذكره . وقال : فتحت أبواب الجنة . أخرجاه في الصحيحين<sup>(٢)</sup> . ونافع يكنى أبا سهيل وهو من تابع التابعين ، والزهرى من التابعين فقد روى الزهرى عن هو دونه ، فهو يخرج في رواية الأكابر عن الأصغر . وقد روى جماعة من الصحابة عن التابعين فروى ابن عمر وابن عمرو وابن الزبير وأنس وأبو هريرة كلهم عن كعب . وقد روى جماعة عن أولادهم ، فروى أبو بكر الصديق عن عائشة حديثين ، وروى المباسم عن ابنه الفضل حديثاً وعن ابنه عبد الله حديثاً وروى سليمان التيمي عن ابنه للمتمر حديثين ، وروى أبو بكر ابن عيَّاش عن ابنه إبراهيم حديثاً وروى أبو داود السجستاني<sup>(٣)</sup> عن ابنه حديثين ، في خلق يطول ذكرهم .

أخبرنا أبو منصور القزّاز بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليس ببارك أحدًا من المسلمين صبيحة أول يوم من رمضان إلا غفر له »<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٨١/٢ ، ٤٠١ . ( ط للجنة ) .

(٢) صحيح البخارى كتاب الصوم الباب الخامس . وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١ - ٥ .

(٣) الأصل : السخيتاني . بحرفة .

(٤) أورده السيوطى في اللاكلى المصنوعة ١٠١/٢ وقال : لا يصح ، سلام متروك وزيد كذاب والمعجب أن ابن الجوزى نفسه موافقاً لحكم على هذا الحديث بالوضع في كتابه للوضع ، إذ أن كتاب السيوطى اختصاره .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدَت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب جهنم فلا يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنان فلم يفلق منها باب وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة <sup>(١)</sup> » .

أخبرنا عبد الأول بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه » .  
أخرجاه في الصحيحين .

وقد أخرجاه من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة ونفذه : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً <sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا أبو نصر أحمد بن منصور الهنائي بسنده عن علي بن أبي طالب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استهلَّ شهر رمضان استقبل القبلة بوجهه ثم قال : اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية والخللة والرزق الحسن ودفع الأسقام والعون على الصلاة والصيام وتلاوة القرآن ، اللهم سلِّمنا لرمضان وسلِّمنا مناه حتى ينقضي وقد غفرت لنا ورحمتنا وعفوت عنا . ثم يُقبل على الناس بوجهه فيقول : يا أيها الناس إنه إذا استهل شهر رمضان فُتِّحت أبواب السماء وأبواب الرحمة وأبواب الجنان ، وغلقت أبواب النار وسُلسلت الشياطين وكان لله عز وجل عند كل فطر عتقاء من النار ونادى منادٍ كل ليلة : اللهم أعط كل منك تلتفاً وأعط كل متفق خلفاً . فإذا استهل هلال شوال نودي للمؤمنون أن اغدوا إلى جوائزكم . وأقل ما يجازى به الرجل أن يكتب له ألف ألف حسنة ويُنَجَّى عنه ألف ألف سيئة .

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه كتاب الصوم حديث رقم ١

(٢) صحيح البخاري كتاب الصوم باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً . وصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب التزيب في قيام رمضان حديث رقم ١٧٣ .

أخبرنا محمد بن منصور بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عز وجل إلى خلقه وإذا نظر الله إلى عبد  
لم يعدّه أبداً ، والله في كل ليلة ألف عتيق من النار <sup>(١)</sup> » .

قال أبو عمرو : فشككت في شيء من هذا الحديث فكتبت من الحسن بن يزيد ،  
وكنت سمعته أنا والحسن بن عبد الله بن الحكيم ، حدثنا القاسم بن الحكم المرقني ،  
عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن الجنة لتتجدد  
وترين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان . فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان  
هبت ريح من تحت العرش يقال لها للثيرة فتصفق ورق أشجار الجنات وحقق المصارع  
فيسمع لذلك ظنين لم يسمع الساعون أحسن منه ، فيشرقن الحور العين حتى يقفن على  
شجر الجنة فينادين : هل من خاطب إلى الله عز وجل فيزوجّه ؟ ثم يقطن : يا رضوان ماهذه  
الليلة ؟ فيجيبهن بالتلبية ثم يقول : يا خيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان فتفتح  
فيها أبواب الجنات للصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويقول الله عز وجل بارضوان  
افتح أبواب الجنان يامالك أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد صلى الله عليه  
وسلم ، يا جبريل اهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين وغلهم في الأغلال ثم أقذف بهم  
في لجة البحار حتى لا يفسدوا على أمة حبيبي صيامهم . قال : ثم يقول الله عز وجل في كل  
ليلة من شهر رمضان ثلاث مرّات : هل من سائل فأعطيه سؤله . هل من تائب فأتوب  
عليه ؛ هل من مستغفر فأغفر له ؟ من يقرض الله غير المأثم الوفي غير الظلوم .

قال : والله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من  
النار ، فإذا كان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعتق في كل ساعة ألف ألف عتيق من النار كلهم  
قد استوجب العذاب ، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله عز وجل في ذلك اليوم

(١) أوردته في الآتي المصنوعة ١٠١/٢ وقال : موضوع فيه مجاميل

بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره ، فإذا كانت ليلة القدر يأمر الله عز وجل جبريل فيهبط في كُتُبِكِيه من الملائكة معه لواء أخضر فيركز اللواء على ظهر الكعبة وله ستانة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر فينشرهما تلك الليلة فيجأوزان للمشرق والمغرب قال : ويث جبريلُ الملائكة في هذه الأمة فيسلُّون على كل قائمٍ وقاعد ومصلٍّ وذاكرٍ ، فيصاغونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر نادى جبريل : يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل . فيقولون : يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : إن الله عز وجل نظر إليهم في هذه الليلة فغفر لهم إلا الأربعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهؤلاء الأربعة مُدْمَنُ خمرٍ ، وعاقبوا الولديه ، وقاطع رحمٍ ومشاحن . قيل : يا رسول الله وما المشاحن ؟ قال : هو المصارم . فإذا كانت ليلة القدر سميت ليلة الجائزة ، فإذا كان غداة الفطر بيعت الله تعالى الملائكة في كل بلد فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلا الجن والإنس فيقولون : يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنب العظيم . فإذا برزوا في مصلاهم يقول الله تعالى : يا ملائكتي ماجزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فتقول الملائكة : إلهنا وسيدنا جزأوه أن نوفيهِ أجره . فيقول الله تعالى : أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت نوابهم في صيامهم شهر رمضان وقيامهم رِضائي ومغفرتي . فيقول الله عز وجل : سلوني فوعزتي وجلالي لا أنالوني اليوم شيئاً في جمعكم هذا لآخرتكم إلا أعطيتكموه ولالدنيا لا أنظرت لكم ، وعزتي لا أسترن عليكم عثرانكم ما راقبتموني ، وعزتي لا أخزبكم ولا أفضعكم بين أصحاب الحدود أو الجلود . شك أبو عمرو . انصرفوا منفورا لكم قد أرضيتوني ورضيت عنكم . قال : فتفرح الملائكة ويستبشرون بما يسلى الله عز وجل هذه الأمة إذا أنظروا<sup>(١)</sup> .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت أمتي حسن

(١) أو رُدَّ نحو السيوطي والآله المصنوعة ٩٨/٢ عن ابن حبان وقال : لا يصح . وأخرج نحوه الميمني في جمع الزوائد ١٤١/٣ - ١٤٢ عن أبي يعلى والطبراني ، وفيه ضعف .



خصال في شهر رمضان لم تُعْطَن أمة قبلهم : خُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح  
انسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يُفْطَروا ، وَيَزِيْنُ اللهُ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ثُمَّ يَقُولُ : يوشك  
عبادى الصالحون يُلقوا عنهم المؤنة أو الأذى ويصبروا إليك . وَتُصَفَّدُ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ  
فلا يَخْلُصُونَ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ . قَالَ : يَا رَسُولَ  
اللهِ أَمْ لَيْلَةُ الْقَدَرِ ؟ قَالَ : لَا وَلَكِنَّ الْعَامَلَ يَوْئَى أَجْرِهِ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ <sup>(١)</sup> .

وعن ابن عباس وعائشة قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل شهر رمضان  
أُطْلِقَ كُلُّ أَسِيرٍ وَأُعْطِيَ كُلُّ سَائِلٍ .

وذكر أبو جعفر بن أبي شيبه في كتاب العرش عن كعب قال : قال الله تعالى : يَا مُوسَى  
ابْنُ عِمْرَانَ إِنِّي أَمَرْتُ حَمَلَةَ الْعَرْشِ أَنْ يُنْكَسُوا عَنْ الْعِبَادَةِ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ وَأَنْ  
يَقُولُوا كُلَّمَا دُعِيَ صَائِمٌ رَمَضَانَ : آمِينَ . فَإِنِّي آتِيَتْ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَرَدَ دُعَاةَ صَائِمِ رَمَضَانَ .

### الكلام على البسملة

مَنْ نَالَهُ ذَلِكَ دَوِيٌّ بِذَنْبِهِ قَلِيلَاتٍ فِي رَمَضَانَ بَابٌ طَيِّبٌ  
فَخُلُوفُ هَذَا الصَّوْمِ يَقُومُ أَعْلَمُوا أَشْهَى مِنَ الْمَلِكِ السَّخِيقِ وَطَيِّبٌ  
أَوْ لَيْسَ هَذَا الْقَوْلُ قَوْلَ مَلِيكَكُمْ الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أَجْزَى بِهِ  
أَيْنَ مِنْ كَانَ مَعَكُمْ فِي رَمَضَانَ الْمَاضِي ؟ أَمَا أَفْتَنَتْ آفَلَتِ النُّونُ الْقَوَاضِي ، أَيْنَ مِنْ  
كَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَى الْمَاجِدِ فِي الظُّلَمِ ؟ سَافِرٌ عَنْ دَارِهِ مِنْذُ زَمَانٍ وَلَمْ ، أَيْنَ مِنْ صَبَرَ عَلَى مَشَقَّةِ  
الْجُوعِ وَالظَّمَا ، غَابَ فَمَا آبَ وَمَقَى فَا ، أَيْنَ الَّذِينَ ارْتَقَمَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْأَدْعِيَةِ خَرَجَتْ تِلْكَ  
الْجَوَاهِرُ مِنْ تِلْكَ الْأَوْعِيَةِ ، أَيْنَ مِنْ جَمَعَ مَالًا وَوَفَّرَا ، وَأَعَانَى مِنْ ظَفَرِهِ بِالْمِرَادِ ظُفْرًا ،

(١) أخرجه الامام أحمد والبخاري وفيه همام بن زياد أبو القدام وهو ضعيف .

ومشى إلى أغراضه <sup>(١)</sup> جزاً <sup>(٢)</sup> وطفراً ، أما أخرج الموت كفه صفراً ؟ أما أعاد دياره بالخراب قفراً ؟ كانت تلاحظه عيون الأجداث خزراً <sup>(٣)</sup> وتلججه وهو في لذاته شزراً ، فنقلته وهو أنقل بالوزر أزراً ، ثم طال عذابه وإنما نال نزراً ، وأوطأته بجراً لا يشبه جراً فبان في أسره أدل الأسرى <sup>(٤)</sup> .

سَلِ الأَيَّامَ مَا فَعَلْتَ بِكَسْرِي      وَقَيِّصِرِ القُصُورَ وَسَاكِنِيهَا  
أَمَّا اسْتَدْعَيْتَهُمُ لِلْمَوْتِ طُرًّا      فَلَمْ تَدْعِ الحَلِيمَ وَلَا السَّقِيمَ  
دَتَّ نَحْوَ الدَّيِّ بِسَبِّهِمْ خَطْبٌ      فَأَصْمَتَهُ <sup>(٥)</sup> وَوَاجَهَتْهُ الْوَجِيهَ  
أَمَّا لَوْ بَعِيتَ الدُّنْيَا بَقْلَسَ      أُنْفَتُ لِعَاقِلٍ أَنْ يَشْتَرِيَهَا



إخواني : تفكروا لماذا خُلقتم فالتفكر عبادة ، وامثلوا أمرَ الإله فقد أمرَ عباده ، والفتوا عن أسباب الشقاء إلى أسباب السعادة ، واعلموا أنكم في نقصٍ من الأعمار لافى زيادة .

آه نفسُ أقبلت على الموتِ وقَبِلْتُ ، وبادرت ما يؤذيها من الخطايا وعَجَلْتُ ، من لها إذا نُوقِشت على أفعالها وسُئِلَتْ ، وَقُرِّرَتْ بقبايحها يومَ الحشرِ نَجِلْتُ ، وقِيدَتْ بقيودِ الندمِ على التفریطِ وكُجِلَتْ ، وشاهدت يومَ الجزاءِ قُبْحَ ما كانت عملت ، وسُلَّ عليها سيفُ المِتَابِ يومَ الحسابِ قُبِلَتْ .



أيها النافل عن فضيلة هذا الشهر اعرف زمانك ، يا كثير الحديث فيما يؤذى احفظ لسانك ، يا مسئولاً عن أعماله اعقل شأنك ، يا ممتلئاً بالزلل اغسل بالتوبة ما شأنك ، يا مكتوباً عليه كلُّ قبيح تصفح ديوانك .

(١) ت : على أغراضه . (٢) الجز : للشي السريم . (٣) الجزر : النظر بلطف العين .  
(٤) ت : أقل من كسرى . (٥) أصمته : قتلته . يقال : أسى الصيد : إذا رماه فقتله مكانه .

أَنْتَ كَلَامَكَ واحترز من شرِّه  
وَكُلَّ فَوَادِكَ باللسان وقل له  
فَزِنَاهُ قَلِيكَ مُحْكَمَا فِي قِلَّةٍ  
إِنَّ الْبَلَاغَةَ فِي الْقَلِيلِ تَكُونُ

يا من أكثر عمره قد مضى ، يا من نفسه مع اللحظات مُتَقَضِّى ، يا من قد أُنْذِرُهُ  
سَبَبَ التَّرِينِ مُعْرِضًا ، كيف يحترس العريان من سيفٍ مُتَقَضِّى ، إن كان ما فَرَطَ يوجب  
السخط فاطلب في هذا الشهر الرِّضَا ، يا كثير القباح غداً تنطق الجوارح ، أين السموع .  
السوافع على تلك القباح ، ياذا الداء الشديد القاصح ، ما أَعَسَرَ مرض الجوارح ، هذا  
الشيء دليلٌ واضح ، وهو في الملقى عَذُولٌ ناصح ، جاعته لا تُشْبِه الجوارح ، يُضْمَعُ  
الأركان الصالح ، بِدَأْ أَبْوَابَ اللّهِ وَلِلْمَازِح<sup>(١)</sup> ، وَلِلْمَوْتِ فِي خِلَالِهِ مُبِينٌ لَانْع ، أين زادك  
يا أيها الراح ، أين ما حَصَلَتْ هل أنت راجح ، يا أسنى لهذا النازح ، كيف حاله في الضَّرَائِعِ ،  
من له إذا أَوْثَقَهُ الناجح ، من له إذا قام الناجح ، واستوى لديه العائب والملاح ، ولم ينفعه  
في بطون الصفائح إلا عملٌ إن كان له صالح ، أترأه يمتد أن التصحيح مازح ، ضاعت  
للمواعظ إلا أن للموعوظ سَكْرَانُ طافح .

\*\*\*

يا من قد سارت بالمعامى أخباره ، يا من قد قَبِحَ إعلانه وإسراره ، يا هجيراً من الهدى  
أهلكه إعساره ، أنتوثر أُنْخَسِرَانِ قُلْ لِي أَوْ تَخْتَارْهُ ؟ يا كثير الذنوب وقد دنا إحضاره ،  
يا أسيراً في حبس العُرْد لا ينفعه إحضاره<sup>(٢)</sup> ، قَدْكَ بِهِرَجَ إِذَا حُكَّ مِغْيَارُهُ ، كَمْ رُدَّ  
على مثلك درهمه وديناره ، يا مُخْتَرَقاً بنار الحرص حتى متى تجبر ناره ، للذَّكْرُونِ بَيْنَكُمْ  
قَدْ أَصْبَحُوا كَالْأَسْمَارِ ، وَأَنْتُمْ قَدْ جِلْتُمْ لِلْمَوَاعِظِ مِثْلَ الْأَسْمَارِ ، وَكَانَ الْقُرْآنُ عِنْدَكُمْ صَوْتٌ مِزْمَارٌ ،  
وقد ضاعت في هذه الأمور الأعمار ، فأين يكون لهذا الغرس إثمار :

مَضَى زِمَانِي وَتَقَضَّى اللَّدَى فَلَيْتَنِي وَقَّتْ هَذَا الزَّمَانُ

(١) الإيضاح : جرى الغرس .

(٢) المازح : جمع مزح ، مصدر يمزى من مزح .

أَرْزَمَتِ النَّارُ وَعَارَضَتْهَا فَلَيَّعَجِبُ السَّامِعُ لِلرُّزْمَيْنِ<sup>(١)</sup>  
لَيْتَ دُمُوعِي بِمَسَى سُبُلَتْ لِيَشْرَبَ الْحُجَّاجُ مِنْ رَزْمَيْنِ

### الكلام على قوله تعالى

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ »

كتب : بمعنى فُرِضَ . أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ حَبِيبٍ ، أَنَا أَبُو سَعِيدٍ بْنُ أَبِي صَادِقٍ ،  
أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَاكُويَةَ ، قَالَ سَمِعْتُ حَسَّانَ بْنَ أَحْمَدَ الْهَاشِمِيَّ يَقُولُ . سَأَلَ الْأَمَوْنُ  
عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا : أَيُّ شَيْءٍ فَائِدَةُ الصَّوْمِ فِي الْحِكْمَةِ ؟ قَالَ : عَلَّمَ اللَّهُ مَا يَنَالُ الْفَقِيرَ مِنْ  
شِدَّةِ الْجُوعِ فَأَدْخَلَ عَلَى الْغَنَى الصَّوْمَ لِيَذُوقَ طَعْمَ الْجُوعِ ضَرُورَةً حَتَّى لَا يَنْسِيَ الْفَقِيرَ مِنْ  
[ شِدَّةِ<sup>(٢)</sup> ] الْجُوعِ . قَالَ الْأَمَوْنُ : أَنْتُمْ بِاللَّهِ لَا كُتِبَتْ هَذَا إِلَّا بِيَدِي !

والصوم آداب يجمعها : حِفْظُ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَحِرَاسَةُ الْخَوَاطِرِ الْبَاطِنَةِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ  
يُتَلَقَّى رَمَضَانُ بِتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ وَعَزِيمَةٍ مُوَافَقَةٍ . وَيَنْبَغِي تَقْدِيمُ النِّيَّةِ وَهِيَ لَازِمَةٌ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ،  
وَلَا يَدُ مِنْ مِلَازِمَةِ الصَّمْتِ عَنِ الْكَلَامِ الْفَاحِشِ وَالنِّيبَةِ فَإِنَّهُ مَا صَامَ مِنْ ظُلٍّ يَأْكُلُ لَحْمًا  
النَّاسَ ، وَكَفَّ الْبَصَرَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْحَرَامِ ، وَيَلْزَمُ الْحَذَرَ مِنْ تَكَرُّارِ النَّظَرِ  
إِلَى الْحَلَالِ .

أَخْبَرَنَا ابْنُ الْحَصِينِ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
« مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ اللَّهُ حَاجَةً أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » .  
انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْبُخَارِيُّ<sup>(٣)</sup> .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
« لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ »<sup>(٤)</sup> .

(١) أَرْزَمَتْ : صَوَّتَتْ . يُقَالُ : أَرْزَمَ الرَّعْدُ : اعْتَصَمَتْهُ أَوْ صَوَّتَتْ غَيْرَ شَدِيدًا وَالنَّاقَةُ : حَتَّى عَلَى وَلَدِهَا .

(٢) مِنْ ت . (٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ٤/٢٤٧ ( ط الْأُمِّيَّة ) .

(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ١/٤٥٤ ( ط الْأُمِّيَّة ) وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ كِتَابُ الصَّوْمِ حَدِيثٌ رَقْمُ ٤٨ .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله عز وجل :  
« إن أحبَّ عبادي إليَّ أعجلهم فطراً » .

وفي حديث سليمان بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أفطر أحدكم فليُفطر على تمر فإن لم يجد فليُفطر على ماء فإنه له طهور » .

وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قُرِبَ إلى أحدكم طعامه وهو صائم فليقل : بسم الله والحمد لله اللهم لك صُمتُ وعلى رزقك أفطرتُ وعليك توكلتُ ، سُبْحانَكَ اللهم وبحمدك إنك أنت السميع العليم » .  
ويستحب السحور وتأخيرهُ .

وفي الصحيحين من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تسحروا فإن في السحور بركة » .

وينبغي للصائم أن يشتغل طول نهاره بالدُّكْرِ والتلاوة وكان الشافعي رضي الله عنه يَحْتَمُ في رمضان ستين ختمة .  
أخبرنا الكَرُوحِيُّ بسنده عن الزُّهْرِيِّ قال : تسبيحة في رمضان خير من ألف تسبيحة في غيره .

حقُّ شهر الصيام شيْتان إن كنه من اللوجيين حقَّ الصيام  
تَقَطُّعَ الصوم في نهارك بالدُّكْرِ وَتُقْنِي ظِلَامَهُ بِالْقِيَامِ  
أخبرنا أبو القاسم الجبري بسنده عن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ذاكر الله عز وجل في رمضان مغفور له وسائل الله عز وجل فيه لا ينجب » <sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه هلال بن عبد الرحمن وهو ضعيف . مجمع الزوائد ١٤٣/٣ .  
( التجرمة ٢/٦ )

وعن قيس الجهنى قال : إن كل يوم يصومه العبد من رمضان يحىء يوم التيامة في عمامة من نور في تلك العمامة قصر من دُرٍّ له سبعون ألف باب كل باب ياقوتة حمراء <sup>(١)</sup> ؟ ويستحب للصائم أن يفطر الصوَّام إذا أمكنه .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن زيد بن خالد الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من فطر صائماً كان له أو كُتِبَ له مثل أجر الصائم من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئاً ، ومن جهَّز غازياً في سبيل الله كان له أو كُتِبَ له مثل أجر الغازي في سبيل الله غير أنه لا ينقص من أجر الغازي شيئاً <sup>(٢)</sup> » .

\*\*\*

فيأحدروا إخواني شهركم بأفصال الخير ، وأفردوها عن الخطايا لتكون وحدها لا غير ، واعلموا أن شهركم هذا شهر إتمام وميِّد <sup>(٣)</sup> ، تعرف حرمة الملائكة والجن والطير ، وأهلاً وأقاربه من زواهر ما أشرفها ، وإساعاته التي كالجواهر ما أغلظها ، أشرقت لياليها بصلاة التروايح ، وأنارت أيامها بالصلاة والتسبيح ، حليتها بالإخلاص والصدق ، وثمرتها الخلاص والعتيق .

تيقظ يا غافل وانهض بيدارك ، فإلك لأهلك وأنت ضيفٌ بدارك ، واستدرك قديمك وأصلح بالتقى حديثك ، وامنع لسانك اللغو واجعل الذكر حديثك ، وصحِّح بمجانبة الهوى إيمانك ويقينك ، وتدرِّع كلماتك هذه في حرب الفرور يقينك <sup>(٤)</sup> ، إلى متى في حب البطالة منكش ، وبلذات الكسل جذلان دَهِش ، وإذا قات الهوى بَتَّ من الحزن ترتمش أما رأيت ذامالٍ وأملٍ لم يَـمِشْ ، أما شغلك الموت عن رخفٍ قد قَشْ ، أما تعلم أنك للموت في القبر تغترش ، أما تحذر يوماً لا تجد للماء من العطش ، هجياً لوقن بالقيامة لم يَجْع ولم يعطش .

(١) هنا ما يزيد فيه الرواة بنبر علم ، وحبنا ما ثبت في الصحيح من فضل الصيام .

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه كتاب الصوم . (٣) الليث : جلب الزاد .

(٤) يقينك : يحفظك .

كان أصحاب أبو هريرة يتكفون في رمضان ويقولون : نُطَهِّرُ صِيَامَنَا .  
واعتكف أبو محمد الجري في الحرم سنة لم يمدّ رجله ولم يضلّطع ، قيل له : كيف  
قدرت على هذا ؟ قال : عِلِمَ صِدْقُ باطنى فأعانتى على ظاهرى .

\*\*\*

إخوانى : هذا شهر التَّقِيط ، هذا أوان التحفُّظ ، إخوانى بين أيديكم سفر ، والأعمارُ  
فيها تَصِر ، وكلّكم والله على خطر ، كونوا على خوف من القدر ، واعرفوا قدر من قدر ،  
وتذكروا كيف عصيتم وسرّ ، وأيم الله لو قمتم على البصر ، وسجدتم شكراً على الإبر  
ما وقّيتم بشكر نعيم محترق ، أما حَلَوَى القبيح والجميل نَشَر ، أما بعضُ نعمة السمع والبصر .  
إخوانى : أن الرحيلُ وما عندكم خير ، إلى كم توعظون ولا تَمَظُون ، وتوقظون  
ولا تَنقِظُون ، وتُتَبِمون الناصح ولا تَجَبَلون ، ويكنى في البيان رؤية القرآن يَرَحَلون  
« أفسَحَرْ هذا أم أنتم لا تُبصرون » . أكلّتم ما لا تطيقون ، أكلّتم بما لا تفهمون ، مالكم  
عن ما لكم مُخْرُصون ، ما هذا الفتر وأنتم سالون ، ما هذا الرقاد وأنتم مُنْجَبون :

أَقْفَى الدهر من فِطْر و صَوْمٍ وَأَخَذُ بُلْفَةً<sup>(١)</sup> يوماً بيومٍ  
وأعلم أن غايقَ للناسِ أَيَاً فصبراً تلك غابة كلِّ قومٍ  
فإن تَفَّ الحوادثِ دون نَفْسِي فما يَرْكُنْ لِشَمَامِي وَرَوِي<sup>(٢)</sup>

كم مؤمل إدراك شهر ما أدركه ، فاجأه الموتُ بفتنة فأهلكه ، كم ناظر إلى يوم  
صومه بين الأمل طمسها باللمات كفت الأجل ، كم طلمع أن يلقاه بين أترابه ألقاه الموت  
في عُقر تراه .

(١) البلية : ما يبلغ به من الزاد .

(٢) الإتيام في الحروف : إذاتها الصمة أو الكسرة بحيث لا تسمع ولا يند بها ولا تكسر وزناً . والروم  
في الحروف : حركة تخلط بحضة وهي أكثر من الإتيام لأنها تسمع .  
وهذا من مظاهر تأثر الشعر الباسي بالمصطلحات العلمية .

استغفر الله بقلبٍ مُنيبٍ      يعلم أن الموت منه قريبٌ  
 مأخوذٌ مالي حَرَباً يشتكى      وعادِمُ الدين الأخيذُ الحَرِيبُ<sup>(١)</sup>  
 والإنسُ جنسٌ كُلُّهُ ظالمٌ      والنصفُ العادلُ فيهم غريبٌ  
 والعيشُ محبوبٌ أُنَاكَ الأذى      منه فواهاً للبغيضِ الحبيبِ  
 اصْبِرْ إذا الصائمُ سَطَا جَدْبُهُ      فظالماً جاءك عامٌ خَصِيبٌ  
 خاطبتُ أقوماً فلم يسمِعوا      فمثلَ يَشَبَّهتَ بهم يا خَطِيبُ  
 تسَلُ كفيك من الزمِ ألا      فاعسل فاك من لفظك حتى يطِيبُ

\*\*\*

أيها المجتهد هذا ربيعُ جدِّك ، أيها الطالب هذه أوقاتُ رِفْدِكَ ، نيقِظُ أيها الغافل من سِنَةِ البطالة ، تحفِّظُ أيها الجاهل من شُبِّه الضلالة ، اغتِمْ سلامتك في شهرِكَ قبل أن تُزَيِّنَ في قبرِكَ ، قبل اقراضِ مدنتك وعدمِ عُدَّتِكَ وإزْماعِ قَوْنِكَ واقطاعِ صوتِكَ ، وعثورِ قَدَمِكَ وظهورِ نَدَمِكَ ، فإن العمرَ ساعاتٌ تذهبُ وأوقاتٌ تُنْهَبُ . وكلها معدود عليك والموتُ يَدْنُو كُلَّ لحظةٍ إلَيْكَ .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري بسنده عن محمد بن علي الحرابي قال سمعتُ أحمدَ ابنَ للنَّاسِ قال سمعتُ سَريّاً السَّعَظِيَّ يقول: السَّنَةُ شَجَرَةٌ ، والشهورُ فروعُها والأيامُ أغصانُها والساعاتُ أوراقُها وأغصانُ العِبَادِ ثمرُها ، فشهرُ رجبٍ أيامُ تَوَرُّقِها ، وشعبانُ أيامُ تَقَرُّبِها ، ورمضانُ أيامُ قَطْعِها ، ولِلْمُؤْمِنِينَ قُطَافُها . هذه الأشهرُ الثلاثُ المَعْلُومَةُ كالجراتِ الثلاثِ ، فرجبُ كَأَوَّلِ جَمْرَةٍ تَحْمَى بِهَا الْعِزَامُ ، وشعبانُ كَالثَّانِيَةِ تُدَوَّبُ فِيهَا مِيَاهُ الْمَيُونِ ، ورمضانُ كَالثَّلَاثَةِ تُورَقُ فِيهَا أَشْجَارُ الْجَاهِدَاتِ ، وأَيُّ شَجَرَةٍ لَمْ تُورَقْ فِي الرِّبْعِ قُطِعَتْ لِلْحَطَبِ ! فَيَا مَنْ قَدْ ذَهَبَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأَشْهُرُ وَمَا تَغَيَّرَ أَحْسَنُ اللَّهِ عِزَادَكَ !

\*\*\*

(١) الحرب : السلب ، حربه حرباً كطلبة طلباً : سلب ماله ، فهو محروب وحريب .



إخواني : إنما شرع الصوم ليقع التثقل ، فأما من أوتى الرِّزْمَةَ <sup>(١)</sup> فاله نية في البيع ، إذا استوفيت العشاء تكدر الليل بالنوم ، وإذا استوفيت السحور تحبط النهار بالكسل ، وإنما شرع السحور ليتقوى التثقل من العشاء وليتنبه الغافل ، وما أرى رمضان إلا زادك شيباً وغفلة .

وإعجاباً لو عرض عليك أن تشرب شرية ماء في رمضان لما شربت ولو ضربت ، وأنت فيه نفس في البيع وتطفئ في الميزان ، فإذا خرج شربت الحجر في شوال ، أما كان الناهي عن هذا هو الناهي عن ذلك « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » .

تالله لو قيل لأهل القبور تمنوا تمتوا يوماً من رمضان ، إلى متى أنت في ثياب البطر ، أما تعلم مصير الصور ، محباً لك تؤمن وتؤمن الغير . أما ينفعك ما ترى من الغير ، أصم السمع أم غشى البصر ، تالله إنك لعلّ خطر ، أن الرحيل ودنا السفر ، وعند المات يأتيك الخبر . كلما خرجت من ذنوب دخلت في آخر ، بالليل الصفا إلى كم هذا الكدر ، أنت في رمضان كما كنت في صفر ، إذا خسرت في هذا الشهر فتي تريح ، وإذا لم تسافر فيه نحو الفوائد فتي تبرح ، يامن إذا ناب نقص ، يامن إذا عاهد غدر ، يامن إذا قال كذب ، كم سترناك على مصيبة ، كم غطيناك على مخزبة .

يا عاصراً ما يقطعن يا هالكاً ما يقطعن  
يا ساكن الحجرات ما لك غير قبرك مكن  
أحدث لربك نوبة وسيئها لك مكن  
فكان شخصك لم يكن في الناس ساعة تدفن  
وكان أهلك قد بگوا سرّاً عليك وأعلنوا  
فإذا مضت بك ليلة فكانهم لم يحزنوا  
الناس في غفلاتهم ورحى للنية تلعن

(١) الرزمة بالكسر : ما شد في ثوب واحد . قال في حفاء الليل ص ١٠٨ : والعامّة نضمه ، وهو من قولهم : رازم بين الساعين ، إذا ضم أحدهما إلى الآخر .

مادون دائرة الردى حصن لمن يصحصن  
مالي رأيتك تطلعن م إلى الحياة وتركن  
وجعت ما لا ينبغي وبنت مالا تسكن  
وسلكت فيما أنت في الدنيا به متيقن  
أظننت أن حوادث الأيام لا تمكّن

\*\*\*

## المجلس السابع لاتتصاف شهر رمضان

الحمد لله الأحدى الذات، الملبى الصفات الجلى الآيات الوفى العِدات ، رافع السموات  
وسامع الأصوات، عالم الخفیات وعجى الأموات، نَزَّهَ عن الآلات وتقدَّس عن الكيفيات،  
وتعظَّم عن مشابهة المخلوقات ، جلَّ عن الآباء والأمهات والبنات، ثَبَّتَ الأرض بالأطواد  
الراسيات، وأحياءها بمد موتها بالشعب الماطرات ، فإذا أُرُخْتَ عزَّ إليها <sup>(١)</sup> ضحك  
باخضراره النبات، وقالت للبندعات بالنس الإشارات : « اعلوا أن الله يُخفى الأرض بحدِّ  
موتها قد بيَّنا لكم الآيات <sup>(٢)</sup> » .

إذا بسط بباط العدل تزلزلت أقدام أهل الثبات ، وإذا نشر رداء الفضل غمر  
الذنوب للورقات ، « يقبل العوبة عن عياده وَيَعْفُو عن السيئات <sup>(٣)</sup> » .

حتى بجياة نَزَّهَتْ عن طارِق المات ، عالم يعلم واحد جميع المعلومات ، قادر بقدره  
واحدة على جميع المقدورات ، أراد فلانت لميته صمابُ للرادات ، وسمع فلم يعزب عن  
سمعه خفى الأصوات ، وأبصر سواد العين فى أشد الظلمات ، استوى على العرش  
لا كاستواء المخلوقات ، وينزل إلى سماء الدنيا مروى بنقل عن الثقات ، ويراہ المؤمنون  
فى الجنة باليون الناظرات ، تصفه بالنقل المبين بصحته سقيم الشبهات ، من غير  
تكيف فى الأوصاف ولا تشبيه فى النوات ، فهل علينا ملام أم هو طريق النجاة ،  
أحمد على جميع الحالات حداً يديم بدوام الأوقات ، وأقرَّ بوحدايته كافرا باللات ،  
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالأدلة الواضحات ، صلى الله عليه وسلم وعلى  
صاحبه أبى بكر أتناهض يوم الردة على أقدام الثبات ، القائم بنصر الإسلام وقد قد  
أهلُ القرمات ، القائل : أقانلم ولولم أجد غير النبات ، وعلى عمر الصادل فى  
القضيات ، كان إذا مشى فرَّق الشيطانُ من تلك الخطوات ، وعلى عثمان للجهد بالقرآن

(١) أنزالى : جمع عزلاء وهو مصب الماء من الراوية ، والمراد : الحب الماطرة .

(٢) سورة الحديد ١٧ . (٣) سورة الثورى ٢٥ .

في الظلمات، الصابر على الشهادة بأيدي المداء، وعلى عليّ ذي المناقب العاليات، الخصوص بأخوة الرسول دون ذوى القربات، وعلى عمه العباس الذى بالسؤال به سالت عزالى السحب للماطرات.

أيها الناس : إن شهركم هذا قد انتصف ، فهل فيكم من قهر نفسه وانتصف ، وهل فيكم من قام فيه بما عرف ، وهل تشوّقت همسكم إلى نيل الشرف ، أيها اللحن فيا مضى منه دُم ، وأيها اللس . وبخ نفسك على التفریط ولَمْ ، إذا خسرت في هذا الشهر متى تريح ، وإذا لم تسافر فيه نحو القوائد فتى تبرح . كان قتادة يقول : كان يقال من لم يُفقر له في رمضان فلن يُفقر له !

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزار بسنده عن سلمة بن وردان قال : سمعت أنس ابن مالك يقول : ارتقى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للنبر فقال : آمين ثم ارتقى ثانية قال آمين . ثم استوى عليه فقال آمين . فقال أصحابه : علام آمنت يا رسول الله ؟ قال : أتاني جبريل قال : يا محمد رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصِلْ عَلَيْكَ . قلت : آمين . ثم قال : رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ . قلت : آمين . ثم قال : رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُفْقَرْ لَهُ . قلت : آمين <sup>(١)</sup> .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بسنده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا رمضان قد جاء ، تفتح فيه أبواب الجنات وتلقى فيه أبواب النار وتفل فيه الشياطين بعد امرؤ أدرك رمضان لم يفقر له ، إذا لم يفقر له فتى ؟ » <sup>(٢)</sup> .

وبالإسناد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُفْقَرْ لَهُ .

إذا الروضُ أَمسى مُجَدِّباً في ربيمه ففى أىّ حينٍ يَسْتَنِيرُ وَيُخْصِبُ

(١) أخرجه أحمد سننه ٢٥٤/٢ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وفيه الفضل بن عيسى الرافضى وهو ضعيف . مجمع الزوائد ١٤٣/٣ .

أخبرنا عبد الله بن علي القرني بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أمتي لن يحزوا أبدا ما أقاموا شهر رمضان . قال رجل من الأنصار : يا رسول الله وما حزينهم ؟ قال : من إضاعتهم شهر رمضان بانتهاك الحرام ، فمن عمل سوا أوزني أو سرق فلن يقبل منه شهر رمضان ، ولعن الله عز وجل وللائكة إلى مثلها من التحول فإن مات قبل شهر رمضان فليتبشّر بالنار ، فاتقوا شهر رمضان فإن الحسنات تضاعف فيه وكذلك السيئات <sup>(١)</sup> » .

عباد الله إن شهركم هذا لا قيمة له ولا يمكن استدراك ما ضاع <sup>(٢)</sup> بالتفريط .  
أخبرنا محمد بن عبد الباقي بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أفطر يوماً من رمضان من غير مرض ولا رخصة لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه <sup>(٣)</sup> » .  
قال يحيى بن معين : أبو المطوس اسمه عبد الله بن المطوس ثقة .  
وذكر أبو بكر الأجرسي في كتاب النصيحة أن مذهب إبراهيم النخعي أن من شرب الخمر في رمضان كان عليه صوم ثلاثة آلاف يوم .

قال : وقال سعيد بن المسيب : عليه صوم شهر متتابع . وقال الربيع ابن أبي ربيعة ابن عبد الرحمن : عليه صيام اثني عشر يوماً ، لأن الله أوجب صيام شهر من اثني عشر شهر .  
أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل عمل ابن آدم يضاعف بخاتمة الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله ، يقول الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع طعامه وشهوته من أجلي ، وللصائم

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، وفيه عيسى بن سليمان أبو طيبة ، ضعفه ابن معين ، ولم يكن فيمن يصد الكذب ولكنه نسب إلى الوم .

(٢) ث : ملأت .

(٣) أخرجه البخاري : ويذكر عن أبي هريرة وضع : كتاب الصوم . صحيح البخاري ٢٥١/١ ( ط الأميرية ) . وأخرجه الترمذي في صحيحه كتاب الصوم ثم قال : حديث أبي هريرة لا ندره إلا من هذا الوجه وصحت محمد بن يعقوب : أبو المطوس — أحد رواة الحديث — اسمه يزيد ابن المطوس ، ولا أعرف له غير هذا الحديث . صحيح الترمذي ١٣٩/١ ( ط الأميرية ) .

فرحان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلاف فيه أطيّب عند الله من ربح منك .  
الصوم جنة .  
أخرجه في الصحيحين <sup>(١)</sup> .



عباد الله : فرحة الحسّ عند الإفطار تناول الطعام ، وفرحة الإيمان بالتوفيق للإتمام الصيام .  
يا هذا قدّم دستور الحساب قبل الغروب فإن وجدت خللاً فازقعه برقة استغفار ،  
فإذا جاء السحر فاعقد عقد الزهد في الدنيا عند نية الصوم ، وتجرع جرعة دمة في إناه  
ركمة لعلك تطلع على خيايا خفايا ما أعد للصائمين من مستور « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم  
من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » <sup>(٢)</sup> .

### الكلام على البسمة

قل للدُّمَلِ إن الموت في أثركِ وليس يخفى عليك الأمر من نظركِ  
فيمين مَضَى لكِ إن فكَّرتِ مُعْتَبِرَ ومن يُمُتُّ كلَّ يوم فهو من نُذِرِكِ  
دارٌ نساغِرُ عنها من غدٍ سَفَرُ فلا تَوُوبِ إذا سافرتِ من سَفَرِكِ  
تُضْحِي غداً سَمِراً للذاكرين كما كان الذين مضَوْا بالأمسِ من سَمَرِكِ



يامضج الزمان فيما يتنصس الإيمان ، ما أراك في رمضان إلا كجمادى وشعبان ،  
أما يَشُوقُكَ إلى الخبير ما يَشُوقُ ، أما يَمُوقُكَ عن الصَّبر ما يَمُوقُ ، متى تصير سابقاً  
بامسبوق ، إلى متى سَوَقَ الشَّوقُ إلى سَوَقِ الشَّوقِ ، أول الهوى سَهْلٌ ثم تنخرق  
انخروق ، كلما حصد نباته تمنجل الصبر أخرجت العروق ، وإن لذيذ شربه فشربه شَجَى

(١) صحيح البخارى ٢٤٦/١ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الصوم حديث رقم ١٦٣ - ١٦٤  
(ط الحلبي) . (٢) سورة البقرة ١٧ .

في الخلق ، وإنما لذات الدنيا كخطف البروق ، مَيَّزَ بين ما يبقَى وما يبقَى تَرَفُّقُ ،  
 خَلَّ التَّوَانِي إِنْ شَتَّ أَنْ تَفُوقَ ، عَلَيْكَ حَافِظٌ وَضَابِطٌ ، لَيْسَ بِنَاسٍ وَلَا غَالِطٌ ، يَكْتُبُ  
 الْكَلِمَاتِ السَّوَاقِطَ ، وَأَنْتَ فِي لَيْلِ الْحَدَثِ خَاطِبٌ ، تَتَمَرَّضُ فِي الصَّبَاحِ وَاللَّيْلِ لِلْمَسَاطِطِ ،  
 يَأْمَنُ قَدْ شَابَ إِلَى كَمْ تَخَالُطُ ، لَا بَدَ لِلَّيْلِ مِنْ فَجْرِ مَنْبَرٍ كَاشِطٌ ، كَيْفَ يَنْهَضُ لِلْعِبَادِ وَاللَّهُوِ  
 الْأَشَاطِطِ <sup>(١)</sup> ، مَاذَا بَقِيَ وَهَذَا الشَّيْبُ وَاخِطُ ، أَمَا تَسْتَحْيُ وَأَنْتَ فِي الْإِثْمِ وَارِطُ ، يَاقَاعِدَا  
 عِنْدَ التَّقَى وَهُوَ فِي الْهَوَى نَاشِطُ ، كَلِمَا رُفِئَتْ لَمْ تُرْذِ إِلَّا الْمَهَابِطُ ، تَقِظُ لِنَفْسِكَ قَدْ مَضَى  
 الْفَارِطُ ، وَابْكِ عَلَى ذَنْبِكَ وَيَكْنِي الْفَارِطُ ، أَصْلَحَ مَا بَقِيَ وَأَقْبَلَ مِنَ الْوَسَاطِطِ ، جَاهِذُ  
 هَوَاكَ فِي الدُّنْيَا فَالْفَخْرُ لِلْمَرَابِطِ ، انْظُرْ لِمَنْ تَعَاثَرُ وَاعْرِفْ لِمَنْ تَخَالُطُ ، احْزَنْ جَزَاءَ الْقِسْطِ  
 عَلَيْكَ يَا فَاسِطُ ، لَا تَمْتَرِ بِالسَّلَامَةِ فَرِمَا قَبْضُ الْبَاسِطِ ، فِي لَنَا بِالْشُرُوطِ وَنَحْنُ نَفِي بِالْشَرَائِطِ ،  
 ذَكَرَ نَفْسَكَ بِالْمَوْتُ ذَاكَ الشَّدِيدِ الضَّاعِطِ ، إِذَا تَحَيَّرْتَ فِي الْأُمُورِ وَزَالَ الْجَلَّاشُ الرَّابِطُ ،  
 لَا تَنْفَعُ الْأَقَارِبُ وَلَا تَدْفَعُ الْأَرَاهِطُ ، وَنَفْسُ النَّفْسِ يَخْرُجُ مِنْ سَمِّ إِبْرَةِ خَاطِطِ .

\*\*\*

بَاعَ قَوْمٌ جَارِيَةً قَبِيلَ رَمْضَانَ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ عِنْدَ الْمُشْتَرَى قَالَ لَهَا هَيْئِي لَنَا مَا يَصْلَحُ  
 لِلصَّرْمِ . قَالَتْ لَقَدْ كُنْتُ قَبْلَكُمْ لِقَوْمٍ كُلِّ زَمَانِهِمْ رَمْضَانُ !  
 اللَّهُ دَرِ أَقْوَامٍ تَفَكَّرُوا فَأَبْصَرُوا ، وَلَا حَتَّ لَهُمُ النَّايَةُ فَاقْصَرُوا ، وَجَعَلُوا اللَّيْلَ رَوْحَ  
 قُلُوبِهِمْ وَالصَّيَامَ غِذَاءَ أَبْدَانِهِمْ ، وَالصَّدَقَ عَادَةً أَلْسِنَتِهِمْ وَلِلْوَتِ نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ .  
 كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى دَاوُدَ الطَّائِي : عِظْنِي . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ فاجعل الدنيا كَيَوْمِ صُنَّتِهِ  
 عَنْ شَهْوَتِكَ وَاجعل فطرك للوْت فَكُنْ قَدْ صَمَرْتَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : زِدْنِي . فَكَتَبَ إِلَيْهِ :  
 أَمَّا بَعْدُ فَارْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ مَعَ سَلَامَةِ دِينِكَ كَمَا رَضِيَ أَقْوَامٌ بِالْكَثِيرِ مَعَ ذَهَابِ  
 دِينِهِمْ . وَالسَّلَامُ <sup>(٢)</sup> .

كَانَ دَاوُدُ الطَّائِي قَدْ وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ عَشْرِينَ دِينَارًا فَأَنْفَقَهَا فِي عَشْرِينَ سَنَةً . وَكَانَ

(١) الْأَشَاطِطُ : جَمْعُ الْأَشْطِطِ وَهُوَ : الْأَشْيَبُ .

(٢) أَوْرَدَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَيْضًا فِي ذِمِّ الْمَوِيِّ ص ٦٦٩ .

جالسا في داره فإذا وقع سفت تقدم إلى موضع آخر إلى أن بقي دهليز الدار فات فيه ،  
وتحت رأسه . كئينة فدخل عليه ابن السماك قال : اليوم ترى ثواب ما كنت تعمل !  
ورآه بعض أصحابه في المنام فقال له : أوصني . فقال : داو قروح باطنك بالجعوج  
واقطع مفاوز الدنيا بالأحزان ، وآثر حُب الله على هواك ولا تبال متى تلقاه .

\*\*\*

طوبى لمبدئ بالغ في حذاره ، واحتقر بكف فكره قيره قبل احتفاره ، وانتهب زمانه  
بأيدي يداره ، وأغدر في الأمر قبل شيب عذاره ، ولم يرض في زاده بتقليله واختصاره ،  
ورأى عيب الهوى فلم يصطل بناره ، ودافع الشهوات وصاير للكاره ، إن بحث عنه  
رأته صائم نهاره ، وإن سألت عن ليله قائم أسحاره ، وإن تلمحته فالزفير في إصعاده  
والدمع في انحداره ، ولا يتناول من الدنيا إلا قدر اضطراره ، باعها فاشترى بها ما يبقى  
باختياره ، هل فيكم مقشبه بهذا أو على بحاره ؟

ياحُبته ومصاييح النجوم تزهرو والناس قد ناموا وهو في أنخير يسهر ، غسل وجهه  
من ماء عينه وعين العين أطهر ، فلما قفى ورذ الدجى جالس يتفكر ، فغطر على قلبه  
كيف يموت وكيف يُقبر ، وتصوّر صحائفه كيف تطوى وكيف تُنشر ، فهاه قلبه في  
بوادي القلق وتحير ، فطلق الدنيا ثلاثا وهل يستوطن معبر .

طوبى مُدّة من دهره دار زخرف إلى أبد ذي سُندس وحرير  
ألا تلکم الدار التي حلّ أهلها بناء عن الخطب المخوف شطير<sup>(١)</sup>  
لهم ما اشتبهوا فيها مسوقا إليهم مقودا إذا شادوا بنير جبرير



## الكلام على قوله تعالى :

« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن »

إخواني : استذكروا باقى الشهر فإنه أشرف أوقات الدهر ، واحصروا النفوس  
عن هواها بالقهر ، وقد سمعتم بالخور العين فاهتموا بالمهر .  
أخبرنا أبو منصور القزاز بسنده عن ثابت ، عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : « أفضل الصدقة صدقة رمضان <sup>(١)</sup> » .  
عباد الله : اعلموا أن النصف الأخير أفضل من الأول ، لأن فيه العشر ليلة القدر ،  
والأعمال تُضاعف بشرف وقتها ومكانها .

قد بلغ الشهر إلى نصفه وليس عني الشهر بالراضى  
ظلمت صوم الشهر في حقه يا ويلتا إن عدل القاضى  
أترى صبح لك صوم يوم ، أترى تسلم في شهرك من لؤم ، أترى لفيك خلوق أم  
فيك خللاق <sup>(٢)</sup> ، من فطر صائما فله أجر صائم ، فاجتهد أن تصوم رمضان ستين يوما .  
أيها الراقد عن نهزته <sup>(٣)</sup> ما يرؤع السيف حتى يُشهرأ  
وأبي المجذ لقسد فاز به سالك فيه الطريق الاوعرا

\*\*\*

إنما أنت ضيف أصبحت في مترك ، وما في يديك ودية عندك ، ويوشك الضيف  
أن يرتحل والودية أن تُرد . ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودّع الدنيا :  
قد كشف الدهر عن يقيني قناع شكى في كل شيء  
لا بد من أن يحل موت عفة نفسي من كل شيء  
مضى تتبع أوصاف الإنصاف ، إلى متى ترضع أخلاف <sup>(٤)</sup> الخلاف ، أبطك الدهر

(١) أخرجه سلم الرازي في جزئه عن أنس . الجامع الصغير حديث رقم ١٢٦٥ . (طحي العرن) .

(٢) الخلائق : التصيب الوافر من الخير . (٣) النهزة : القرصة .

(٤) الأخلاف : جمع خلف وهو حلة ضرع الناقة .

وأرشدك الوعظ فهنت ، وحدّثك الموتُ فأفهمت ، ألب<sup>(١)</sup> حب الدنيا بلبك ، وأقلب هواها مستقيم قلبك ، كم نوقط عقلك سنة بعد سنة . وهو لا يزداد إلا رقدا وسنة ، كم نرعى هدف سمك برشق كلام لم يلدغ أصل قلبك بحبه ملام :

عين للنية بقطي غير مطرفة وطرف مظلومها مذكان وسنان  
جهلا تمكن منه حين موته والتعلق صاح ولب المرء سكران

لني راهب راهبا قال : أترضى حالتك التي أنت عليها للموت ؟ قال : لا . قال : فهل عزمت على توبة من غير تسويف ؟ قال : لا . قال : فهل تعلم دارا تعمل فيها سيوى هذه ؟ قال : لا . قال : فهل للإنسان نفسان إذا ماتت واحدة عجل بالأخرى ؟ قال : لا . قال : فهل تأمن مجوم الموت على حالتك هذه ؟ قال : لا . قال : فما أقام على ما أنت عليه عاقل !  
صعد عمر بن عبد العزيز المنبر فقال : إن كنتم على يقين فأنتم سحقي ، وإن كنتم في شك فأنتم هلكني . ثم نزل

ودخل عليه رجل متغير اللون فقال : ما بك ؟ قال : أمراض وأعلال . قال : لتصدقني قال : دقت حلاوة الدنيا مرًا

وهبتى كغثمت الحق إذ قلت غيره أتخفى على أهل القول السرائر  
أيا ذلك إن السر في الوجه ناطق وإن ضمير القلب في العين ظاهر

\*\*\*

قال صالح المري : كان عطاء السلمي قد اجتهد حتى انقطع قلبه له يوما : إني مسكر مك بكرامة فلا ترد كرامتي . فبعثت إليه شربة من سويق مع ولدي وقلت له لا تبزح حتى يشربها . فجاء فقال قد شربها . فبعثت له في اليوم الثاني مثلها فجاء فقال ما شربها . فأنيت إليه فلمته وقلت : رددت على كرامتي وهذا يقويك على العبادة . فقال : يا أبا بشر لقد شربتها في أول يوم واجتهدت في اليوم الثاني فلم أقدر ، كلما هممت بشربها ذكرت قوله تعالى : « وطعنا ما ذا غصبة » قال : قلت أنا في وادٍ وأنت في وادٍ !

أطلت وعففتي ياعدول بليت فدعني حديثي طويل

هَوَى هَوَى بِلَهْ ظَاهِرٌ قَدِيمٌ حَدِيثٌ لَطِيفٌ جَلِيلٌ  
أَلَا مَا لَنَا اللَّيْلُ لَا يَنْقِضِي كَذَا لَيْلُ كُلِّ عَجَبٍ طَوِيلٌ  
أَيَّتْ أَسَاهِرَ نَجْمِ الدَّجَى إِلَى الصَّبْحِ وَحْدَى وَدَمْعَى يَسِيلُ

\*\*\*

لَهُ دَرَّ تِلْكَ الْقُلُوبَ الطَّاهِرَةَ ، أَنْوَارَهَا فِي ظِلَامِ الدَّجَى ظَاهِرَةَ ، رَفَضَتْ حِلْيَةَ الدُّنْيَا  
وَلَمَّا كَانَتْ فَاحِشَةً ، كَمْ تَرَكَتْ شَهْوَةً وَهِيَ عَلَيْهَا قَادِرَةٌ ، بَاتَتْ عَمِيصًا وَالتَّسْ نِيَامًا سَاهِرَةَ ،  
زَفَرَاتِ الْخُطُوفِ تَتِيرُ سَحَابَاتِ الْأَجْفَانِ لِلْمَاطِرَةِ ، يَنْدَبُونَ عَلَى الذُّنُوبِ وَلَمَّا كَانَتْ نَادِرَةً ،  
كَمْ يَبْنُوكَ وَيَبْنِيهِمْ بِأَبَالِغِ الْآخِرَةِ ، شَيْبٌ وَعَجِبٌ أَمْثَالُ سَائِرَةِ ، أَمَلٌ مَعَ هَرَمٍ هَذِهِ نَادِرَةٌ ،  
كَمْ أَقْوَامٌ أَمَلُوا هَذَا الشَّهْرَ نَفَاحِ الْأَمَلِ ، أَيْنَ هُمْ خُلُوفًا فِي الْأَلْحَادِ بِالْعَمَلِ ، نَافِلٌ إِنْ نَسِيَانِ  
النَّقْلُ فِي الْعَقْلِ خَلَّ ، أَمَا يَكْفِي زَجْرُ اللَّعِيمِ مِنْ رَحَلِ :

كُلُّ حَيٍّ قَضَاهُ الْأَجَلَ لَيْسَ لِلْخَلْقِ بِذَا الْمَوْتِ قَبْلُ  
نُوبٌ قُلْنَا لِمَادٍ قَبْلَنَا أَنْ مِنْ ذَاتِ الْهَيَاةِ لِلْمَرْتَحِلِ  
وَاسْتَوَى مِنْ ذَلِكَ الشَّرْبُ الْفَنَى صَارَ عَلَا لِسَوَامٍ وَهَلْ  
أَلْبَسَتْ نَاسًا سَوَامٍ حَلِيمٍ ثُمَّ بَزَّتْهُ فَرَاخُوا بِالْعَطَلِ  
فَكَانَ الدَّهْرَ لَمْ يَجْمَعْ لَهُمْ رَغَدَ الْمَيْشِ وَإِعْزَازَ الدُّوَلِ  
فَاسْأَلِ الْإِبْيَانَ عَنْ أَرْبَابِهِ كَيْفَ حَلَّتْ بِهِمْ تِلْكَ الرَّحَلِ  
فَقَلَّتْهُمْ عَنْ فِضَاءٍ وَاسِعٍ بَسْرَحَ الْغُرْفِ بِهِ حَقٌّ يَمَلُ  
نَحْنُ أَعْرَاضُ خُطُوبٍ إِنْ رَمَتْ عَادَتِ الْأَذْرَاعُ لَيْنًا كَالْمَطْلَلِ  
وَإِذَا مَا اخْتَلَفَتْ أَسْهُمَهَا فَاصْبَا بِطَلِّ الْقَوْمِ بَطَلُ

يَا مَنْ عَمَرَهُ قَدْ وَهَى فِي سِلَاحِ الْهَوَى فَهُوَ مَتَّاهٍ ، مَتَى تَسْتَدْرِكُ فِي هَذِهِ الْبَقِيَّةِ بِالْتَفَتَةِ  
الْفَائِتِ ، مَتَى يَشْجَعُ النَّوْمُ فَتَجْتَمِعُ الْهَوْمُ الشَّتَائِتِ ، أَيُّهَا الْبَرِيضُ الْبَالِي وَمَا يُبَاكِي بَوْصِفِ  
نَاعَتِ ، إِنْ مَتَى أَنْتَ بِالْمَيُوبِ إِلَى عَلَامِ الْغُيُوبِ مُتَبَاكٍ ، مَتَرَضٌ صَبَاحًا لِلْسَاخِطِ وَمَسَاءً

للماقت ، وتعمل بالأغراض في الإعراض عمل العفارت . يا متكلما في ضُرته فأما في نفعه  
فما كنت ، كلما نص أجه زاد أمه وهذا متفاوت ، أما رأيت النبايا تحصد للتي في المناكب ،  
كم مُقَتِّته رجع القهقري إلى حزنٍ باكت ، كأنك بالموت إذ ثوى قد فزَّع الثوابت ،  
ونزل بك إذ نزل بك إلى حيرة باهت ، يا جاهلا قد غرَّ لقد سرَّ بفعلك الشامت :

كأنك بالمضى إلى سبيك      وقد جَدَّ المجهز في رحيلك  
وحىء بفاسيلٍ فاستمجلوه      بقولهم له افرغ من غسيلك  
ولم تحمل سوى خرق وقطن      إليهم من كثيرك أو قليلك  
وقد مدَّ الرجال إليك نَشَا      فأنت عليه مُمتدَّا بطولك  
وصلوا ثم إنهم نداعوا      غمَّلك في بُكورك أو أصيلك  
فلما أسلكوك نزلت قبرا      ومن لك بالسلامة في زولك  
أعانك يوم تدخله رحيم      روف بالعباد على دخولك  
فسوف تجاور الموق طويلا      فدعني من قصيرك أو طويلك  
أخى إني نصحتك فاستمع لي      وبالله استمنت على قبولك  
ألست ترى النبايا كل يوم      تُصيبك في أخيك وفي خليلك



إخواني : هذه أيام تُصان ، هي كالتاج على رأس الزمان ، وصل توقعُ القَدَم من  
الرحيم الرحمن « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » .  
يا له من وقت عظيم الشأن تجب حراسته مما إذا حلَّ شأن ، كأنكم به قدر حل وبان  
ووجه الصُّلح ما بان « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » .  
من اللازم فيه أن تحرس العينان ، ومن الواجب أن يحفظ اللسان ، ومن المتعين أن  
تُمنع من الخطي في الخطأ اتقمان « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » .  
زِنُوا أفعالكم في هذا الشهر بميزان ، واشتروا خلاصكم بما عزَّ وهان ، فإن مجزتم

فَسَلُّوا المِئين وقد أَعَانَ « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » .  
قد ذهب نصف البضاعة فى التفريط والإضاعة ، والتسويق يَمَحِقُ ساعةً بعد ساعة ،  
والشمس والقمر بحسبان « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » .  
ياواقفا فى مقام التحير هل أنت على عَزْمِ التَّغَيَّرِ ؟ إلى متى ترضى بالنزول فى منزل  
الهوان . هل مضى من يومك يومٌ صالح سَلِمْتَ فيه من جرائم القبايح ، تالله لقد سبق لنتيقي  
الرايح وأنت راضٍ بالغمران . عينك مُطْلقة فى الحرام ، ولسانك منبسط فى الآثام ،  
ولأقدامك على الذنوب إقدام ، والكل مُنْهَب فى الديوان . قلبك غائب فى صلواتك  
وفكرك ينقضى فى شهواتك ، فإن ركنَ إليك معاملتُ فى معاملتك دخلت به خانَ من خان  
أكثر كلامك لغو وهذر ، والوقت بالتفريط شذر مذر ، وإن اغتبت مسلما لم تُبْق ولم  
تذر ، الأمان منك الأمان . تالله لو عقلت حالك أو ذكرت ارتحالكَ أو تصوّرت أعمالك  
لَبَنَيْتَ بيتَ الأحزان . سيشهد رمضان عليك بنطق لسانك ونظر عينيك ، وسيشار يوم  
الجمع إليك شَقِي فلان وسعد فلان . فى كل لحظة تُقَرَّب من قبرك ، فانظر لنفسك فى تدبير  
أمركَ ، وما أراك إلا كأول شهركَ ، الأول والآخِر سَيَّان ، قد ذهب من الشهر النصف  
وما أرى من عملك النصف ، فإن كان فى الممانى قد قُبِح الوصف قم الآن .  
والحمد لله وحده .

## المجلس الثامن في ذكر النشْر ولية القدر

الحمد لله عالم السر والجهر ، وقاصم الجبارة بالعز والقهر ، مُخْصِي قطرات الماء وهو يجرى في النهر ، فَضَّل بعض المخلوقات على بعض حتى أوقات الدهر ، « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » . فهو المتيقّد بإيجاد خلقه للتوحد بإدوار رزقه ، القديم فالسَّبق لِسَبْقِهِ ، الكريم فأقام مخلوق بحقه ، عالم بسر العبد وسامع نطقه ، ومقدر علمه وعمله ومُعمِّره وفعله وخلقته ، ومجازيه على عيبيه وذنبه وكذِّبه وصدقه ، لئلاَّ التَّهَارُفُ السَّكَلُ في أسْرَيقَةٍ ، الحليم الستار فالخلق في ظل رِقَّةٍ ، أرسل السحاب تخفُّ صواعقه ويُطعم في وَدْقِهِ ، يزعج القلوب رَوَاعِدِهِ ويكاد سَنَابِقُهُ ، جعل الشمس سراجاً والقمر نوراً بين غربه وشرقه .

أحمده على الهدى وتسهيل طرقه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في رَقَّةٍ وفقته ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله والاضلال عامٌ ففجاه بحقته ، صلى الله عليه وعلى آله وصاحبه أبى بكرٍ السابق بِصِدْقِهِ ، وعلى عمر كاسر كِسْرِي بتدبيره وحِذْقِهِ ، وعلى عثمان جامع القرآن بمد تبيذه في رَقَّةٍ ، وعلى عليٍّ واعذرونا في عشته ، وعلى حمزة العباس مشاركته في أصله وعرقه .

\*\*\*

قال الله عز وجل : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » . الهاء في « أَنْزَلْنَاهُ » كناية عن القرآن ، وذلك أنه أنزل جملة في تلك الليلة إلى بيت العزة وهو بيت في السماء الدنيا .

وفي تسميتها بليلة القدر خمسة أقوال : أحدها : أنها ليلة العظيمة ، يقال : لفلان قَدْرٌ . قاله الزُّهْرِيُّ . ويشهد له : « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ »<sup>(١)</sup> .

وانتهى : أنه الضَّيِّقُ . أي هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون . قاله الخليل بن أحمد ويشهد له : « وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ »<sup>(٢)</sup> .

والثالث : أن القدر الحُكْمُ كَانَ الأشياءَ تقدر فيها . قاله ابن قتيبة .  
والرابع : لأن من لم يكن له قَدْرٌ صار عراعرها ذا قَدْرٍ . قاله أبو بكر الورّاق .  
والخامس : لأنه نزل فيها كتاب ذو قَدْرٍ وينزل فيها رحمة ذات قَدْرٍ وملائكة ذوو قَدْرٍ . حكاه شيخنا علي بن عبيد الله .

قوله تعالى : « وما أدراك ما ليلةُ القدر » هذا على سبيل التظيم لها والتشويق إلى خبرها .

في قوله تعالى : ليلة القدر خير من ألف شهر قولان : أحدهما : أنها من زمان بنى إسرائيل ثم في ذلك قولان : أحدهما ما رواه عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له رجل من بنى إسرائيل حمل السلاح على عاتقه ألف شهر ففجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتغنى أن يكون ذلك في أمته ، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر ، وقال : هي خير من ألف شهر التي حل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله ، والثاني : أن الرجل كان فيما مضى لا يستحق أن يقال له عابد حتى يعبُد الله ألف شهر ، فجعل الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر التي كانوا يعبدون فيها .

والقول الثاني : أن الألف شهر من هذا الزمان . قال مجاهد : قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر من هذا الزمان وصيامها ليس فيها ليلة القدر . وهذا قول قتادة واختيار الفراء وابن قتيبة والزمجاج .

قوله تعالى : « تنزل الملائكة والروح » قال أبو هريرة : الملائكة ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى .

وفي الروح ثلاثة أقوال : أحدها : أنه جبريل . قاله الأكثرون . وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كُتُبة من الملائكة يصلون ويسألون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل .  
والثاني : أن الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من

لكن غروب الشمس إلى طلوع الفجر . قاله كعب ومقاتل بن حيان .

والثالث : أنه ملك عظيم من الملائكة . قاله الواقدي .

قوله تعالى : « فيها » أى فى ليلة القدر . قوله عز وجل : « يا ذن ربهم » أى بأمر

ربهم والمعنى : ما أمر به وقضاه . « من كل أمر » قل ابن قتبية : أى بكل أمر . قال

المفسرون : يزلون بكل أمر قضاه الله تعالى فى تلك السنة إلى قابل .

قوله تعالى : « سلام » أى ليلة التندر سلام . وفى معنى السلام قولان : أحدهما :

أنه لا يتحدث فيها داء ولا يرسل فيها شيطان . قاله مجاهد . والثانى : أن معنى السلام الخير

والبركة . قاله قتادة .

\*\*\*

واعلم أن ليلة القدر باقية إلى يوم القيامة . قال أبو ذر رضى الله عنه : سألت رسول

الله صلى الله عليه وسلم قلت : يارسول الله أخبرنى عن ليلة القدر فى رمضان هى أوفى غيره ؟

قال : بل هى فى رمضان . قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هى إلى يوم

القيامة ؟ قال : بل هى إلى يوم القيامة . قلت : فى أى رمضان هى ؟ قال : التموها فى العشر الأول

والعشر الآخر . قلت : فى أى العشرين هى ؟ قال : اجتفوها فى العشر الأواخر ، لأنسانى عن شيء

بعد . ثم حدثت وحدثت قلت : يارسول الله أقسمت عليك بحقى عليك لما أخبرتنى فى أى

العشر هى ؟ فغضب على غضباً لم يغضب على مثله قال : « التموها فى السبع الأواخر لأنسانى

عن شيء بعدها <sup>(١)</sup> » .

وقد ذهب قوم إلى أنها ليلة سبع عشرة من رمضان .

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك بسنده عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر فقال : هى

ليلة سبع عشرة لاشك فيها . ثم قال : ليلة الفرقان يوم التقي الجمعان <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

(١) رواه الزبارة عن مرثد عن أبي ذر بنحوه ، قال الهيثمى : ومرثد هذا لم يرو عنه غير أبيه مالك ،  
وإبنة رجاله ثقات . مجمع الزوائد ١٧٧/٣ .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن حوط العبدي . قال البزارى : حديثه هذا منكر . مجمع الزوائد ١٧٨/٣ .



واعلم أن الجمهور على أنها في العشر الأواخر وأنها تختص بالأفراد واختلفوا في الأخص بها ، فذهب الشافعي رحمه الله إلى ليلة إحدى وعشرين ويدل عليه حديث أبي سعيد وهوق الصحيحين قال : أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة القدر ثم أنسها قال : أراي أسجد في ماء وطين . فوالذي أكرامه لأبته يصلي بنا صلاة المغرب ليلة إحدى وعشرين وإن جبهته وأرنبة أنفه لفي الماء والطين <sup>(١)</sup> .

والثاني : ليلة ثلاث وعشرين . وروى مسلم في أفراده من حديث عبد الله بن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أراي صبيحتها أسجد في ماء وطين » فخيرنا ليلة ثلاث وعشرين ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه . وأخبرنا ابن الحصين بسنده عن عكرمة قال : قال ابن عباس : أتيت وأنا نائم قليل لي : إن الليلة ليلة القدر . فقامت وأنا نائم فتعلقت ببعض أطناب فسقط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يصلي فظفرت في تلك الليلة فإذا هي ليلة ثلاث وعشرين <sup>(٢)</sup> .

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينضح الماء في وجوه نساءه ليلة ثلاث وعشرين من رمضان .  
فرد بإخراجه أبو بحر .  
والثالث : ليلة خمس وعشرين وروى هذا المعنى أبو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والرابع : ليلة سبع وعشرين أخبرنا ابن الحصين بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان متحرراً فليتحربها ليلة سبع وعشرين . أو قال : تحربوها ليلة سبع وعشرين . »

(١) صحيح البخارى كتاب صلاة التراويح باب فضل ليلة القدر (١/ ٢٦١ ط الأمية) . وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ٢١٥ ، ٢١٦ .  
(٢) رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح . مع الزوائد ١/ ١٧٥ .

اغترد بإخراجه مسلم<sup>(١)</sup>

أخبرنا ابن ناصر بسنده عن رِ بْنِ حُيَيش قال : أخبرنا أبي بن كعب عن ليلة القدر فحلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين . قلت : بم قول ذلك يا أبا المنذر ؟ قال : بالآية أو بالعلامة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنها تصبغ من ذلك اليوم نطالع الشمس وليس لها شعاع . أخبرنا ابن الحصين بسنده عن عاصم عن زِرِّ قال : قلت لأبي بن كعب : أبا المنذر أخبرني عن ليلة القدر . قال : صاحبنا يعني ابن مسعود رضى الله عنه كان إذا سُئِلَ عنها قال : من يَعمُ الحَوَلُ يُصْهأ . قال : يرحم الله أبا عبد الرحمن أما والله لقد علم أنها في رمضان ولكن أحب أن لا تتكلموا وأنها ليلة سبع وعشرين لم يستثن قلت : أبا المنذر أتى أعلم ذلك ؟ قال : بالآية التي قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة ليلة القدر نطالع الشمس لاشعاع لها كأها طست حتى ترتفع .

لفظ المتقدم . قال ابن ناصر : عال صحيح .

أخبرنا علي بن عبيد الله بسنده عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا أتى بهي الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني شيخ كبير يشق علي القيام فمرني بيلة لدل الله عز وجل أن يوهني فيها ليلة القدر فقال : عليك بالسابعة<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا أبو منصور القزاز بسنده عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليلة القدر ليلة سبع وعشرين »<sup>(٣)</sup> .

وهذا مذهب علي عليه السلام وابن عباس رضى الله عنهما . وقد روى عن ابن عباس أنه استدل على ذلك بثنتين : أحدهما أن السبعة تنكرر في الحفوفات ، فأدرك سبع . والثاني : أن قوله « هي » هي الكلمة السابعة والمثرون . وقال عبدة بن أبي لبابة : دُفِتْ ماء البحر ليلة سبع وعشرين فوجدته تذبا .

(١) الذي في صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ٢٠٦ ونصه : « تمروا ليلة القدر في السبع الأواخر وحديث رقم ٢١٠ ونصه : « من كان ملتسها فليلتسها في العشر الأواخر » . أما هذه الرواية فهي عند الإمام أحمد وإسناده حسن .

(٢) رواه أحمد ورحاله رجال الصحيح . جمع الزوائد ١٧٦/٣ .

(٣) روى نحوه الطبراني في الأوسط .

واستدل بعضهم بأن ليلة القدر تكررت في هذه السورة ثلاث مرات وهي تسعة أحرف ، والتسعة إذا كُرِّرَتْ ثلاثاً كانت سبعة وعشرين .  
والخامس : مشكوك فيه . أخبرنا ابن الحصين بسنده عن أنس عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد أن يخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان فرُفِفت وعسى أن يكون خيراً لكم ، فالتمسوها في التاسعة أو السابعة أو الخامسة » .  
انفرد بإخراجه البخارى <sup>(١)</sup> .

قال أحمد : وحدثننا حيوة ، عن ابن شريح ، عن بَقِيَّة ، عن يَجْرِج بن مَعْدَان ، عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليلة القدر في العشر البواقي من قاهن ابتغاء حسيتهن فإن الله يفرقه ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة :  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أماراة ليلة القدر أنها صافية كأن فيها قجرا ساطعا ساكنة صاحبة <sup>(٢)</sup> لا برد فيها ولا حر ، ولا يحل لكوكب أن يرُمى به حتى يُصبح ، وإن أمارتها أن صبيحتها تخرج مُستوية ليس لها شمع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ » .

قال أحمد : وأخبرنا ساجان بن داود ، عن عمران القَطَّان عن قتادة عن أبي مبيونة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر إنها ليلة سابعة أو تسعة وعشرين إن للملائكة تلك الليلة أكثر من عدد الحمى <sup>(٣)</sup> .  
أخبرنا محمد بن عبد الله القاضي ويحيى بن على المُدِير بسندهما عن حميد عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر التاسعة

(١) صحيح البخارى كتاب صلاة التراويح باب فضل ليلة القدر .

(٢) مجمع الزوائد ١٧٥/٣ : شاحبة .

(٣) رواه أحمد والبخارى والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات - مجمع الزوائد ١٧٦/٣ .

والساعة والعلامة وآخر ليلة ، وهى ليلة بَلَجَة <sup>(١)</sup> لاحارة ولا باردة ولا يرمى فيها بنجم ولا يفتح فيها كلب <sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا الكُروخي بسنده عن ابن عَيَّيْنَةَ بن عبد الرحمن قال : حدثنى أبى قال : ذكرت ليلة القدر عند أبى بكرة فقال : ما أنا بملتسمها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فى المشرا الأواخر فأتى سمعته يقول : « التمسوها فى تسع بَيِّنٍ أو سبع بَيِّنٍ أو خمس بَيِّنٍ أو ثلاث بَيِّنٍ أو آخر ليلة » <sup>(٣)</sup> .

قال الترمذى : وأخبرنا عبد بن حُجيد ، عن عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن أيوب ، عن أبى قلابة أنه قال : ليلة القدر تهتل فى المشرا الأواخر <sup>(٤)</sup> .

وقد روى عن مجاهد قال : ليلة القدر ليلة أربع وعشرين أخذته من حديث واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان .

وقال سعيد بن جبَّير : كنا مع ابن عباس فى المسجد الحرام فغفق رأسه خفقة فقال : أى ليلة هذه ؟ قلنا ليلة أربع وعشرين . قال : الليلة ليلة القدر لأن الملائكة نزلوا من السماء وعليهم ثياب بيض .

قلت : والحكمة فى إخفائها أن يتحقق اجتهاد الطالب كما أخفيت ساعة الليل وساعة الجمعة . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر مالا يجتهد فى غيره كان يسهر ليله ويحمل كُله فيشد مشوره ويقوم الليل كله .

وقد أخبرنا أبو عبد الله السَّلال بسنده عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر <sup>(١)</sup> » . أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار بسنده عن عائشة رضى الله عنهما قالت : كان

(١) البَلَجَة : التبرئة (٢) وروى نحوه الطبراني فى الكبير .

(٣) أخرجه الترمذى فى صحيحه ١٥٢/١ ( ط الأميرية ) .

(٤) أخرجه البغارى فى صحيحه ٣٦٠/١ إلى قوله ( ما تقدم من ذنبه ) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في العَشرِ الأواخر من رمضان يُحْيِي الليل كُلَّهُ ويوقظ أهله ويشد البُرْزَ .

أُخرجاه في الصحيحين <sup>(١)</sup> .

وفي أفراد مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَحْتَد في العَشرِ ما لا يَحْتَد في غيره <sup>(٢)</sup> .

وفي الصحيحين من حديثها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَكف العَشرِ الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل <sup>(٣)</sup> . وأُخرجاه من حديث ابن عمر أيضا قال : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العَشرِ الأول من رمضان فاتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الذي تطلب أمامك <sup>(٤)</sup> .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفر له ما تَقَدَّم من ذنبه » <sup>(٥)</sup> .  
وكذلك في حديث عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إذا وافقت ليلة القدر فادعوا ؟ قال : « قولي : اللهم إنيك عفوٌ تحب العفو فاعف عني » <sup>(٦)</sup> .

وقد كان السلف يتأهبون لها . فكان لَتَمِيم الدارِي حُلَّة بألف درهم بابسها في الليلة التي يُرْجى أنها ليلة القدر . وكان ثابت وَحِيد يفتسلان ويصْطَبيان ويَلْبسان أحسن ثيابهما ويصْطَبيان مساجدهما في الليلة التي تُرْجى فيها ليلة القدر .

(١) صحيح البخاري ٢٦٢/١ وصحيح مسلم كتاب الاشتكاف حديث رقم ٧ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الاشتكاف حديث رقم ٨ .

(٣) صحيح البخاري ٢٦٢/١ وصحيح مسلم كتاب الاشتكاف حديث رقم ٥ .

(٤) لم أجده في صحيح البخاري وهو في صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ٢١٥ ( بمناه ) .

(٥) صحيح البخاري ٢٦٠/١ وصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث رقم ١٧٥ .

(٦) أخرجه الزمخشري في صحيحه كتاب الدعوات باب ٨٤ .

إخواني : والله ما يَفْلُو في طلبها عَشْر ، لا والله ولا شَهْر ، لا والله ولا دَهْر . فاجتهدوا في الطلب فرب مجتهد أصاب .

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما قال : لما دخل رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الشهر قد دخل عليكم فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرِمها فقد حرم الخير كله ، ولا يحرم خيرها إلا أكل محرّم <sup>(١)</sup> » .

### الكلام على السمر

أَكْدَحَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ لَلْوَتِ فِي مَهَلٍ  
إِنَّ النَّيَّةَ مَوْرُودٌ مِنْهَا أَهْلُهَا  
وَفِي الْإِلَهِي إِلَى وَفِي الْأَيَّامِ تَجَرُّبَةٌ  
بِمَدِّ الشَّابِّ يَصِيرُ الصُّلْبُ مُنْحَنِيًا  
يُنْفِي النُّفُوسَ وَلَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ  
لِاسْتَقْرَئِ وَمَيَّاتٍ مَقْصُودَةٌ  
وَمَنْ تَعَاقَرَهُ الْأَيَّامُ تَبَدَّلَهُ  
خَلَوْا بِرُوحًا وَأَوْطَانًا مَشِيدَةً  
فِيَالِهِ سَفَرًا بَعْدًا وَمَقَرًّا  
بِمَوْحَشٍ ضَيِّقٍ نَاءٍ مَحَلَّتِهِ  
كَمْ مِنْ مَوْحِبٍ عَظِيمٍ لِنُفْسٍ مُتَّخِذٍ  
أَضْحَى ذَلِيلًا صَغِيرَ الشَّانِ مَنفَرْدًا  
وَقَبْلَكَ النَّاسُ قَدْ عَاشُوا وَقَدْ هَلَكُوا  
وَلَا تَكُنْ جَاهِلًا فِي الْحَقِّ مُرْتَابًا  
لَا بَدَّ مِنْهَا وَلَوْ عُمِّرْتَ أَخْطَابًا  
يَزِدُّ فِيهَا أَوَّلُ الْأَلْبَابِ أَلْبَابًا  
وَالشَّعْرُ بِمَدِّ سَوَادٍ كَانَ قَدْ شَابَا  
لَيْلٌ سَرِيعٌ وَشَمْسٌ كَرَّهَا <sup>(٢)</sup> دَابَا  
حَتَّى يَمُودَ شُهُودُ النَّاسِ غُيَّابًا  
بِالْجَارِ جَارًا وَبِالْأَصْحَابِ أَصْحَابًا  
وَمُؤْنِنٍ وَأَصْهَارًا وَأَنْسَابًا  
كَيْتَ مِنْهُ لَطُولُ النَّأْيِ أَمْوَابًا  
وَلَيْسَ مِنْ حَلٍّ مِنْ غَيْبَةٍ أَبَا  
دُونَ السَّرَاقِ حُرَّاسًا وَحُجَّابًا  
وَمَا يَرَى عِنْدَهُ فِي الْقَبْرِ بَوَّابًا <sup>(٣)</sup>  
فَأَضْرَبَ الْحَيُّ عَنْ ذِي <sup>(٤)</sup> النَّأْيِ إِضْرَابًا

(١) أخرجه النسائي - كتاب الصيام باب رقم ٥ وابن ماجه كتاب الصيام باب رقم ٣ .

(٢) ب : نحوها . وما أنبته من ت .

(٣) ت : نوابا (٤) ت : عند النأي .

يا أيها الرجل الناسي لِنَفْسِهِ أصبحتَ ماستاقِي النفسُ هَرَابًا  
استدَحَ لِنَفْسِكَ مِنْ<sup>(١)</sup> دَارِ نَزَائِلِهَا وَلَا تَكُنْ لِلذِي يُؤْذِيكَ ضَلَالًا

\*\*\*

يا من أمله إلى أجله بقوده ، أنت على يقين من نيل ما تريده ، كم من غصن غصّر  
كسر عوده ، كم ملك عات تفرقت جنوده ، لقد طرق الموتُ الغيلَ فهلكت أسوده ،  
كم هدد الموتُ من جبل ، كم رحّل إلى القبور ونقل ، فرّغ لنارل وأخلّ الحِللَ<sup>(٢)</sup> وأغرى  
في العراء أصحاب الحُلل ، ونقض بمقول التلف ركن الأمل ، ومحا من كتاب اللهو  
سطور الجذَل . وصاح بصوته الهائل : جاء الأجل : لقد غرك من الأمانى لُوعها  
وإن أشقى النفوس طمُوعها ، إنها الدنيا قد ضُرّت ضرُوعها . وكم جرّ جريرة ماجى  
جرُوعها<sup>(٣)</sup> ، طوى لِنَفْسٍ طال عنها جوعها ، وُصِفَ لها الجنة فاشتد زُوعها ، تفكرت  
في تقصيرها فسالت دموعها ، ما عندك خبر عما يحوى ضلوعها :

أرأيت من داء الصَّبَابَةِ عاندا ووجدت في شكوى الغرام مُسَاعِدًا  
هيهات ما تَرَدُّ المطالبُ نائمًا عنها ولا نُصِل الكواكب قَاعِدًا  
إن جواهر الأشياء يظهرها سَبْكُهَا ، وإن قلوب الموقنين قد زال شَكُّهَا . يا ذا الكل  
هذا زمان النشاط ، يا ذا الأتنة إن للترويض ألم السَّيَاط .

إخواني : راعوا حقَّ هذه الأيام مهما أمكنكم ، واشكروا الذى وهب لكم السلام  
ومكنكم ، فكم مؤمل لم يبلغ ما أمل ، وإن شككت فتأمّل جيرانك وتأمل ، كم من  
أناس صلوا معكم في أول الشهر التراويح ، وأوقدوا في المساجد طلبًا للأجر الصايح ،  
اقتنصهم قبل تمامه الصائتُ فقهرُوا ، وأمرتهم المصيدُ فأُسروا ، وغسهم التلف  
في بحره فَمَقِلُوا<sup>(٤)</sup> ، ولم ينفعهم السال والآمال لما تَقَلُّوا ، أدارب عليهم النون رحاما ،

(١) ت : في دار . (٢) الحلل : جمع حلة بالكسر وهي جماعة بيوت الناس .

(٣) الأصل : جدوعها . ولعل الصواب ما أثبتناه . والبرع : مباغة من البرع .

(٤) مقلوا : غسوا وغمروا .

وحك وجوهم الثرى فجعلها ، فأعدمتهم صوماً وفطرا ، وزودتهم من الحنوط <sup>(١)</sup> عِطرا ، وأصبح كل منهم في اللحد سطرا ، هذا حالك يا من لا يعقل أمرا ، كم تُعرض وما ينفع التعريض ، وأعرض لك باللوم وما يُجدي التعريض ، يا من لا ينتبه بالتصريح ولا بالتعريض ، يا متموضا ما يقى عما يبقى بشئ التعويض ، يا مسودا صحائفه متى يكون التبييض ، قد أملهذك في الزمان الطويل المريض ، كم يقال لك ولا تقبل ، والحرّ نكفيه للملأمة ، أمارأة الخير ما تخفى ، طرف الفتى يُخبر عن ضميره ، تالله إن راضك لَتُنقَفَ يَضَعُ الهناء مواضع الثقب <sup>(٢)</sup> ، لو اروعيت لاستويت ، لو صبح منك الهوى أُرشدت للحيل ، زاحم التائبين وادخل في حزب البكّاكين ، وكلُّ غريب للغريب نسيب .

قال يحيى بن معاذ : يابن آدم طالبت الدنيا طلب من لا بد له منها ، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له إليها ، والدنيا قد كُفِيَتْها وإن لم تطلبها ، والآخرة بالطلب منك تنالها ، فاعتقل شأنك يابن آدم . حُفَّتِ الجنة بالكاره وأنت تكرهها ، وُفَّتِ النار بالشهوات وأنت تطلبها ، فما أت إلا كماريض الشديد الداء ، إن ضبرت قته على مضض الدواء . أكتسبت بالصبر عافية الشفاء ، وإن جرعت نفسه عما يلقى طالبت به علته :

وفي الشيب ما ينهى الحكيم عن الصبا إذا استوقدت نيرانه في عذاره  
وأى امرئ يرجو من المئيش غبطة إذا اصفر منه العود بعد اخضراره  
وفه في عرض السموات جنة ولكنها تخوفة بالكاره

\*\*\*

أمت نفسك حتى تحيها ، فاقية الصبر حلوة .  
كم صبر بشر <sup>(٣)</sup> عن مُشهي حتى سمع : كل يامن لم يأكل .

(١) الحنوط : كل طيب يخلط لليت .

(٢) المتقف : الصالح للقوم . الهناء : القطران الذى تدلى به الإبل الجرى . والثقب : الجرب .

(٣) يريد بشرا الحاقى الصوفى الزاهد وهو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن حلال الحاقى أصله من مرو سكن بغداد ومات بها ، وصحب الفضيل بن عياض ، وكان عالما ووعا ، توفى سنة ٢٢٧ هـ . ترجمته في طبقات الصوفية ٣٩ وحلية الأولياء ٣٣٦/٨ وتاريخ بغداد ٦٧/٧ . والبداية والنهاية ١٠/٢٩٧ .



مَا مَدَّ سِجَانِي<sup>(١)</sup> : « نَيْمُ الْعَبْدِ » عَلَى قُبَّةٍ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ « حَتَّى جُرِّبَ فِي أَمَانَةٍ » إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا .

إِنِ الْأَمْلَ لَيَحْتَمِدُ إِذَا كَانَ طَرِيقًا إِلَى الصَّحَّةِ ، وَإِنِ الصَّحَّةَ لَتَنْدَمُ إِذَا كَانَتْ سَبِيلًا إِلَى الْمَرَضِ ، أَى فَائِدَةٌ فِي نَذَّةِ سَاعَةٍ أَوْ قَدَتْ غَمًّا طَوِيلًا ، مَا فَهَمَ مَوَاعِظَ الزَّمَانِ مِنْ أَحْسَنِ الظَّنِّ بِالْأَيَّامِ ، إِيَّاكَ أَنْ تَسْمَعَ كَلَامَ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ غُرُورٌ مَحْضٌ :

أَمَّا تَرَى الدَّهْرَ لَا يَبْتِمَى عَلَى حَالٍ      طَوْرًا بِأَمْنٍ وَطَوْرًا جَا بِأَوْجَالٍ  
مَتَى بَانَ النَّتَى قَالُوا دَنَا أَجَلٌ      يَا هَلْ أَرَى فِي اللَّيَالِي غَيْرَ آجَالٍ  
بَدَلٌ يَبْذُلُ إِلَى مَنْعٍ وَعَافِيَةٍ      تَجَرَّدَاءُ وَنُكْسٌ بَعْدَ إِبْلَالٍ  
وَمَا سُرِرْتُ بِأَيَّامِ السَّكَمِ فَمَا      تَنَاقَصَ الشَّيْءُ إِلَّا عِنْدَ إِقْبَالٍ  
نَاقَى الْخَوَافِ فِي الدُّنْيَا وَنَاقِيهَا      وَنَطْلَبُ الْعِزِّ فِي الدُّنْيَا يَازِلَالٍ  
وَتَسْتَدْنِمُ إِلَيْنَا كُلَّ شَارِقَةٍ      وَمَا هَا مُبْغِضٌ فِينَا وَلَا قَالٍ  
لَذَاذَةٍ لَمْ تُنَلَّ إِلَّا بِمَوَلَةٍ      وَحَمَّةٌ لَمْ تَدْمُ إِلَّا بِإِعْلَالٍ

\*\*\*

إِذَا اسْتَوَظَنْتَ السَّلَامَةَ فَتَذَكَّرِ الْقَطَبَ ، وَإِذَا طَابَ لَكَ الْأَمْنُ فَتَفَكَّرْ فِي الْخَوَافِ ، وَإِذَا لَذَّتْ لَكَ الْعَافِيَةُ فَلَتَنْسَ قُرْبَ السَّيِّئِ ، وَإِنْ كُنْتَ مَحَابَا لِنَفْسِكَ فَلَا تَسْأَلْ إِلَيْهَا بِالزَّلَلِ ، إِنْ طَلَبَ الدُّنْيَا لَا يَنْتَلِ مِنْهَا حِفْظًا إِلَّا بِقُوَّةٍ نَصِيبٍ مِنَ الْآخِرَةِ .  
هَلِ الْعُمُرُ إِلَّا ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ : يَوْمٌ اقْتَضَى بِمَا فِيهِ ذَهَبَتْ لَذَّتُهُ وَبَقِيَتْ تَبِعَتُهُ ، وَيَوْمٌ مُنْتَظَرٌ لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا الْأَمَلُ ، وَيَوْمٌ أَنْتَ فِيهِ قَدْ صَاحَ بِكَ مُؤْذِنًا بِالرَّحِيلِ قَاصِرٌ فِيهِ عَنِ الْمَوْتِ فَإِنْ الْعَبْرَ إِذَا وَضَعْتَ إِلَى الْحُبُوبِ سَبِيلَ .

الكلام على قوله تعالى

« سَلَامٌ عَلَى حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ »

إِخْوَانِي : إِنْ شَهَرَ رَمَضَانَ قَدْ قَرُبَ رَحِيلُهُ وَأَزِفَ تَحْوِيلُهُ ، وَهُوَ ذَاهِبٌ عَنْكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ وَقَادِمٌ عَلَيْكُمْ غَدًا بِأَعْمَالِكُمْ ، فَيَا لَيْتَ شَرَى مَاذَا أَوْدَعْتُمُوهُ وَبَأَى الْأَعْمَالِ وَدَّعْتُمُوهُ ؟

أترام رجل حامداً صنيعكم أو ذاماً تضييعكم ؟ ما كان أعظم بركات ساعاته ، وما كان أجلى جميع طاعاته ، كانت ليالى عتق ومُباهاة ، وأوقاته أوقات خدم ومناجاة ، ونهاره زمان قُرْبَةٍ ومصافاة ، وساعاته أحيان اجتهاد ومعاناة ، فبادروا البقية بالبقية قبل فوات البرِّ ونزول البرِّية وتخلَّى عنك جميع البرِّية .

أين الخلف للتعبد ، أين الراهب المتزهد ، أين المنقطع المتفرِّد ، أين العامل المجود ، هيهات بقى عبْد الدنيا ومات السيد ، وهلك من خطؤه خطأ وعاش المتمم ، وضار مكان الخاشعين كلُّ منافق متمرِّد ، رحل عنك شهرُ الصيام ، وودَّعك زمان القيام ، ولحَّ النصيح وقد لام ، أفششرق شمس الإيقاظ وتنام ، فاستدرك ما قد بقى من الأيام ، قد رأيتك توائمت في الأولى والثانية والثالثة فما بعد أن دنا الصباح .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان آخر يوم من شهر رمضان أعتق فيه مثل جميع ما أعتق <sup>(١)</sup> » أنبأنا زاهر بن ضاهر بسنده عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله في كل ليلة من شهر رمضان ستمائة ألف عتق من النار ، فإذا كان آخر ليلة أعتق بعدد من مصي <sup>(٢)</sup> » .

وقد روينا في حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كانت آخر ليلة من رمضان أعتق الله عز وجل في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره <sup>(٣)</sup> » .

وقد كان عبد الرحمن بن الاسود يحكي ليلة الفطر ويقول : هي ليلة خُفلة .

وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحيا ليلتى العيد وليلة النصف من شعبان لم يميت قلبه يومَ تموت القلوب <sup>(٤)</sup> » .

وكان جعفر الصادق يدعو في آخر رمضان فيقول : اللهم رب رمضان منزّل القرآن

(١) الحديث موضوع فيه مجاهيل . الآتي المصنوعة ١٠١/٢

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان . قال البيهقي : هكلفا جاء مرسل .

(٣) الحديث موضوع كما سبق بيانه . (٤) الحديث سبق تخريجُه في ص ٦٢ من هذا الجزء . ر

هذا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وقد نصّر م ، أى رب فأعوذ بوجهك الكريم أن يطلع الفجر من ليلتي هذه أو يخرج رمضان ولك عندي ذنب تريد أن تمذّبني يوم ألتاك .  
ومن التعلّق بالصيام إخراج زكاة الفطر ، حدثنا أبو القاسم بن الحضير بسنده عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر <sup>(١)</sup> » .  
وينبغي أن يكون الاجتهاد في أواخر الشهر أكثر من أوله لثنتين : أحدهما لشرف هذا العشر وطلب ليلة القدر . فقد روي أنها تقدم : « اطلبوها في خمس بقين أو ثلاث أو آخر ليلة » . والثاني : لوداع شهر لا يذرى هل يلقى مثله أم لا .

\*\*\*

إخواني : ليلة القدر ليلة يُمْتَح فيها الباب ويقرّب فيها الأحياء ويُسمع الخطاب ويُردّ الجواب ويُسقى للعاملين عظيم الأجر « سلامٌ هي حتى مطلع الفجر » .  
يسعد بها المواصيل ويتوفر فيها الحاصل ويُقبل فيها الجمال ، فيارجم المامل في البحر « سلام هي حتى مطلع الفجر » .

ليلة تُنقضى فيها الوفود ، ويحصل لهم التصود بالقبول والنفوز والسود ، أنرى ما يؤلّك أهبها المطرود هذا الهجر « سلام هي حتى مطلع الفجر » أخلصوا وما أخاصت قصدك ، وبانموا المراد وما بلغت أهدك ، وكلما جئت بلا نية ردك ، أو ليس ما يؤثر عندك شديد هذا الزجر « سلام هي حتى مطلع الفجر » .

أيقظ نفسك لما بين يديها ، وانتظر ماسيا في عن قليل إليها ، وأسممها المواعظ قد حضرت لديها ، وأقبل نصحي وخذ عليها ضرب الحَجَر « سلام هي حتى مطلع الفجر » . هذه أوقات يربح فيها من فهم ودرى ، ويصل إلى مراده كل من جدّ وسرى ، وبيك فيها العاني وتُطلق الأُسرى ، تقدّم القوم وأنت راجع إلى ورا ، أو ليس كل هذا قد جرى وكأنه لم يجر « سلام هي حتى مطلع الفجر » .

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) لم أجده في شيء من الكتب المصنوعة في الحديث .

## المجلس التاسع

### في ذكر عيد الفطر

الحمد لله موثّر الثواب للأحباب ومكمل الأجر ، وباعث ظلام الليل بفسحه نور الفجر ، المحيط علماً بخاتمة الأعين وخافية الصدور ، ومعلم الإنسان ما لم يعلم به ولم يدّر ، للتهلى عن درك خواطر النفس وهواجس الفكر ، الموالى رزقه فلم ينس المل في الرمل والفرخ في الوكر ، جلّ أن تناله أيدي الحوادث على مرور الدهر ، وتقدس أن يخفى عليه باطن السرّ وظاهر الجهر ، منته تيجان الروس وقلائد النحر « هو الذي يسيركم في البرّ والبحر » أحصى عدد الرمل في الثياقي والتمل في القفر ، وشاء فأجرى كما شاء تقدير الإيمان والكفر ، أغنى وأقتر فبإزادته وقورق الفناء والفقر ، وأصمّ وأسمع فبشيئته أدرك السمع ومنع الوقر ، أبصر فلم يخف عليه ديب اللزّ في البر ، وسمع فلم يعزّب عن سمعه دعاء المضطر في السرّ ، وقدر فلم يحتج إلى معين يمدّه بالنصر ، وأجرى الأقدار كما شاء في ساعات المعصر ، فهو الذي هدانا لإليه بواضح الدليل وسليم السر ، وخصنا من بين الأمم بشهر الصيام والصبر ، وغسل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب بماء القطار ، فله الحمد إذ رزقنا إتمامه وأرانا عيد القطار .

أحمده حمداً لا منتهى لمدّه وأشهد بتوحيده شهادة مخلص في معتقده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي نبع الماء من بين أصابع يده ، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الصديق رفيقه في شدائده ، وعلى عمر كهف الإسلام وعضده ، وعلى عثمان جامع القرآن فسقياً لتبديده ، وعلى عليّ كافي الحروب وشجعانها بمفرده والضبطج ليله خروجه على مرّقه ، وعلى عه العباس مقدّم بيت هاشم وسيدّه .

عباد الله : إن يومكم هذا يوم العيد قد ميز فيه الشق والسعيد ، فكم فرح بهذا اليوم مسرور وهو مطرود مهجور .

وقد رويناه في حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا كانت غداة الفطر بمثل الله تعالى ملائكة في كل بلد فيسبّطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلا الجن والإنس فيقولون: يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنب العظيم . فإذا برزوا في مصلاهم يقول الله عز وجل ياملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فيقولون: إلّٰهنا وسيدنا جزاؤه أن نوفيه أجره . فيقول الله تعالى: ياملائكتي أشهدكم أني قد جعلت ثوابهم في صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائي ومغفرتي . ويقول الله عز وجل: سلّوني فوعزتي وجلالي لاتسألوني اليوم شيئا في جمّكم هذا لأخرتكم إلّا أعطيتكموه ولا لدنيا إلّا نظرت لكم . انصرفوا مغفورا لكم قد أرضيتوني ورضيت عنكم .

وقد سبق هذا الحديث بإسناده فيما تقدم <sup>(١)</sup>.

وأول وظيفه تختص بالميد النسل ، ثم البكور والخروج على أحسن هيئة ، إلّا أن يكون معتكفا فيخرج في ثياب اعتكافه ويخرج معه زكاة فطره ، فإن كان قد أخرجها قبل ذلك يوم أو يومين جاز ، وإن صلى العيد ولم يخرجها أخرجها بعد ذلك على وجه القضاء ، فإذا مشى في الطريق غصّ بصره .

قال بعض أصحاب سفيان الثوري : خرجت معه يوم عيد فقال : إن أول ما نبدا به في يومنا هذا غصّ البصر . ورجع حسان بن أبي سنان من عيده فقال امرأته : كم من امرأة حسناء قد رأيت؟ قال : ما نظرت إلّا في إبهامي منذ خرجت إلى أن رجعت ! ويستحب أن يأكل قبل الصلاة ، بخلاف الأضحية . وفي حديث أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأكل سبع تمرات يوم الفطر قبل أن يخرج إلى المصلى .

أبنا زاهر بن طاهر بسنده عن سعيد بن المسيّب قال : كان المسلمون يأكلون يوم

(١) انظر ص ٧٦ من هذا الجزء .

الفطر قبل الصلاة ولا يفعلون ذلك يوم النحر . وإذا صلى العيد رجع في غير الطريق .  
أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ يوم العيد في طريق ويرجع في غيره . وهذا يحتمل أشياء منها : أنا قد رويت أن الملائكة تقف على أفواه السكك يوم العيد فيقولون للناس : اخرجوا إلى ربكم كرم يفر الذنب العظيم . فيكون الاستعجاب في تغيير الطريق أن يمر على ما منهم لم يمر عليهم ليحصل له البركة بدعائهم . ويحتمل أن يكون ليلقى قوماً من المسلمين ما لقيهم فيدعو لهم ويدعون له . ويحتمل أن يكون للفاضل بتغير الحال ، كأنه خرج وعليه ذنب ورجع مغفورا له .

ولا يسن التطوع قبل صلاة العيد ولا بعدها في موضع صلاة العيد . وقد رويت صلاة لليلة ولיום العيد ليس فيها شيء ثبت ولا يصح ، فلهذا تنكبتنا ذكرها . وينبئ لمن وسّع عليه أن يوسع على الفقراء في هذا اليوم ويتطوع بإطعام من قدر .

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا يوم الفطر أن نفطر الفقراء من إخواننا ، وكان يقول : من فطر واحدا بعثني من النار ، ومن فطر اثنين كتب له براءة من الشرك وبراءة من النفاق ، ومن فطر ثلاثة وجبت له الجنة وزوجه الله من الحور العين . قال : وكان يأمرنا أن نطعم الخبز واللحم والخبز والزيت والخبز واللبان . وكان يقول آدموا طعامكم يؤدكم لكم عيشكم : يقول : بآيته .

ويستحب إتيان رمضان بست من شوال ؛ أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال كان كمن صام الدهر » .

انفرد بإخراجه مسلم <sup>(١)</sup> .

وقد ذكر العلماء أن السر في هذا أن أيام السنة ثلاثمائة وستون يوما وهذه الستة مع

(١) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ٢٠٤ (ط الحلي)

رمضان ستة وثلاثون والحسنة بشراً أمداً فمن دام على هذا فكأنه كمن صام الدهر .  
وقد روى نحو هذا مرفوعاً .

أخبرنا علي بن عبيد الله بسنده عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« صيام رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام شهرين فذلك صيام سنة »<sup>(١)</sup>.

أخبرنا حماد بن سلمة بسنده عن الأزرق بن قيس عن رجل من بني تميم قال : كنت  
عند باب معاوية ووضعت الموائد فجعل أبو ذر . كل وجعلت أنظر إليه فقال : ماشانك  
يا أحر ؟ أتريد أن تشغلني عن طعامي ؟ قلت : ألم تزعم على الباب أنك صائم . فقال أبو ذر :  
بلى . ثم قال : قرأت من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : « صومُ شهر الصبر وثلاثة من كل شهر صوم الدهر »<sup>(٢)</sup> وقد صمت ثلاثة أيام من  
الشهر فأنا صائم الشهر كله .

وبالإسناد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت بن أبي عثمان التَّهْدِي أن أبا هريرة رضى  
الله عنه كان في سفر فلما نزل ووضعت السُّفرة بعثوا إليه وهو يصلي فقال : إني صائم فلما  
كادوا أن يفرغوا جاء فجعل يأكل فنظر القوم إلى رسولهم فقال : ما تنظرون ، قد والله  
أخبرني أنه صائم . فقال أبو هريرة صدق إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
« صومُ شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر »<sup>(٣)</sup> . وقد صمت ثلاثة أيام من أول  
الشهر وأنا مُفطر في تخفيف الله وصائم في تضعيف الله عز وجل »

### السلام على السمكة

عَيْدِي مُقِيمٌ وَعِيدِ النَّاسِ مُنْصَرِفٌ وَالْقَلْبُ مَنَى عَنِ الذَّلَاتِ مُنْحَرِفٌ  
وَلِي قَرِينَانِ مَالِي مِنْهَا خَلْفٌ طَوْلُ اخْنَيْنٍ وَعَيْنُ دَمْعٍهَا بَكِيفٌ<sup>(١)</sup>

(١) أخرجه الدارمي كتاب الصوم باب ٤ :

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٠ / ٢٦٣

(٣) يكتف : يميل .

بأمن يفرح في العيد بتحصين لباسه ، ويوقن بالموت وما استعد لبأسه ، ويفتر بإخوانه وأقرانه وجلسه ، وكأنه قد آمن سرعة اختلاسه ، كيف تقرّ بالعيد عين مطرود عن الصلاح ، كيف يضحك سنّ مردود عن النّالاح ، كيف يُسرّ من يُسرّ على الأقبال القَباح ، كيف لا ييكي من قد فاته جزيْل الأرباح ، النّوْح أحقّ بك من السرور بامرور ، والحزن أجدر بك من جميع الأمور ، والجِدُّ أولى بك من التّواني والفتور ، كيف يُسرّ بعیده من تاب ثم عاد ، كيف يفرح بالسلامة من آثامه في ازدياد .

أخبرنا محمد بن أبي منصور بسنده عن أبي ثابت الخطّاب قال : سمعت إبراهيم بن موسى يقول : رأيت فتى الموصلي يوم عيد وقد رأى على الناس الطيّاليس والعمائم فقال لي : يا إبراهيم أما ترى ثوباً بيّلاً وجسداً يأكله اللّود غداً ؟ هؤلاء قوم قد أنفقوا خزائهم على بطونهم وظهورهم ويقدمون على ربّهم مَقَاليس . أخبرنا عمر بن ظفر بسنده عن أبي بكر الشّرق<sup>(١)</sup> قال : سمعت أحمد بن عيسى يقول نظر بعض العلماء يوم الفطر إلى الناس وشغلهم بما هم فيه من الأكل والشراب واللباس قال : لئن كانوا هؤلاء قد أنبأهم الله عز وجل أنه قد تقبل منهم صيامهم وقيامهم لتدكان يبنين لهم أن يكونوا أصبحوا مشاغلي بأداء الشكر ، ولئن كان يخافون أنه لم يقبل منهم فقد كاف يبنين لهم أن يكونوا أشغل وأشغل .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بسنده عن عبد الله الصوفي سمعت مظفر بن سهل قال : قل أبو بكر اللوزي : دخلت على أبي بكر بن مُسلم صاحب قنطرة بردان يوم غيد فوجدته وعليه قميص مرقوع مطبق وقدامه قليل خزنوب يقرّضه قلّت : يا أبا بكر اليوم يوم عيد الفطر تأكل الخرنوب ؟ قال لي : لا تنتظر إلى هذا ولكن انظر إن سألني من أين لك هذا ؟ أي شيء أقول !

أخبرنا أبو بكر الصوفي بسنده عن أبي الربيع التّهدّي قال : أخبرني لإدريس بن يحيى قال : دخلت على أبي عباد الخواص يوم عيد فاستأذنت عليه فنفرج إليّ وهو يبيكي



وَيُنُوحُ عَلَى نَفْسِهِ قَالَ : قَدْ خَلْتُ مَعَهُ قِتَالًا : إِنِّي ذَكَرْتُ الْيَوْمَ تَنَعُّمَ النَّاسِ وَمَاهِمَ فِيهِمْ مِنْ  
الْذِّلَاتِ فَأُحْيِيَتْ أَنْ أَتَنَعَّمَ بِمَا تَرَى .

وَكَانَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ إِذَا انْصَرَفَ يَوْمَ الْعِيدِ جَمَعَ عِيَالَهُ وَجَلَسَ يَبْكِي فَيَقُولُ لَهُ  
إِخْوَانُهُ : هَذَا يَوْمُ سُرُورٍ . فَيَقُولُ صَدَقْتُمْ وَلَكِنِّي عَبْدٌ أَمْرُنِي سَيِّدِي أَنْ أَعْمَلَ لَهُ عَمَلًا  
فَمَمْلُتُهُ . فَلَا أَدْرِي أَقْبَلَهُ مِنِّي أَمْ لَا ؟ فَأَلَا أُولَى بِي طَوْلُ الْحِزْنِ !

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي عَنْ هُنَّادِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ يَقُولُ :  
كَانَ الشُّبَّانِيُّ يَوْمَ الْعِيدِ يَنْوَحُ وَيَصِيحُ وَيَصْرُخُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ سُودٍ وَزُرْقٍ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ  
فَأَلَوْهُ مِنْ نَوْحِهِ وَبَكَائِهِ فَقَالَ :

تَرَيْنَ النَّاسَ يَوْمَ الْعِيدِ لِلْعِيدِ وَقَدْ لَبِثْتُ ثِيَابَ الزُّرْقِ وَالسُّودِ  
وَأَصْبَحَ النَّاسُ مَسْرُورًا بِعِيدِهِمْ وَرُحْتُ فَيْكَ إِلَى نَوْحٍ وَتَمْدِيدِ  
فَالنَّاسُ فِي فَرْحٍ وَالْقَلْبُ فِي تَرَحٍّ شَتَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فِي الْعِيدِ  
وَخَرَجَ الشُّبَّانِيُّ يَوْمَ الْعِيدِ وَهُوَ يَقُولُ :

لِلنَّاسِ فِطْرٌ وَعِيدُ  
يَا غَابِقِي وَمُنَايَ  
إِلَى فَرِيدٍ وَحِيدٍ  
أَتَمَّ لِي مَا أُرِيدُ

وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَأَلَوْهُ الدُّعَاءَ فَدَنَّا الْقَوْمَ أَيْدِيَهُمْ لِفَعْلِ يَدْعُو فَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ :  
اضْرِبْهُمْ بِسِيَاطِ الْخُوفِ ، أَقْبِلْ بِهِمْ بِأَزْمَةِ الشُّوقِ ، أَعْظِمْ بِمُلَاحِظَاتِ الْفُجُورِ ، كُنْ لَمْ يَكُنْ  
كَفْتُ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَأْسٌ صَرْتُ كَلَّ لَهُ <sup>(١)</sup> .

وَقِيلَ لَهُ يَوْمَ عِيدٍ : يَا أَبَا بَكْرٍ الْيَوْمَ يَوْمَ عِيدٍ . فَقَالَ :

النَّاسُ بِالْعِيدِ قَدْ سُرُّوا وَقَدْ فَرَحُوا وَمَا فَرَحْتُ بِهِ وَالوَاحِدُ الْأَحَدِ  
لَمَّا تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَا أَعَايِنُكُمْ غَمَضْتُ عَيْنِي فَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ  
وَرَأَيْتُ يَوْمَ عِيدٍ خَارِجًا وَهُوَ يَقُولُ :

إِذَا مَا كُنْتُ لِي عِيدًا فَاصْنَعْ بِالْعِيدِ

(١) كَذَا بِالْأَمَلِ .

جَرَى حَبْسُكَ فِي قَلْبِي كَجَرَى الْمَاءِ فِي الْعُودِ

\*\*\*

والله ما عيد يعقوب إلا لقاء يوسف، ولا أيام تشريق الصديق إلا الفار . يامن عزم على المعاصي في شوال الشهر احترمت أم لرب الشهر ، ويمك ! رب الشهرين واحد . تقول أصح رمضان وأفد غديره وعزمك في رمضان على الزلل في شوال أفدت رمضان ، إذا طالت نفسك في شوال شرب الخمر فذكرها سيلان العين على الخد في اللحد وعمل البلي في الفاصل لعل الكف يكف .

هيات ليس الحب من غير البعد والهجر ، ولا الخليص من حرمة الثواب والأجر ، نكتة من تساوى عنده الوصل والصد ، وإلفه على كل حال الجدة والسدة .

يَا رَاكِبَا تَطْوِي لَهَا مِجْمَعِيهِ  
فَتَرِيهِ رَضْرَاضَ الْحَمَى مُتْرَضِرًا<sup>(١)</sup>  
بَلَّغْ رَعَاكَ اللَّهُ شُكَّانَ الْغَفَى  
مَنْ التَّعْيَةِ إِنْ عَرَضَتْ مُعْرَضًا  
وَقُلْ انْقَضَى زَمَنُ الْوَصَالِ وَوُدُّنَا  
بَاقٍ عَلَى مَرَّةٍ اللَّيَالِي مَا انْقَضَى

السلام على قوله تعالى

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>(٢)</sup> »

أخبرنا عبد الأول بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبْتُهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرُهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي

(١) الرضراض : الحمى أو صفارها . والمترض : المتكسر

(٢) سورة يونس ٦٢

عن نفس المؤمن بكره الموت وأنا أكره مساءته <sup>(١)</sup> .

وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل قال : « من أمان لي ولياً قد بارزني بالحاربة وإني لأمرع شيء إلى نصرته أوليائي وإني لأغضب لهم أشد من غضب الليث الحرب <sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره <sup>(٣)</sup> » .

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال قال موسى عليه السلام : يارب من أهلكت الذين هم أهلكت الذين تظلمهم في ظل عرشك ؟ قال : هم البرية أيديهم الطاهرة قلوبهم الذين يتعابون بجلالي ، الذين إذا ذكرت ذكروا في وإذا ذكرت بكروهم ، الذين يسفون الوضوء في السكاره وينبيون إلى ذكرى كاتيب النور إلى وكورها ويسكتلون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس ويفضون لحارمي إذا استحل كما يفضب النمر إذا حارب .

أخبرنا ابن ناصر بسنده عن وهب بن منبه قال قال الحواريون : يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال عيسى عليه السلام : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها فأما توأما منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا ما علوا أن سترتهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً وذكرهم بإها فواتاً ، وفرحهم بما أصابوه منها حزنًا ، فما عارضهم من نائلها رفضوه أو من رفضها بغير الحق وضعوه ، خلقت الدنيا عندهم فليسوا يحدونها ، وخرت بينهم فليسوا يمترونها ، وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها ، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويمسونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، رفضوها فكانوا يرفضها فرحين ، وباعوها فكانوا يبيعها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط مجمع الزوائد ٢٧٠/١٠

(٣) أنظر مجمع الزوائد ٢٦٤/١٠

راجحين ، نظروا إلى أهلها صرعى قد حَلَّتْ بهم المثلثات ، فأحيوا ذِكرَ الموت وأماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله ويحبون ذِكره ويستضيئون بنوره ، لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب ، بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وبهم علم الكتاب وبه علموا ، ليسوا يرون نائلا ولا أمانا دون ما يَرْجُونَ ولا خوفا دون ما يَتَحَذَرُونَ .

وقد روى ذكر عدد الأولياء في أحاديث لاتصح .

أخبرنا أبو الحسن الأنصاري بسنده عن عطاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة <sup>(١)</sup> » .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بسنده عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كُثْب رضى الله عنه قال : « لم يزل في الأرض بعد نوح عليه السلام أربعة عشر يدفع بهم المذاب » .

أخبرنا ابن ناصر بسنده عن سفيان بن عُيَيْنَةَ قال : قال أبو الزناد : لما ذهب النبوة وكانوا أوتاد الأرض أخلف الله مكانهم أربعين رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقال لهم الأبدال ، لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه وهم أوتاد الأرض ، لم يفضلوا الناس بكثرة الصيام ولا بكثرة القيام ولا بحسن التخشع ولا بحسن الحلية بل بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب والنصيحة لجميع المسلمين ، وعلامة ذلك أنهم لا يملنون شيئا ولا يؤذنون أحدا ، ولا يتناولون على أحد تحتهم ولا يحقرونه ، ولا يحسدون أحدا فوقهم ، ليسوا بمتخشعين ولا متواتين ولا ممججين ولا محبوبين الدنيا ، ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة .



رمضانُ القوم دائم وشوالم كذلك صائم ، وأعيادهم سرورُ القوم بالحبوب ، وأفراحهم بكالِ التقي وترك الذنوب ، إذا جنَّ عليهم الليل عادت القلوب بالمناجاة جُودا ،

وإذا جاء النهار سلكوا من الجِدِّ جَدًّا<sup>(١)</sup> ، يجمعون هِمَمَهُمْ فِياً أَمَمَهُمْ إذا باتَ قَمَرُ  
الغافل بَدَا ، جزموا على ما عزموا وما انهزموا ، أبدا أعيادُهم يُقَرَّبُ القلوب إلى المحبوب  
دائمة ، وأقدامهم في الدُّجَى على باب اللَّجَأِ<sup>(٢)</sup> قائمة ، وأرواحهم بالاشتياق إلى الملك  
الخلّاق هائمة ، قرَّبَ بهم مولاهم وأدْنَى فالنفوس عن الفاني الأَدْنَى صائمة ، تزيَّفت لهم  
لذاتُ الدنيا معا فافا وجدت في قلوبهم لها موصفا ، لا وجدوا كسرةً وَخَلَقًا<sup>(٣)</sup> أَقْنَمًا .

\*\*\*

قالوا غدا العيدُ ماذا أنت لأبيه قلت خِلْفَةً<sup>(٤)</sup> ساقِ حُبِّه جُرْعَا  
قَرَرْتُ وصَبَرْتُ ما ثوبان تحتها قلبٌ يرى إلهه الأعيادَ والجَمْعَا  
أُحَرِّى اللابس أن يُلقَى الحبيب بها يومَ التزاور في الثوب الذي خَلَا  
الدهر لي مَأْتَمٌ إن غِيَتْ يا أملي والعيد ما كنت لي مَدَاً ومُسْتَمِعَا  
إخوافي : ليس العيد ثوباً يجر الخلاء جره ، ولا تناول مطعم بكفَّ شره لا يؤمن  
شره ، إنما العيد ليس نوبة عاصي تأب يسرَّ بقدم قلبه غائب .

أخبرنا أبو بكر الصوفي بسنده عن الحيرى ، عن ابن باكوية الشيرازى قال :  
أنشدنى أبو الحسن الحنظلى قال سمعت الشبلى ينشد يوم العيد :

ليس عيدُ الحب قَصْدُ المصلى وانتظار الخطيب والسلطان  
إنما العيد أن تكون لدى أحب كريمٍ مقرباً فى أمانٍ

بامن وقى رمضان على أحسن حال ، لا تتغير بعده فى شوال ، بامن رأى العيد ووصل  
إليه ، متى تشكر النعم وتقى عليه ، كم من صحيح هيأ طيب عيده ، صار ذلك الطيب فى تلعيده ،  
سلبهم والله أيدى اللعن ، فأنزَلهم قَرَرُ ليس بمسكون ، فهم فى القبور بعد البيان خرسون ،  
ومن نبيل آمالم أو بعضها آيسون ، وهكذا أنتم عن قريب تكونون ، وقد دلهم على صدق

(١) الجِدِّ : الأرض الطليقة المحتوية . وأجد : سلكها .

(٢) اللجأ : للنقل والملاذ ، كالملاجئ .

(٣) الخلق : الثوب الياقوتى .

(٤) الخلفة : القطعة .

قولى ماتعلون ، أما ترون الأتراب كيف يتقلبون ، أترى ضلّت الأفهام أم عمت العيون ، أفسحرت هذا أم أنتم لا تبصرون .

إلى متى ترضون من العمل بالفاسد ومن السلع بالكاسد ، وتنسون الحُفّ الرابض  
المتأسد ، لقد أُنتمُّم بكم كلّ حاسد ، يامظرون ضد ما به الكتاب وارد ، إلى متى  
تُبهرجون والبصيرُ ناقد ، كيف يكون حالكم وهو عليكم شاهد :

عجبتُ من مستقيظٍ والقلبُ منه راقِدُ  
مضجعٌ لدينه وللذنوب زائدُ  
كأنه على مَدَا • مُهْمَلٌ وخالدُ  
فأحسنوا أعمالكم ففى لكم قلائدُ  
ولا تُصيغوا واجبا واجهدوا واجاهدوا

\*\*\*

لله در أقوام تلمّحوا المواقب فعملوا عمل مراقب ، وجاوزوا الفرائض إلى طلب  
النائب ، علّت همهم عن الدنيا وارفعت ، وكفّت الألف عن الأذايا وامتنعت ، ووسّعت  
خطاها إلى الفضائل وسّعت ، من يحبّ العزّ يذأب إليه ، وكذا من طلب الدرّ غاصّ  
عليه ، كانوا إذا ابتلاهم مولاهم يصبرون ، وإذا أعطاهم مُناهم يشكرون ، وإذا استراح  
البطلان يداؤبون ، فلو رأيتم يوم يقول « هذا يومكم الذى كنتم توعدون » « لا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون »

زال الخوف عنهم واندفع ، فأقادم حزنهم فى الدنيا ونفع ، وتمّ السرور لهم واجتمع ،  
وزال الحجاب بينهم وبينه وارتفع ، فهم إلى وجه الكريم ينظرون « لا خوف عليهم  
ولا هم يحزنون » .

\*\*\*

قوله تعالى : « الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

قطعوا بوحدايته واجتمعوا على طاعته ، وامتنعوا من مخالفته وارتبضوا في رياض معرفته ، واضطجعوا بأرادية خدمته ، واطلموا بالعلوم على هيئته ، فبإبشراهم يوم يحضرون « الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

امتنلوا ما أمرهم به مولاهم ، واجتنبوا ما عنه نهاهم ، فإذا أخرجهم من الدنيا وتوفاهم استقبلوا الروح والريحان وتلقاهم ، فإذا حضروا لديه أكرم مشواهم ، وكشف الحجاب فاشهدهم وأراهم ، وهذا غاية ما كانوا يأملون « الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

كانوا يتقون الشُّركَ والمعاصي ، ويحتمعون على الأمر بالخير والنواصي ، ويحذرون يوم الأخذ بالأقدام والنواصي ، فاجتهد في لحاقهم أيها العاصي ، قبل أن تَبْغُتَكَ النُّونُ « الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

\*\*\*

### قوله تعالى

« لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة »

روى جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرى له <sup>(١)</sup> » .

كانت قلوبهم في خدمته حاضرة ، ونفوسهم على طاعته مثابرة ، وألسنتهم على الدوام ذاكرة ، وهمهم إلى ما يرضيه مُبادرة « لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

منازلهم عنده عظيمة ، وأنفسهم عليه كريمة ، كانت قلوبهم من الشكِّ سليمة ، ساروا إلى الجهاد على خيل الزئمة ، فإذا وقَّعَهم للمعدِّ كاسرة « لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

زَمُّوا مطَّاعًا الصِّلَقَ وساروا ، وجالوا حولَ دار الكَريمِ وداروا ، ونهضوا

(١) أخرجه الترمذى عن عبادة بن الصامت - تيسير الوصول ١٤٣/١

إلى مراضيه وناروا. وطلبوا عندئذ فأوقفوا به وأغاروا ، فباحنهم إذا توجهوا إلى الصلاة واستداروا ، والدموع في تحاربهم ماطرة « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .  
أقبل القوم فقبلوا . وعرفوا لماذا خلقوا فعملوا ، إذا رجع الناس إلى لذائذهم عادوا إلى عباداتهم ، وإذا سكن الخلق إلى أوطانهم سكنوا إلى حُرقات أشجانهم ، وإذا أقبل التجار على أموالهم أقبلوا على تفقد أحوالهم ، وإذا التذ النافلون بالمنام على جنوبهم تلذذوا في القيام بكلام محبوبهم ، فلو ذقت من كثوس للنجاة الدائرة في خيمة الدُجى الدائرة « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

نصّبوا الآخرة بين أيديهم وجدّوا ، ومثّلوا النادى بناديبهم فاستعدوا ، وتضرّعوا في طلب الإعانة فأيدّوا ، وأقبلوا إلى الباب صادقين فارُدّوا ، فغازوا بالأرباح الجمّة الوافرة « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

أقلمهم ذكر الذنوب فأناموا ، وشوقهم رجاء المطلوب فقاموا ، وذكروا العَرَض يوم تبدل الأرض فاستقاموا ، وتفكروا في تصرّم العمر فاجتهدوا وداموا ، وتذكروا سالف الذنب فوجّحوا النفوس ولاموا ، وبانت أعينهم ساهرة لذكر أرض الساهرة « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

أذبلوا الشّفاء يطلبون الشّفاء بالصيام ، وأنصّبوا لما انتصبوا الأجساد يخافون المعاد بالقيام ، وحفظوا الألسنة عما لا يعنى عن فضول الكلام ، وأناخوا على باب الرجاء في الدُجى إذا سحى الظلام ، فأنشَبوا مخالب طمعهم في العَفْو فإذا الأظافير ظافرة « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

يا هذا سبقك القوم وتحلّفت ، ومضى أكثر العمر وتسوّفت ، ثم تمصى المنعم بالنعم فما أنصفت ، وتؤثر الضلال على الهدى وقد عرفت ، أما تخاف أن تقول إذا حضرت ووقفت « تلك إذا كرمّة خامرة » .

بامن بين يديه الحساب والمراط ، وهو عظيم الجرأة كثير الانبساط ، متكاسل في



الطاعات وفي المعامد ذو نشاط ، يُدْعَى إلى العلوّ ويَأْتِي إلا الانهباط ، أمؤمنة هذه النفس  
بالوعيد أم كافرة .

يا مبارزاً مولاه لم يخف من بطشه ، يامقبلاً على الهوى لا تغتر بنفسه ، تفكر في من  
سكن الثرى بعد لين فرشه ، وانقبه بالتعرض قبل ظهور التصريح بنحشه . أما أبقاك  
وأراك سيواك محمولاً على نعشه إلى أن ألقى في الحافرة .

يا خاسراً فاته جزيل الأرباح ، يا من أبعدته عنا خطاياهِ القباح ، يا من لو انقبه لنفسه  
لبكى عليها وناح ، أنا من عليها أن تؤخذ على بعض الاجتراح ، فيفعل بها فاقرة .  
أيقظنا الله وإياكم من هذه الرقدة وحفظ إيماننا ولا أذاقنا فَمَدَه .

## المجلس العاشر

### في عشر ذي الحجة

الحمد لله العالم بمدد الرمل والمنل والقطر ، ومصرف الوقت والزمن والدهر ، الخبير بخافي السر وسامع الجهر ، التقدير على ما يشاء بالزمن والتهر ، أقرب إلى العبد من العنق إلى النحر « هو الذي يسيركم في البر والبحر » .

القديم فلا إله سواه ، الكريم في منحه وعطاياه ، الفاهر لمن خالقه وعصاه ، خالق آدم بيده وسواء واستخرج ذريته كالذر . أنعم فلا فضل لغيره ، وقضى بنفع العبد وضيره وأمضى القدر بشره وخيره ، غث على الشكر والصبر . أحاط علما بالأشياء وحواها ، كيف لا وهو الذي بناها ، وقهر المضادات فساها بلامعين يمدده بالنصر . لا كيف له ولا شبه ولا يجوز عليه التشبيه ، عالم السر وما يمرض فيه ، منزه عن تصور الفكر . أقسم في القرآن بصنمته ، والقسم على الحقيقة بقدرته ، فتأمل ما تحت القسم من فائدته « والفجر وليال عشر والشفع والوتر » .

أحمد خدا ليس له نهاية ، وأقر له بالتوحيد فكم دلت عليه آية ، وأصل على رسوله محمد الذي ما زدت له راية ، صلاة تصل إليه في القبر . وعلى ضجيعه أبي بكر الصديق وعمر الشديد في الحق الوثيق وعثمان الحب الشفيق وعلى الرفيع القدر ، وعلى عمه أبي الفضل العباس ، الشريف الأصل كريم الأغراس ، الذي نسبه في الأنساب لا يقاس .

\*\*\*

قال الله تعالى : « والفجر وليال عشر » الفجر : ضوء النهار إذا انشق عنه الليل . وفي المراد بهذا الفجر ستة أقوال :

أحدها : أنه الفجر المعروف الذي هو بدء النهار . قاله علي بن أبي طالب وعكرمة وزيد ابن أسلم والقرطبي . والثاني : صلاة الفجر . والثالث النهار كله ، فبحر بالفجر عنه لأنه أوله .

والأقوال الثلاثة عن ابن عباس . والرايع أنه فجر يوم النحر خاصة . قاله مجاهد .  
والخامس : فجر أول يوم من ذى الحجة . قاله الضحاك . والسادس : أول يوم من المحرم  
تَنْفِجُ مِنْهُ السَّنَةَ . قاله قتادة .

قوله عز وجل : « وَلِكُلِّ عَشْرٍ » فيها أربعة أقوال : أحدها أنه عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ .  
رواه عطية عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ومسروق وقتادة والضحاك والسُّدِّي ومقاتل  
والثاني : أنها العشر الأواخر من رمضان قاله أبو ظَبْيَان عن ابن عباس . والثالث :  
العشر الأول من رمضان . قاله الضحاك . والرايع : العشر الأول من المحرم . قاله يمان  
ابن رثاب .

قوله تعالى : « وَالشَّعْ وَالْوَتْرُ » قرأ حمزة والكسائي : « وَالْوَتْرُ بِكَسْرِ الْوَاوِ  
وَفَتْحِهَا الْأَكْثَرُونَ ، وَهَاتَانِ الْكَسْرُ لِقَرِيشٍ وَتَمِيمٍ وَأَسَدٍ ، وَالْفَتْحُ لِأَهْلِ الْحِجَازِ .  
وَالْفَسْرَيْنِ فِي الشَّعِّ وَالْوَتْرِ عَشْرُونَ قَوْلًا : أَحَدُهُمَا : أَنَّ الشَّعَّ يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ  
الْأَضْحَى ، وَالْوَتْرُ لَيْلَةُ النَّحْرِ . رواه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله  
عليه وسلم .

والثاني : أَنَّ الشَّعَّ يَوْمُ النَّحْرِ وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ . رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم .  
والثالث : أَنَّ الشَّعَّ وَالْوَتْرُ الصَّلَاةُ ، مِنْهَا شَعٌّ وَمِنْهَا وَتْرٌ . رواه عمران بن حصين  
عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والرايع : أَنَّ الشَّعَّ الْخُلُقُ كُلُّهُ ، وَالْوَتْرُ اللَّهُ عز وجل . رواه عطية عن ابن عباس .  
والخامس : أَنَّ الْوَتْرَ آدَمُ شُعَّ بِزَوْجَتِهِ عَلَيْهَا السَّلَامُ . رواه مجاهد عن ابن عباس .  
والسادس : أَنَّ الشَّعَّ يَوْمَانِ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ وَهُوَ النَّفَرُ الْأَوَّلُ وَالْوَتْرُ الْيَوْمُ الثَّالِثُ  
وَهُوَ النَّفَرُ الْآخِرُ . قاله عبد الله بن الزبير .

والسابع : أَنَّ الشَّعَّ صَلَاةُ الْفَدَاةِ وَالْوَتْرُ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ . حكاه عطية المَوْفِيُّ .  
والثامن : أَنَّ الشَّعَّ الرَّكَعَتَانِ مِنَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَالْوَتْرُ الرَّكَعَةُ الثَّالِثَةُ . قاله أبو العالية

والربيع بن أنس . والتاسع : أن الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر . قاله ابن زيد .

والعاشر : أن العدد منه شفع ومنه وتر . قاله الحسن . والحادي عشر أن الشفع عشر ذى الحجة والوتر أيام من الثلاثة قاله الضحاك .

والثاني عشر : أن الشفع هو الله لقوله تعالى « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم <sup>(١)</sup> » والوتر هو الله لقوله تعالى : « قل هو الله أحد » قاله سُفيان بن عُيينة .

والثالث عشر : أن الشفع آدم وحواء ، والوتر هو الله تعالى . قاله مقاتل بن سليمان . والرابع عشر : أن الشفع هو الأيام والليالي والوتر اليوم الذى لا ليلة معه وهو يوم القيامة . قاله مقاتل بن حيان .

والخامس عشر : أن الشفع درجات الجنات لأنها ثمان ، والوتر دركات النار لأنها سبع ، فكان الله عز وجل أقسم بالجنة والنار . قاله الحسين بن أبى الفضل .

والسادس عشر : أن الشفع تضاد أوصاف المخلوقين : عزّ وذل ، وقُدرة ومجْز ، وقوة وضعف ، وعلم وجهل ، وحياة وموت . والوتر انفراد صفة الله سبحانه : عزّ بلا ذل ، وقُدرة بلا مجْز ، وقوة بلا ضعف ، وعلم بلا جهل ، وحياة بلا موت . قاله أبو بكر الورّاق . والسابع عشر : أن الشفع الصفا واللروة ، والوتر البيت .

والثامن عشر : أن الشفع مسجد مكة والمدينة ، والوتر بيت المقدس .

والتاسع عشر : أن الشفع القرآن فى الحج والتمتع ، والوتر الأفراد .

والعشرون : الشفع العبادات المتكررة كالصلاة والصيام والزكاة ، والوتر العبادات التى لا تتكرر وهى الحج . حكى هذه الأربعة أبو إسحاق التلمبى .



قوله تعالى : « والليل إذا يسر » قرأ ابن كثير ويعقوب : « يَسْرى » يباء فى

الوصل والوقف وواقفهما في الوصل نافع وأبو عمرو وقرأ ابن عامر وعاصم وحزة  
والكسائي : « يَسْرِي » بنيرياء في الوصل والوقف .

قال اللغويون منهم الفراء والزجاج : والاختيار حذف حرف الياء لثلاثة أوجه :  
أحدها : لمشاركتها من الآيات . والثاني لاتباع للمصحف . والثالث أن العرب قد تحذف  
الياء وتكتفي منها بكسر ما قبلها ، وأنشدوا :

كَفَّكَ كَفًّا مَا يُبْلِقُ <sup>(١)</sup> دَرَهْمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطَى بِالسِّيفِ الدَّمَاءَ  
وفي قوله تعالى : « يَسْرِي » قولان : أن الفعل لليل ، ثم في ذلك قولان : أحدهما  
إذا يَسْرَى ذاهبًا . رواه عطية عن ابن عباس ، وهو قول الجمهور . والثاني : إذا يَسْرَى  
مُقبلاً . فله فتادة .

والقول الثاني : الفعل لنيره ، والمعنى : إذا يَسْرَى فيه ، كما يقال ليلٌ نائمٌ أي يُنَامُ فيه .  
قوله الآخرش .



قوله تعالى : « هل في ذلك » أي فيما ذكر « قَسَمَ لَنِي حِجْرٌ » أي عقل . وسمى  
الحِجْرَ حِجْرًا لأنه يحجر صاحبه عن القبيح ، وسمى عقلاً لأنه يَعْقِلُ عما لا يَحْسُنُ ، وسمى  
النهي لأنه يَنْهَى عما لا يَحْتَمِلُ . ومعنى الكلام : أن من كان ذا لُبٍّ عِلِمَ أن ما أقسم الله به  
من هذه الأشياء فيه دلائل على توحيده وقدرته فهو حقيق أن يَقْسَمَ به .

وجواب القسم : « إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ » فاعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى  
« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادٍ »  
والمشهور أن المراد بالمراد عشر ذي الحجة .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله عز وجل  
من هذه الأيام » يعني أيام العشر . قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله عز

(١) مايليق : مايمسك ، وهي كناية عن السكر .

وجل ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء »

انفرد بإخراجه البخاري<sup>(١)</sup>

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن التهليل والتكبير والتحميد<sup>(٢)</sup> »

أخبرنا عبد الله بن علي القرقي بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أفضل أيام الدنيا العشر . قالوا يا رسول الله ولا مثلن في سبيل الله ؟ قال : ولا مثلن في سبيل الله إلا من عفر وجهه في التراب » .

وقد روى في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن كل يوم من أيام العشر يعدل صيام سنة ، وليلة يجمع تعدل ليلة القدر .  
قال أبو عثمان النهدي : كانوا يعظمون ثلاث عشرات : العشر الأول من ذي الحجة ، والعشر الأخير من رمضان ، والعشر الأول من المحرم .

\*\*\*

اعلموا رحمكم الله أن عشركم هذا ليس كعشر ، وهو يحتوى على فضائل عشر :  
الأولى : أن الله عز وجل أقسم به فقال : « وليلة عشر<sup>(٣)</sup> »  
والثانية : أنه سماه الأيام للمعلومات فقال تعالى : « ويذكروا اسم الله في أيام معلومات<sup>(٤)</sup> » قال ابن عباس : هي أيام العشر .  
والثالثة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له بأنه أفضل أيام الدنيا .  
والرابعة : حث على أفعال الخير فيه .

(١) صحيح البخاري كتاب الميدين باب رقم ١١ وأخرجه أحمد في مسنده ٢٢٤/١ ، ٢٧٥/٢ ، ١٣٢ . وابن ماجه في كتاب : الصيام باب : صيام العشر حديث رقم ١٧٢٧ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٧٥/٢ .

(٣) سورة البقره ٢ (٢) سورة نوح ٢٨

والخامسة : أنه أمر بكثرة التسييح والتحميد والتهليل فيه .  
والسادسة : أن فيه يوم التَّروية . وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال : « من صام العشر فله بكل يوم صوم شهر ، وله بصوم يوم التروية سنة <sup>(١)</sup> »  
قال الزاهدى : وإنما سمي يوم التروية لأن عرفات لم يكن بها ماء فكانوا يتروون من  
الماء إليها .

والسابعة : أن فيه يوم عرفة وصومه بستين .  
والثامنة : أن فيه ليلة جَمْع وهي ليلة للزدقة ، وقد سبق بيان فضلها .  
والتاسعة : أن فيه الحج الذى هو ركن من أركان الإسلام .  
والعاشرة : وقوع الأضحية التى هى علم للملة الإبراهيمية والشرعية المحمدية . ومن أراد  
أن يضحى كُره له إذا دخل عليه عشر ذى الحجة أن يأخذ بشرته وأن يلقم أظفاره أو  
يخلق شعره ، وليتنبه بالخرمين . ومن أصحابنا من قال يحرم ذلك كله .  
أخبرنا على بن عبيد الله بسنده عن سميد بن المسيب قال : سمعت أم سلمة رضى الله  
عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من  
كان له ذبح يذبحه فإذا أهل هلال ذى الحجة فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً  
حتى يضحى <sup>(٢)</sup> » .



مالتفى من مَعادى غفلت أتراها نسيَتْ ماعلت  
أيها الضرور فى لهو الهوى كلُّ قمرٍ سترى ماعلت  
أفٍّ للدنيا فكم تخدعنا كم عزيزٍ فى هواها خذلَتْ  
رُبَّ ربحٍ بأناسٍ عصفت ثم ماأن ليثت أن سكنت  
وكذاك الدهر فى نصريه قدمٌ زلَتْ وأخرى ثبَّتْ

(١) أنظر الأحاديث فى ذلك فى مجمع الزوائد ١٨٩/٢ .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الأضاحى حديث رقم ٤٢ ، والترمذى فى كتاب الأضاحى باب ٢٢ وابن ماجه  
كتاب الأضاحى باب ١١ .

ويذُ الأيام من عاداتها أنها مُفسدة ما أصلحت  
 أين من أصبح في غفلته في سرور ومُرات خلت  
 أصبحت آماله قد خسرت وديارُ لَهْوِه قد خربت  
 فقدت أمواله قد فرقت وكان داره ما سكنت  
 جزُ على الدار بقلبٍ حاضر ثم قل يادار ماذا فعلت  
 أوجه كانت بدورًا طلعا وشعوسا طالما قد أشرقت  
 قالت الدار قاتلوا فضوا وكذا كلُّ مقبر إن ثبت  
 عابثوا أضالم في تربهم فاسأل الأجداد عما استودعت  
 كلُّ نفس سوف تلقى فعلها ونح نفس بهواها شملت  
 إنما الدنيا كغُللٍ زائل أو كأحلام منامٍ ذهبت

\*\*\*

أين من ملك وقهر ، واستعمل في حفر النهر ونهر ، ضمَّ الموت ذلك البشر ، وأخذ  
 التلغ ذلك الشرر ، ونهضت الآفات قويات المرر ، وعلوا أنه لا يضح الأشر البشر ،  
 واستبانوا أن يبعهم بيع الفرر .

كم راعت المنون ميرزا سربا ، كم أثارت قسطلا<sup>(١)</sup> وحربا ، تالله لقد جالت بُعْدا  
 وقربا ، فاستلبت البمدى وذوى القرى ، كم عمرت بخراب دورهم تربا ، فسَلَّ بها حال  
 سَلَّها كيف استلبتهم سَلَّبا .

أين ملوكها وأمرؤها ، ومُدَّاحها وشعراؤها وسُحراؤها وخُدماها ، وأحرارها  
 وعبيدها وأسرانها وغناؤها بالأموال وثراؤها ، باكرتهم والله بُكراؤها<sup>(٢)</sup> فاعجز  
 إبطاءهم إيرادها<sup>(٣)</sup> ، فضمتهم عن قليل صحراؤها :

أما الجديدان من ثوبى ومن جسدَى فيبليان ولا يبلى الجديدان

(١) القطل : الفبار . (٢) كذا وليلها جمع بكير . كأمير وأمراء .

(٣) كذا والإيراد : الدخول في آخر النهار .



يُرَدُّ الشباب ويُرَدُّ الناسج ابتذلاً وهل يدوم على البُرْدَيْن بُرْدَانِ  
الدهرُ لَوْنَانِ أَغْيَا ثَالِثُ لَهَا وَكَمْ أَتَاكَ بِأَشْبَاهِ وَأَلْوَانِ  
لَوْ كَانَ يَرِفُ دُنْيَاهُ مَصَاحِبُهَا أَرَادَهَا لَمَوَّ دُونَ إِخْوَانِ  
وَمَا أَبَالَى وَأُرْدَانِي مَبْرَأَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ إِذَا مَا لَحُفَّ أُرْدَانِي<sup>(١)</sup>

\*\*\*

يامن قد سارت بالمصامى أخباره ، يامن قد قَبَّحَ إعلاته وإساراه ، ياقفرا من  
الهدى أهلكه إعاره ، أتوتر الخسران قل لى أو تخناره ، يا كثير الذنوب وقد دنا  
إحضاره ، يا مأسورا فى حبس الزلل لا ينفعه إحضاره ، قَدْ كُفَّ بَهْرَجُ إِذَا حَكَ مَعْيَارُهُ ، كَمْ  
رُدَّ عَلَى مِثْلِكَ دَرَمُهُ وَدِينَارُهُ ، يا محترقا بنار الهوى متى تخبوناره ، ما يَكْنِى قَلْبُكَ لِفَاحِزٍ ،  
وما يُبْرِى لِمَا تَشْتَهَى متجاوز ، ما هذ القمل فضل فائز ، إن مطيع الزمان حال عاجز ، وإن  
بَيْنَ يَدَيْكَ لَمَافُوزٌ ، فيها أهوال وهزاهز<sup>(٢)</sup> تَقَوْمُكَ وَلَا تَسْتَوِى ، مَنْ يَبْغِي الْغَرَائِزَ ؟

أَبْتَهَا النَّفْسُ اسْمِي لِقَلْبِي أَنْتَ مِنَ الْحَيَاةِ فِي أَصِيلِ  
وَفِي غُرُورِ أَمَلٍ طَوِيلِ فَلَا يُفْرِتُكَ ضَعْفَى التَّامِيلِ  
قَدَدَنْتَ تَحْمُكَ لِلْأَفْوَلِ

\*\*\*

عباد الله : هذه الأَبَامُ مَطَايَا فَأَيْنَ الْمُدَّةُ قَبْلَ النَّبَا ، أَيْنَ الْأَنْفَةُ مِنْ دَارِ الْأَذْيَابِ ، أَيْنَ الْمَزَانِمُ  
أَرْضِيَّتِ بِالْذُنَابِ ، إِنْ بَلَّيَ الْهَوَى لَأَنْشَبَ الْبَلَا ، وَإِنْ خَطِيئَةُ الْإِسْرَارِ لَا كَالْخَطَا ، يَأْمَسْتَوْدِرِينَ  
سَتَظْهَرُ الْخُجَابِ ، سَرَّ يَقْلُوتُ لَأَنْشَبَ السَّرَا ، قَضِيَةُ الزَّمَانِ لَيْسَتْ كَالْقَضَا ، رَاعِي السَّلَامَةِ يَقْتُلِ  
الرَّعَا ، رَامِي الْمَوْتِ يُضَيِّقُ<sup>(٣)</sup> الرَّمَا ، مَلِكُ الْمَوْتِ لَا يَقْبَلُ الْهَدَايَا . أَيُّهَا الشَّابُّ سَقُتَ  
عَنْ شَبَابِكَ ، أَيُّهَا الْكَهْلُ تَاهَبْ لِمَتَابِكَ ، أَيُّهَا الشَّيْخُ تَدَبَّرْ أَمْرَكَ قَبْلَ سَدِّ بَابِكَ ، كُنْتَ  
فِي بَدَايَةِ الشَّابِّ أَصْلَحَ ، فَيَعْجَبُ كَيْفَ أَفْسَدَ مِنْ أَصْلَحَ ، يَامْرِضُ الْقَلْبَ قَفَّ بِيَابِ الطَّيِّبِ ،

(١) أُرْدَانِي : أَهْلَكَنى (٢) الهزاهز : الدَّوَامِى والتَّدَاوُد .

(٣) يَمْسَى : يَقْتُلُ ، يَقَالُ : رَمَاهُ فَأَصَابَهُ ، إِذَا أَصَابَ مَقْتَلَهُ .

بامبحوس الحظ اشكُ فَوَاتِ النصيب ، لذَّ بالجناب ذليلاً ، وقف على الباب طويلاً ، واتخذ  
في هذا المَشر سبيلاً ، واجعل جناب التوبة مَقِيلاً ، واجتهد في الخير تجد ثواباً جَزِيلاً ، قل في  
الأسعار : أنا تائب ، نادِ في الدجى : قد قَدِمَ الغائب :

أنا المسمى للذنب الخاطي الفرط البين إفراطي  
فإنا تصاقبُ أنا أهل له وأنت أهل المفور عن خاطي  
ألجأني إلى الذل أنا الجاني ، وأتقاني الزلل على باب الأسف بدمعي القاني ، ولقد أفرح  
شاقى<sup>(١)</sup> من خوف شاقى شاقى :

اغش عي وأقلى عَشْرِي يا عبادي للمعات الزمن  
لا تاقيني قد عاقبي قدَّمْتُ أتلَفَ رُوحِي والبدن  
لا تطير وسنًا عن مُقَلَّة أنت أهديت لما طيب الوسن  
إن تؤاخذني فن ذا أرنحني وإذا لم تَمُف عن ذنبي فَمَن

الكلام على قوله تعالى

« ألم تركب فكل ربك ببادٍ »

خَوَّفَ المخالفين ما قَلَّ بنظرائهم . وفي إرم أربعة أقوال : أحدها : أنه اسم أمة من  
الأمم ، ومعناه : القديمة . قاله مجاهد . والثاني : أنه اسم قبيلة من قوم عاد . قاله قتادة .  
والثالث : أنه اسم لجد عاد لأنه عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . قاله إسحاق .  
وقد قرأ ابن مسعود وابن عمر : « ببادٍ إرم » على الإضافة .

والرابع : أنه اسم بلدة .  
ثم فيها ثلاثة أقوال : أحدها أنها دمشق . قاله سعيد بن المسيب وعكرمة .  
والثاني : الإسكندرية . قاله محمد بن كعب . والثالث : أنها مدينة صنعها شداد بن عاد .  
قاله كعب .

فيخرج على قوله تعالى « ذات العماد » أربعة أقوال : أحدها : أنهم كانوا أهل مُعَد وخيام . والثاني : أن المراد بالعماد : الطُول . قاله الزجاج ، يقال : عمد إذا كان طويلا . والثالث : ذات الشدة . والرابع : ذات البناء الحكم .

قوله تعالى : « التي لم يُخلق مثلها في البلاد » فيه قولان : أحدهما : القبيلة في طولها وقوتها . والثاني : المدينة .

أخبرنا عبد الخالق بن أحمد بن يوسف بسنده عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له ثردت ، فبينما هو في صحارى عدن أبين<sup>(١)</sup> في تلك القلوات إذ هو قد وقع على حصن ، حول ذلك الحصن قصور كثيرة ، فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فإذا لا خارج ولا داخل . فنزل عن ناقته ففعلها ثم استل سيفه ودخل من باب الحصن فإذا هو ببايين عظيمين لم يرف الدنيا شيء أعظم منهما ولا أطول . وفي البابين نجوم من ياقوت أبيض وياقوت أحمر تضيء البابين ما بين الحصن والمدينة ، فلما رأى الرجل أحبه وتماظله الأمر فدخل فإذا هو بمدينة لم ير الرءون مثلها قط ، فإذا هو في قصور كل قصر معلق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت . ومن فوق كل قصر منها عُرف . ومن فوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وكل مصاريع تلك القصور وتلك الغرف مثل مصارع باب المدينة بالياقوت الأبيض والأحمر ، مفروشة تلك القصور وتلك الغرف باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران ، فلما عين الرجل ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك وأفزع ثم نظر في الأزقة فإذا هو بشجر في كل زقاق منها قد أثمر ، وتمت الأشجار أنهار مَطْرودة يجري ماؤها في قنوات من فضة ، قال الرجل إن هذه للجنة التي وصف الله عز وجل . ثم حل معه من لؤلئها وزبرجدها ثم عاد إلى بابه فأظهر ما كان معه وأعلم الناس أمره . فبلغ ذلك معاوية بن أبي سفيان فكتب إلى صنماء فجىء به فسأله عما رأى فأخبره فأنكر ذلك ، فأراه ما قد أخذ منها لؤلؤا قد اصفر وبنادق منك لم يجد لها ريحا فقتها فإذا ريح المسك ، فبعث إلى كعب

(١) عدن أبين : بخلاف بالين ، يقال إنه سمي بأبني بن زهير من سبأ . وانظر معجم البلدان ١١٠ (ط وأوربا) .

وقال : إني دعوتك إلى شيء وجوت أن يكون علمه عندك هل بئلك أن في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة مُعدّها زبرجد وياقوت وحصاؤها لؤلؤ ؟ قال : نعم هي إرم ذات العماد التي بناها شداد بن عاد . قال حدثنا حديثها . قال : إن عاداً الأول كان له ابنان شديد وشداد فهلك عاد وملك ابنه البلاد ولم يبق أحد إلا في طاعتها ثم مات شديد فملك شداد وحده فكانت له الدنيا جميعاً ، وكان مولماً بقراءة الكتب وكلها مرة بذكر الجنة دعتة نفسه إلى أن يبني مثلها عتواً على الله عز وجل ، فأمر على صنعها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان ثم قال : انطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعها فاعملوا في مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وفوق القصور غرف من فوق الغرف غرف واغرسوا تحت تلك القصور في أزقتها أصناف الثمار وأجروا تحتها الأنهار فإني أسمع في الكتب صفة الجنة وأنا أحب أن أجعل مثلها في الدنيا . قالوا : كيف تقدر على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : ألتهم تملكون أن ملك الدنيا كلها بيدى ؟ قالوا : بلى . قال فانطلقوا إلى معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وخدوا ما في أيدي الناس من ذلك . وكتب إلى كل ملك في الدنيا بأمره أن يجمع ما في بلاده من جوهرها ويخبر معادنها ، فجمعوا ذلك في عشر سنين ، وكان عدد الملوك مائتين وستين ملكاً وخرج القلة فتبددوا في الصحارى فوقموا على صحراء عظيمة نقية من الجبال والتلال فإذا هم ببينون مطردة فقالوا : صفة التي أمرنا بها . فأخذوا بقدر الذي أمرهم من الطول والعرض وأجروا قنوات الأنهار ووضعوا الأساس وأرسلت إليهم الملوك بالزبرجد والياقوت والذهب والفضة واللؤلؤ والجوهر وأقاموا في ذلك ثلاثمائة سنة ، وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما أتوه فأخبروه بفراغهم منها قال : انطلقوا فاجعلوا عليها حصناً واجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف عَلم يكون في كل قصر وزير من وزرائي . ففعلوا ثم أخبروه فأمر ألف وزير من خاصته ومن يثق به أن يهبأوا للنقلة إلى إرم ذات العماد وأمر من أراد من نسائه وخدمه بالهजार فأقاموا في جهازهم عشر سنين ثم سار بمن أراد فلما بلغ إلى مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وحلي

أصحابه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً ولم يدخل إرم ولا أحد ممن كان معه ولم يُقَدَّر على أحد منهم حتى الساعة<sup>(١)</sup>.

وروى الشَّعْبِيُّ عن دَغْفَلِ الشَّيْبَانِيِّ عن علماء حمير قالوا : لما هلك شَدَّادُ بن عاد ومن معه من الصيحة ملك بعده ابنه ابن شداد وقد كان أبوه خلقه بمحرمات على ملكه وسلطانه فأمر بحمل أبيه من تلك المغارة إلى حضرموت وأمر بحفر له خِزْيَةٍ في مغارة فاستودعه فيها على سرير من ذهب وألقى عليه سبعين حُلَّةً منسوجة بقضبان الذهب ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب عليه :

اعتبر بني أيها للأُمِّ رُوُرُ بالعمر المديدِ  
أنا شدَّاد عادٍ صاحب الحصن الصميدِ  
وأخو القوة والبأ ساء والمُلك للشديدِ  
دان أهل الأرض لي من خوف وعيدِ  
وملكت الشرق والغرب بسلطان شديدِ  
وبفضل الملك والمُدَّةِ فيهِ والعديدِ  
فأني هوذ وكنا في ضلال قبل هوذِ  
فدعانا لوقيلنا • في الأمر الشديدِ  
ضميناه ونادى تُ الأهل من يحميدِ  
فأنتنا صيحة تَهـ وى من الأفق البعيدِ  
فأوقيننا كزرع وسقا بيداً حصيدِ<sup>(٢)</sup>

(١) مثل هذه الأخبار عن كعب ووهب لا قيمة لها من الناحية التاريخية أو الدينية فهي صنع خيال تشهيه السجائب ، وليست نقلاً عن لغة ولا وصفاً لمشاهد .

(٢) النفا : كل شجر له شوك . واليداء : الصحراء .

### قوله تعالى

« وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّغَرَ بِالْوَادِ »

تعلوه وقبوه « وفرعون ذى الأوتاد » فيه ستة أقوال : أحدها : أنه كان يمدب الناس بأربعة أوتاد يشدهم فيها ثم يرفع صخرة فتلقى على الإنسان فتشده . قاله ابن عباس . والثاني : أن المعنى : ذو البناء الحكم . قاله الضحاك . والثالث : أن المراد بالأوتاد الجنود ، كانوا يشدون ملكه . وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس . والرابع : أنه كان يبنى مناراً يذبح عليها الناس . والخامس : أنه كان له أربع أسطوانات يأخذ الرجل فيمد كل قائمة منه إلى أسطوانة فيمد به . روى القولان عن سعيد بن جبير . والسادس : أنه كانت له أوتاد وأرسان وملعب يلعب به عليها . قاله عطاء وقتادة .

قوله تعالى : « الَّذِينَ طَنُوا فِي الْبِلَادِ » يعنى عادا وتمودا وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا على أنبياء الله تعالى فأكثروا فيها الفساد بالقتل والمعاصي . « فصب عليهم ربك سوط عذاب » قال ابن قتيبة : إنما قال : سوط عذاب لأن التعذيب قد يكون بالسوط . وقال الزجاج جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب . « إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرَاصِدِ » أى يرصد من كفر به بالعذاب . قال الأزهري : المرصاد المكان الذى يجرد فيه الراصد المدور

### سجع على قوله تعالى

« إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرَاصِدِ »

أين من أصبح بلداته مغتبطا ، أمسى فى صحاته مُعْتَبِطًا ، أين من كان أمره فُرْطًا ، ندم إذا ارتكب غلطًا ، أين من سلك سبيلا شَطَطًا ، نزل لحدًا ما فيه وِطًا ، وجاء لللكان فأنزعًا وأفرطًا ، واختصَّ قبيحه وانكشف الغطا .

ما بين يَوْمِ الْهَيْبَاتِ وَبَيْنِ يَوْمِ الْفُرَاتِ  
إِذَا تَأَمَّلْتَ بَعِيداً إِلَّا كَمَا بَيْنَ هَا وَهَاتِ

قل للمشغولين بالفساد الواقفين مع العناد : إلى متى ظلم العباد ، كم مُتَلَبَّ مانال  
للرّاد « إِنَّ رَبَّكَ لَبَّالِرْصَادِ » .

أما عادَ العذابُ على عاد ؟ أما أُمِرَضُ وما عاد ، أين من ادَّعى الربوبية أو كاد ؟ كاده  
الجبار فيمن كاد « إِنَّ رَبَّكَ لَبَّالِرْصَادِ » . ينهائم في ظلم للظالم سلب على أقبح فعله الظالم ،  
فبات يقرع سين نادم ولكن لما عثر الجواد . أخذوا الله في مضيقه . وأغصه الموت بريقه ،  
وبقي متعبراً في طريقه لآماء ، ولا زاد . كأنك بك قد بلغت النبوة ، وصرعت صرعةً  
تعجزك الأوبة . وقت تعرض يومئذ سيلع التوبة ولكن وقت الكساد ، فلا تغتر بمالك  
وقصرك ، ولا تعجب بنهيك وأمرك ، بإطائر الهوى ستؤخذ من وكرك وما تُعجز الصياد ،  
« إِنَّ رَبَّكَ لَبَّالِرْصَادِ »

من لك إذا شئت عن خلقك وجوزيت بأفبح عملك ، نالته إن ثبت من ذلك  
فكل عَشْرَكَ أعياد .

كم أرسلك إلى رشادك وأنت على فسادك ، كم أدعوك إلى إسمادك وأنت مع سعادك ،  
مُزْبِ بوق رحيلك وما اعتصمت بزادك ، أنا في وادٍ وأنت في وادٍ . لقد بالنت لك في النصائح  
وقت مُنْذِرًا عُنْهِ القبايح ، والطريق واضع والملم لا تخ ، « ومن يضل الله فإله من هاد »  
والحمد لله وحده .

## المجلس الحادى عشر فى ذكر يوم عرفة

الحمد لله الذى لهيبته عظمته تحرك الساكن وارتجى ، ولعظيم قدرته التعلت أمواج البحر ونبج<sup>(١)</sup> ، ومن يسير بلائه استغاث الشديدا الصبر وضج ، وإلى كثير عطائه قطع قاصدوه العميق الفج<sup>(٢)</sup> ، الذى أظهر فى شهركم هذا من دماء القرايين السفيح والشج ، وأحب من أكثر الدعاء فيه وألح ولب ، وسماء ذا الحجة وشرع فيه إلى بيته الحج ، الذى استدعى من شاء إلى زيارة بيته المتيق ، وحرك عزم القاصد وأعانه بالتوفيق ، وسهل للسالكين إلى حرمة مستور الطريق ، ووعد الطامنين القبول وهو بإنجاز الوعد خليق ، وأزعج قاصديه عن مساكنهم وأخرجهم من أماكنهم بالتشويق ، فرضوا من أهلهم وفريقهم بالباد والتفريق ، وسارت بهم الأينق<sup>(٣)</sup> عن الربع الأنيق ، وجدت بهم النجائب من كل بلد سحيق ، فأقبلوا بين ماش على قدميه استنماء يقين الصديق وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

أحمد حمد موقن آمن به وعرفه ، وأشكره على إدراك ذى الحجة ويوم عرفة ، وأشهد له بنى للثل فى الذات والصفة ، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالرحمة وبالرفعة وصفه ، صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبه أبى بكر الصديق الذى حاله وما خالقه ، وعلى عمر الذى رفض الدنيا أفقة ، وعلى عثمان الذى جهز جيش المسرة وأسفنه ، وعلى علي الذى ما أشكل علم إلا وكشفه ، وعلى عمه العباس الذى عظم الله بيته وشرفه .

عباد الله : إن يومكم هذا يوم قد عظم الله أمره ورفع على الأيام قدره . وقد رويانا أن الله تعالى أقسم به فقال : « والشفع والوتر »<sup>(٤)</sup> فذكرنا عن النبى

(١) نبج : سال . (٢) الفج : الطريق الواسع .

(٣) الأينق : جمع ناقة . (٤) سورة الفجر .



صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الشفعُ يوم النحر والوتر يوم عرفة» وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى: «وشاهد مشهود»<sup>(١)</sup> قال: الشاهد والمشهود يوم عرفة.

ومن فضائله أن الله عز وجل أنزل فيه: «اليوم أكلتُ لكم دينكم»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر رضى الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية في كتابكم لوعلينا ممشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأى آية هي؟ قال: قوله تعالى: «اليوم أكلتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم رِفقى» ورضيت لكم الإسلام ديناً. قال: فقال عمر رضى الله عنه: والله إنى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التى نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، نزلت عشية عرفة يوم الجمعة.

أخرجاه في الصحيحين<sup>(٣)</sup>.

ومن فضائله أن الله تعالى يباهى بالخالج فيه ملائكته ويم بالفقران.

أخبرنا سعد الخير بن محمد، عن يونس بن يوسف، عن ابن السيب، قال: قالت عائشة رضى الله عنها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مامن يوم أكثر من أن يمتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم للملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء.

أشرد بإخراجه مسلم<sup>(٤)</sup>.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد بسنده عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهى بهم للملائكة فيقول: انظروا إلى عبادى أتوفى شُعثاً غُبراً من كل فج عميق، أشهدكم أفى

(٢) سورة المائدة

(١) سورة البروج

(٣) صحيح البخارى ١٠٣/٣ (كتاب الضمير) وصحيح مسلم كتاب القصر حديث رقم ٥٠٠.

(٤) صحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٢٦؛ وأخرجه أيضاً ابن ماجه كتاب الناسك باب الدعاء برفقة.

قد غفرت لهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما من يوم أ كثر عتيقا من يوم عرفة <sup>(١)</sup> .

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ بسنده عن أيوب عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ عَشِيَّةَ عُرْفَةَ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ : انظُرُوا إِلَى عِبَادِي هَؤُلَاءِ شَعْنَا غَبْرًا جَاءُوا مِن كُلِّ فَيْجٍ عَمِيقٍ ضَاجِّينَ يَسْأَلُونِي <sup>(٢)</sup> رَحْمَتِي وَلَمْ يَرَوْا وَيَتَمَوَّذُونَ مِنِّي مِنْ عَذَابِي وَلَمْ يَرَوْا . فَلَمْ يَرَوْا أ كَثَرَ عَتِيقًا وَلَا عَتِيقَةً مِنْهُ ، وَلَا يَفْقَرُ اللَّهُ فِيهِ لِمَخَالٍ <sup>(٣)</sup> »

أخبرنا إسماعيل بن أحمد ، قال أخبرنا أبو الفوارس بن أبي عثمان بسنده عن الصباح ابن موسى ، عن أبي داود الشَّعْبِي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يبقى أحدٌ يوم عرفة في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا غُفِرَ له . قال رجل : لأهل معرف <sup>(٤)</sup> يارسول الله أم للناس عامة ؟ قال : لا بل للناس عامة .

فأما ثواب صائعيه فأخبرنا ابن الحصين بسنده عن عبد الله بن معبد عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفة قال : « كفارة سنتين » .

وأخبرناه عليا عبد الرحمن الأعمالي بسنده عن عبد الله بن معبد عن أبي قتادة أن رجلا قال : يارسول الله أ رأيت صيام يوم عرفة ؟ قال أحسب على الله أن يكفر السنة للماضية والبقية .

اخره بإخراجه مسلم <sup>(٥)</sup> . وفي النظر : إني أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٢٤/٢ ، ٣٠٥ . والطبراني في الصغير والكبير . ورجال أحد موثقون . جمع الزوائد ٣٥٧/٣ .

(٢) الرواية في جمع الزوائد : ولم يروا رحمتي ولم يروا عذابني .

(٣) رواه أبو يعلى بن حمويه وفيه محمد بن مروان الغليل وثقه ابن معين وابن حبان وفيه بعض كلام وفيه رجاله رجال الصحيح . جمع الزوائد ٣٥٣/٣ - (٤) كفايت - وفي ب : لأهل معروف . ومعرف :

الوقف برفقت (٥) صحيح مسلم كتاب الصوم حديث رقم ١٩٦

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن حماد بن سلمة عن عطاء الخراساني أن عبد الرحمن ابن أبي بكر دخل على عائشة رضي الله عنها يوم عرفة وهي صائمة ولما يرش عليها فقال لها عبد الرحمن : أفطري . فقالت أفطر وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن صوم يوم عرفة يكفر العام الذي قبله »<sup>(١)</sup> .

واعلم أن صومه مستحب لغير الحاج . فأما الحاج فلا يستحب له صومه ليتقوى على الدعاء ولكونه ضيقاً لله تعالى .

فأما ما يختص بالذكور فيه فنه التكبير عقب الصلوات المفروضة فابتدأه في حق المحل : صلاة الفجر يوم عرفة . وفي حق للحرم صلاة الظهر من يوم النحر ، ويحتمل أن في صلاة العصر آخر أيام التشريق . وصفة التكبير شفع : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر والله الحمد .

ومن الأذكار ما أخبرنا به أبو النضر ابن أبي القاسم بسنده عن حماد بن أبي حديد ، عن عمران بن شبيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير الدعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »<sup>(٢)</sup> .

وقد رويت صلاة ليوم عرفة ليس فيها شيء يصح ولا يثبت فذلك تنكبناها . وكان ابن عمر رضي الله عنهما يحكي ليلة النحر وقد ذكرنا في فضل إحيائها حديثاً فيما نقله .

\*\*\*

---

(١) رواه أحمد . وعطاء لم يسمع من عائشة ، بل قال ابن معين : لا أعلمه لني أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . مجمع الزوائد ١٨٩/٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه كتاب الدعوات باب في دعاء يوم عرفة . قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني وليس بالقوي عند أهل الحديث . صحيح الترمذي ٢٧٨/٢ ( ط الأمانة )

واعلموا أن يوم النحر يوم عظيم قال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الأيام عند الله عز وجل يوم النحر ثم يوم النَّفَر <sup>(١)</sup> » .

وقد سبق ذكر آداب العيد وما يُفعل في يوم النحر : أن لا يأكل حتى يفرغ من الصلاة وأن يضحي من أمكنه .

وفي حديث عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الأضحية « إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشمارها وأغلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً » <sup>(٢)</sup> .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : بكل شعرة حسنة . وقال صلى الله عليه وسلم لغاطمة رضى الله عنها : « قومي إلى أضحيتك فاشهديها فإن لك بكل قطرة من دمها أن يغفر الله لك ما سلف من ذوبك . قيل له : هذا لآل محمد خاصة ؟ قال بل هي لآل محمد وللناس عامة » <sup>(٣)</sup> .

أبنا أحمد بن علي بن الجلي بسنده عن عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، قال قرئ على أبي القاسم بن زيد وأنا أسمع قيل له : حدثكم عمرو بن النضر النزال ، عن عصة ، عن أبي جعفر أنه قال « أول قطرة من دم الأضحية كفارة لأربعة آلاف خطيئة » .

ومن شرف يوم النحر أن الله سبحانه وتعالى ابتلى به الغليل بذبح ولده . وقد ذكرنا القصة في أول الكتاب .

### السلام على البسمة

لك في المشيب أكبر الوعظ لو فكرتَ يا مفرضا عن الوعظ صفحا  
أهدت الأربعمن منه إلى كَيْ ل عِذارَيْكَ وللْفارق صفحا

(١) أخرجه أبو داود . ويوم النفر هو اليوم الثاني من أيام التشريق .

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه وابن ماجه في كتاب الأضاحي .

(٣) رواه البزار وبنو علية بن قيس وفيه كلام كثير ، وقد وثق . مجمع الزوائد ١٧/٤ .

عاد فَوَدَاكَ وَالنَّوَابِ وَالْمَا رَضَ فَجَرًا مِنْ بَعْدِ مَا كُنَّ جُنْحًا<sup>(١)</sup>  
وَهَبَ الشَّيْبُ قَوْسَهُ لَكَ وَاعْتَا ضَ عَلَى الْكَرَّةِ مِنْ شِطَاطِكَ<sup>(٢)</sup> رُمَحَا  
عَمَلُ الْمَرْءِ كَالْتِجَارَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ بَرَى خُسْرَانَهَا وَالرَّيْحَانَا  
فَلَحَى اللَّهُ مَعْمَرًا لَا يَرُونَ اللَّهَ مَّ ذَمًّا لَهُمْ وَلَا لِلدَّائِمِ مَذْنَا  
كُلُّ ذِي غَفْلَةٍ تَرَاهُ بِخِيَلَا بِحُطَامِ الدُّنْيَا وَبِالْدِّينِ سَمْعَا  
بَاتَ مِنْ جِبَلِهِ وَأَضْحَى بِظَنِّهِ مِيدَ فِطْرًا بَاتَى عَلَيْهِ وَأَضْحَى  
كَذَّبَتْهُ الظُّلُمُونَ مَا الْعَبْدُ إِلَّا لَا مَرِيءَ آمِينَ مِنَ النَّارِ أَفْعَا

\*\*\*

لله در أقوام أعيادم قبول الأعمال، ومرادهم أشرف الآمال، وأحوالهم تجري على  
جمال، وجمال التقي وإياه من جمال.

أبنا زاهر بن طاهر بسنده عن محمد بن يوسف بن عبد الله قال: سمعت أبا ثابت  
الخطاب يقول: رأيت نصحا للوصلي في يوم عيد أضحي وقد شمَّ ريح المِنَارِ<sup>(٣)</sup> فدخل  
إلى زقاق فسمعت يقول: تَهَرَّبُ لِتَقْرُبُونَ بَرَابَنَهُمْ وَأَنَا أَتَقَرَّبُ بِطُولِ حَزْنِي، يَا مَحْبُوبَا كَمْ  
تَرَكْنِي فِي أَرْزَقَةِ الدُّنْيَا مَحْزُونًا. ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ وَجَّهٌ فَدَفَنَاهُ بَعْدَ ثَلَاثِ.

أين من ضحى بشهوات نفسه فألمات حظها، أين من حنَّها على لحاق السلف الصالح  
وحضنها، أين من خوفها حسابها وحذرَّها عَرْضَهَا، أين من قطع من طول الجاهدة طُولَهَا  
وعَرَضَهَا، وأين من أدرك من مقامات التَّوْبِيلِينَ ولو بعضها، أين من أنْعَمَ عَزَائِمُ الْوَفَاءِ  
وَأَهْمَلِ هِمِّ الْجَنَافِ وَقَصَدَ قَضَاها، يامن يُسَرِّبُ بَعِيدَ وَقْدِ تَمَدُّي الْخُدُودِ، أَتَرْضَى أَنْ تَحْشُرَ  
فَتَنْتَحَسَّرَ لِقَوَاتِ الْقَصُودِ. لَقَدْ أَسْمَعْتُكَ لِلْوَاعِظِ مِنْ إِرْشَادِهَا نَصْحًا، وَأَعْبَرَكَ الشَّيْبُ أَنْتَ  
بِالْمَوْتِ قُصْدَ وَتُنَحِّي، وَتَرْحَ الزَّمَانُ حَالَ مِنْ شَرَحَ قَبْلَكَ شَرَحًا. أين من فَرَحَ بِبَعِيدِ

(١) جنحاً: سوداً. وأبجج من الليل: الطائفة منه. (٢) الشطاط: الطول وحسن القوام واعتداله.

(٣) في ت: ونشم ريح الحجج حين دخل في بطن الأرزقة. وفي ب: ريح القنار. والمِنَار: جمع عنز.

(البصرة ١٠/٢)

النفار وعيد الأضحى؟ أما تزود الحنوط من العار وفي القبر أضحي « يا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً » .

\*\*\*

جَمَعُوا لِيَنْتَفِعُوا فَلَا أَنْ دَعَوْا أَمْوَالَهُمْ حِينَ الرَّدَى لَمْ تَنْفَعِ  
وَاسْتَدْفَعُوا بِالْمَالِ كُلَّ مَضَرَّةٍ حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ الْمَزِيْرُ الْمَذْفَعِ  
وَكُنْهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي جَمَعُوا يَمْرَأَى لِلْخُطُوبِ وَمَسْمَعِ  
هَتَفَ الْحِمَامُ بِكُلِّ حَيٍّ مِنْهُمْ فَأَجَابَهُ مُسْتَكْرَهَا كَالطَّيْعِ  
وَأَرَامُ فِي مَضْجَعٍ وَأَتَانِمْ مِنْ مَطْلَعٍ وَسَفَامُ مِنْ مَكْرَعِ

يامن كلما جذب عن لوه رَسَب ، هذا بريد الموت لك في الطلب ، بادِرْ قبل الفَوَات  
فالزمان ينتهب ، وانتظر سَلْب الدهر ما وهَب<sup>(١)</sup> ، أين الجامع المانع للذهب ؟ ذهب ،  
أين مُخَاصِم الأفتار قل لي من غلب ؟ أتاه الفاجع فاقترَب وما ارتقب ، وأبرزه من قَصْرِهِ  
ولطالما احتجب ، يا مَعْرُضاً عَنَّا عَنَّاكَ التَّعَب ، يا هَاجِراً لَنَا إِلَى كَمْ ذَا النُّعْصَب ، يا مُضْنَةً  
بِاعْلَاقَةِ خِدْمَتِنَا نَسَب ، يا مُؤَثِّراً غَيْرَنَا بَعْتَ الدُّرَّ بِالْحَشَب ، أَمَا يَسُوفُكَ إِلَى الْخَيْرِ مَا يَشُوق ؟  
أَمَا يَمُوقُكَ عَنِ الضَّيْرِ مَا يَمُوق ؟ متى ترجع خُرّاً يا مَرَقُوق ، متى تصير سابقاً يا مَسْبُوق ،  
إِيَّاكَ وَالْهَوَى فَمَكِّ قَتْلَ عَاشِقًا مَعشُوق ، أَوَّلُ الْهَوَى سَهْلٌ ثُمَّ تَعْرِقُ الْخُرُوق ، كلما خُصِدَ  
نَبَاتُهُ بِمِنْجَلِ الصَّبْرِ أَخْرَجْتَ الرُّوْق ، إِنْ لَدَّ شَرْبُهُ فِي التَّمِّ فَشَرِبْهُ شَجّاً فِي الْخُلُوق ، وَإِنَّمَا  
لِذَاتِ الدُّنْيَا مِثْلُ خَطْفِ الْبُرُوق ، مِيزٌ بَيْنَ مَا يَفْنَى وَمَا يَبْقَى تَرِ الْفُرُوق ، خَلِّ خِلَّ التَّوَانِي  
إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَفُوق ، تَأَنَّنْ مَا تَصْحَكُ إِلَّا مُجَبَّ أَوْ صَدُوق .

ستعلم أيها العاصي ما أتيت ، وستدري يوم الحساب من عصيت ، وسيتبكي دماً لَنْبُحِ  
ما جَنَيْتَ ، كأنك بالموت قد جاء فانتبهت<sup>(٢)</sup> وارعوت ، وتذكّرت تلك الخطايا فتعت

(١) الأصل : وجب وهب . ولعل الصواب ما أقتناه .

(٢) ت : فانتبهت .

وبكيت ، وأخلى منك البيت شئت أو أبيت ، وصحت بلسان الأسف : « رب ارجعوني »  
ونيت ، انهض يا حياً قادراً قبل أن تسمى باسم ميت ، ويحك تأمل أمرك وافتح عينيك ،  
ونعلك كم نسي<sup>(١)</sup> من الذنوب عليك ، إن سهام الموت قد فوقت إليك ، اقبل نصحي وقم  
نادماً على قدميك ، وأحسنها أرض عرفة وقل لبيك اللهم لبيك .

### السلام على قوله تعالى

« وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا<sup>(٢)</sup> »

قال المفسرون : لما فرغ إبراهيم عليه الصلاة والسلام من بناء البيت أمره الله تعالى  
أن يؤذن في الناس بالحج قال إبراهيم : يارب وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن وعلى البلاغ .  
فلا أبا قُبَيْس<sup>(٣)</sup> وقال : يا أيها الناس إن ربكم قد بنى بيتاً لحجوه . فأتبع من أصلاب  
الرجال وأراحام النساء ممن سبق في علم الله عز وجل أن يحج فأجابوه : لبيك اللهم لبيك .  
وقوله : « رجالا » أي مشاة . وقد حج إبراهيم وإسماعيل ماشين ، وحج الحسن  
ابن علي عليهما السلام خسا وعشرين حجة ماشيا والنجائب تقاد معه . وحج أحمد بن  
حنبل رضى الله عنه ماشيا مرتين .

### سجع على قوله تعالى

« وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا »

أمر الله نبيه الخليل بعد بناء بيته الجليل أن ينادى عبده إلى الفضل الجليل ، ليحط  
عنهم مولاكم كلٌّ وزر ثقل ، فقال سبحانه وتعالى « وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا » .  
يا إبراهيم نادهم ليحصل نعمهم في معادهم ، وأزعمهم بتلك من بلادهم وأخرجهم

(١) كذا في ت . وفي ب : كم نسي . (٢) سورة الحج ٢٧ (٣) أبو قيس : جبل بمكة .

عن أهلهم وأولادهم فليقصدوا بابي مُسرعين عَجَلًا « وأُذِّن في الناس بالهَج بِأَتُوك رِجَالًا » .

يا غافلاً عني أنا الداعي ، يا متخلفاً عن زيارتي أنا أَلقي الساعي ، يا مشغولاً عن قصدي  
لو عرفت أطلّعي ، أنا أَقْتُ خَليلي يدعو إلى سبيلي ، وأقبلت بفتوى على محي إقبالا  
« وأُذِّن في الناس بالهَج بِأَتُوك رِجَالًا » .

لله دَرّ أقوام فارقوا ديارهم وعاقوا افتقارهم ، وآثروا غبارهم وطهروا أسرارهم ،  
يَدْعُونَ عند البيت قريباً سميماً ، ويقفون بين يديه بالذل جميعاً ، ويسعون في مَرَضِيهِ سعيًا  
سريماً ، وقد ودَّعوا مطلوب شهواتهم توديعاً ، فأقادم مولاهم أن رَجَعَهُمْ كَيوم  
أخرجهم أطفالاً .

هَجروا السكَدَر وهاجروا إلى الصَفَا ، وقصدوا اللوّة بعد أن أمّوا الصَفَا ، وحذروا  
الزَّدَّ وخافوا الجفا ، وتلمّت آمالم بمن هو حسبهم وكفى .

نادِ زُؤَارِي أَنَا أَدْعُوهُمْ	نحو يتيق لناوَا شَرَفًا
فهم وَفَدَى إِذَا مَانَزَلُوا	بحريري إِذْ دَنَوْا مُزْدَلَفًا
ولم عندي مُزِيدٌ وَلَمْ	من نَوَالِي مَا أَحْبَبُوا طُرَفًا
فارقوا أوطانهم إِذْ قَصَدُوا	نحو بابي يَطْلُبُونَ الزَّلْفَى
فلهم مَتَى مَهْمَا أَمَلُوا	سلفًا يَتَنَى وَيُنْشَى <sup>(١)</sup> خَلَفًا

قد أحرَمَ التَّوَمُ عن الحلال فَأَحْرَمُوا أَنتم عن الحرام ، منعوا أنفسهم من الطَّيِّب  
فاحذروا أَنتم جِيْفَةُ الهوى ، يا حُسْنَهُمْ وقد نَزَعُوا اللَّخِيطَ وَنَزَعُوا عن التضييع والتفريط ،  
وملأوا بالتضرع البسيط ، فارقوا لأجل مولاهم أولادهم ، وأغرَّوا عن رقيق الثياب له

(١) كذا في ت . وفي ب : ويقي .



أجسادهم ، وتركوا في مَرَاضِيهِ محبوبهم ومُرَادهم ، فاصبحوا قد أعطاهم مولاهم وأمسوا وقد أفادهم .

استساعهم إليه فاجتهدوا وجدّوا ، وتزوّدوا التقوى في طريقهم واستمدوا ، وأنعموا الأعضاء في خدمته وكثّروا ، وطرقوا بأنامل الرجاء بابَ اللَّجَأِ فَأَرَدُوا ، ناداهم وهم في الأضلاب والأرحام ، واستصلحهم لزيارة بيته الحرام ، وأكرمهم بالفقران فيانم الإكرام ، ورحم شعثَ الرعوس وغبار الأقدام ، وأنتم إن بعدتم عن ذلك للمقام قد شاركتهم في الإيمان والإسلام ، فارغبوا بالتضرّع إلى الملك الملام ، فإنه معروف بالفضل موصوف بالإينام .

\*\*\*

ذكر عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال : سمعت جعفر الصادق رضي الله عنه فلما أراد أن يلقي تعبير وجهه وارتمت فرائضه فقلت : مالك يا بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أردت أن أُلقي . قلت : فأيوقفك ؟ قال : أخاف أن أسمع غير الجواب !

وقف مُطَرَفٌ <sup>(١)</sup> وبكر ابنا عبد الله قال مُطَرَف : اللهم لا تردّهم من أجلي . وقال بكر : ما أشرفه من مقام لو لا أُنّي فيهم !

وروي عن الفضيل بن عياض أنه وقف برفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الشكلى المحترقة ، فلما كادت الشمس أن تسقط قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : واسوأناه منك وإن عفوت !

أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن علي بن هزارد الصوفي قال : سمعت ابن محبوب تليذ أبي الأديان يقول : ما رأيت خائفا إلا رجلا واحدا ، كنت بالوقوف فرأيت شابا مُطَرَقًا منذ وقف الناس إلى أن سقط التُرْسُ <sup>(٢)</sup> ، قلت له : يا هذا ابسط يدك للدعاء فقال لي : نَمَّ وَحَشَةٌ . قلت له : فهذا يوم المغفر عن الذنوب . قال فبسط يده ووقع ميتا .

(١) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير ، تابعي . (٢) سقط الترس : غابت الشمس .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن أبي بكر محمد بن دواد اللبثوري قال : سمعت  
أبا عبد الله بن الجلاء يقول : كنت بذى الحليفة وشاب يريد أن يُحْرَم ، فكان يقول :  
يا رب أريد أن أقول ليك اللهم ليك فأخشى أن تجيبني بلالبيك ولا سعدبك . يردّد  
ذلك مرارا ، ثم قال : اللهم لبّيك . مَدَّبَها صوته وخرجت روحه . رحمة الله عليه .

وقال سري<sup>(١)</sup> : لقيت في طريق الحج حبشية قتلت : إلى أين ؟ قالت : الحج .  
قلت : الطريق بعيد . فقالت :

بيدٌ على گسلان أو ذى مَلّالة فأما على المشتاق فهو قريب<sup>(٢)</sup>

ثم قالت : ياسرى إنهم يروّنه بعيدا وزراه قريبا . فلما وصلت البيت رأيتها تطوف  
كالتقى الشاطر ، فنظرت إليها فقالت : ياسرى أنا تلك العبدة لما جثته بصعفى حلقى بقوته .  
لما حجّ الشبلى وأشرف على جدران مكة قال :

أبطحان مكة هذا الذى أراه عيانا وهذا أنا !

ثم غشى عليه ، فلما أفاق قال :

هذه دارهم وأنت محبّ ما بقاء المموع فى الآفاق

أخبرنا أحمد بن أحمد الهاشمي ، وحدثنا عنه ابن ناصر ، قال أخبرنا أحمد بن علي بن  
ثابت بسنده عن الحسين بن عبد الرحمن قال : حج سعيد بن وهب ماشيا فبلغ منه  
وجهد قال :

قد مئى اعترورا رمل الكتيب واطرقا الآجین من ماء القلب<sup>(١)</sup>

ربّ يوم زحما فيه على زهرة الدنيا وفى وادٍ خصب

وسمعى حسن من حسن صخب الزهر كالظبي الرّيب

(١) هو أبو الحسن سري بن الحسن القطي ، صوفى بغدادى المولد والوفاة توفى سنة ٢٥١ هـ .

(٢) ت : فأما على المشتاق غير بعيد .

(٣) اعترورا : تداولاه فى المشى . والآجین : الآسن . والقلب : البئر .

فاحسبنا ذاك بهنا واصبرنا وخذا من كل فنٍ بنصيب  
إِمْعَا أَمْشَى لَأَنِّي مُذْنِبٌ قَلَّلَ اللَّهُ يَغْفِرُ عَنْ ذُنُوبِي<sup>(١)</sup>  
كَأَنِّي الْآنَ بِالْحَامِلِ نَتْنٌ، وَبِالزَّوَامِلِ<sup>(٢)</sup> نَحْنُ، وَبِالطُّرُزِمِ<sup>(٣)</sup>، وَبِالْجُفُونِ تَسْجِمِ<sup>(٤)</sup>،  
وَالشُّوقُ إِلَى الْبَيْتِ قَدْ عَمَلَ عَمَلَهُ، وَالْمُؤَمِّلُ بِلَا حَظٍّ أَمَلَهُ :  
وَلِي أُنَّةُ الشَّاكِي وَإِنْ بَعْدَ<sup>(٥)</sup> لِلدِّي مَا بَيْنَنَا وَنَفْسُ الْكَرُوبِ

\*\*\*

قوله تعالى

« وعلى كل ضامر »

أَي رُكْبَانَنَا عَلَى ضَمُرٍ مِنَ السَّفَرِ . نَجَابَتِ تَحْمِلُ الْأَحْبَابِ ، صَوَابِرٌ عَلَى الْإِنْضَاءِ  
وَالْإِتْمَاعِ ، تَرَفَّلَ بِالزَّائِرِينَ إِلَى رَبِّ الْأَرْبَابِ ، أَذْخَرَتْ لَهُمُ التَّحْفَ وَالْبَشَائِرَ ، وَنَظَرَتْ إِلَى  
صَبْرِهِمْ عَلَى فِرَاقِ الْمَشَائِرِ ، وَدَعَوْتِهِمْ إِلَى نَيْلِ الْأَمَلِ<sup>(١)</sup> الْوَافِرِ ، وَرَحَّتْ شَعَثَ الشَّعْثِ  
وَقُبَارَ الْمَافِرِ ، وَكَتَبَتْ فِي حَسَنَاتِهِمْ خَطَوَاتِ كُلِّ ذِي خُفٍّ وَحَافِرٍ ، وَأَرْبَحَتْ تِجَارَةَ كُلِّ  
وَارِدٍ نَحْوِي وَصَادِرٍ ، وَأَعَدَّتْهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَمَا فِيهِمْ خَاسِرٍ ، فَتَادِمٌ : « يَا تَوَكُّلُ رَجُلَا  
وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ » .

قوله تعالى

« يَا نَبِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ »

يَا نَبِينَ : ضَلَّ لِلتَّوَكُّلِ<sup>(٢)</sup> . وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَابْنُ أَبِي عَبَّيَةَ « يَا تَوَكُّلُ » عَلَى أَنَّهُ ضَلَّ لِلرَّجَالِ .  
وَالْفَجَّ الْعَمِيقُ : لِلْمَكَانِ الْبَعِيدِ .

صَبَرُوا عَلَى مَشَاقِّ الطَّرِيقِ بَيْنَ هَبُوطٍ وَصُعُودٍ وَمَضِيْقٍ ، وَاحْتَمَلُوا لِأَجْلِ خُلُقِ الرَّفِيقِ ،

(١) رَوَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي ذِمِّ الْهَوَى ص ٥٧ (٢) الزَّوَامِلُ : جَمْعُ زَامَلَةٍ وَهِيَ الَّتِي يَحْمِلُ  
عَلَيْهَا مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا . (٣) تَرْزَمُ : نَحْنُ . (٤) تَسْجِمُ : تَسِيلُ دُمُوعَهَا . (٥) ت : وَمَدَّ بَعْدَ .  
(٦) ت : الْأَمْرُ . (٧) كَذَا ق ت . وَفِي ب : ضَلَّ التَّوَكُّلُ .

ورضوا من فريقتهم بالبعاد والتفريق ، وحديث بهم للطايا من كل بلد سحيق ، وجانبوا مايشين وصاحبوا ما يليق ، وصابروا ظمأ الشفاء وقلة الریق ، فلاسقينهم يوم لقاى من السلبيل والرحيق ، فنادهم « يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

\*\*\*

### قوله تعالى

« ليشهدوا منافع لهم »

وهي ربح التجارة في الدنيا والثواب في الأخرى .

سبحان من إلى بيته حملهم وبفنائه أنزلم وإلى حرمة أوصلهم ، وبإخلاص قصده بجلهم ، فلقد جمع الخير الجمّ لهم « ليشهدوا منافع لهم » .

حرّ كم بتوقيه فناروا ، واستدعاهم إلى بيته فناروا ، وأوصلهم إلى حرمة فناروا ، فباحسّهم في الطواف إذا سموا وداروا ، واجتمعوا بالآمال حول البيت واستداروا ، فضافهم من أضافهم إلى الأحباب وأنزلم « ليشهدوا منافع لهم » .

يا كثرة ما أعطاهم من العطايا ، يا شرف ما أنالهم من الهدايا ، فلقد تلقاهم بالجود والتعابا ، وخطّ عنهم من الذنوب والخطايا ما أتقاهم . أتعبهم للشئ وأزعجهم للركوب ، وكان ذلك حيناً في قرب المحبوب فأنم عليهم بكل مطلوب ، وقابلهم بالغفو عن الذنوب وقيلهم . تعلقوا بذيل رحمتي ولطفي ، وسألوني مودتي وعطفي ، واشتغلوا بي دون غيري ويكني « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم » .

إخواني : إن لم نصل إلى ديارهم قلنصل انكسارنا بانكسارهم ، إن لم نقدر على عرفات فلنستدرك ما قد فات ، إن لم نصل إلى الحجر فلين كل قلب حجر ، إن لم نقدر على ليلة جمع ومضى فلنتم بئام الأسف هاهنا . أين للنيب الأبواب أين الحمد السابق ، هذا

يومٌ يُرْحمُ فيه الصادق . هذا أوان يطلع فيه الخالق ، يأمؤملا مثله قد لا يوافق ، من لم يُنبِ في هذا اليوم فتى بنيب ، ومن لم يحب في هذا الوقت فتى نيب ، ومن لم يشرّف بالتوبة فهو غريب ، ومن لم يُقرّ بالمغو فإله من نصيب ، أسفاً لعبد لم يُفقر له اليوم ماجى ، كلما هم بخير نقض الطرد ما بنى ، حفر مواسم الأرباح فما حصل خيرا ولا اقتنى ، ودخل بساتين الفلاح فما مدّ كفاً ولا جنى ، ليت شعري من منا خاب ومن منا نال النى .  
فيا إخوانى : إن فائنا نزول منى ، فلنزل دموع الحشرات هائنا ، وكيف لا نبكى ولا نندرى ماذا يراد بنا ، وكيف بالسكون وما نعلم ما عنده لنا :

فلما الموقفِ أعدَدنا البكا ولما اليوم الدموعُ مُقَتنى

اللهم إنا نق لك على الأقدام كقيام القاصدين البيت الحرام ، يا غافر الذنوب اغفر ذنوبنا ، يا ستار العيوب استر عيوبنا ، يا كاشف الكروب اكشف كربنا ، يا منتهى الآمال بلغنا مطلوبنا . برحمتك يا أرحم الراحمين .



# الطَّبَقُ الثَّالِثُ

تشمّل على ذكر خلق ابن آدم والأرض والسموات

— — —

فِيهَا ثَلَاثُ تَرْجَمَاتٍ





## المجلس الأول

يذكر فيه خلق ابن آدم

الحمد لله الخالق بقدرته مادب ودرج ، الفائق بصنفته ماالتأم وارتنج ، الرائق بحكته ما افترق وانفرج ، البال على وحدانيته بالبراهين والحجج ، أنشأ الأبدان من النطف وحفظ فيها للهج ، ونور العيون فأحسن في تركيبها الدعج<sup>(١)</sup> ، وأنطق اللسان فبان سبل المراد ونهج ، وعلم الإنسان البيان فإذا خاصم فلج<sup>(٢)</sup> ، بقدرته سكن المتحرك فما زال ولا اختلج ، ولهيته تحرك الساكن فتغير وانزعج ، طوى اللطف في تكليف الخلائق ودرج « وما جعل عليكم في الدين من حرج » خلق البحرين هذا عذب فركات وهذا ملج أجاج ومرج ، واستخرج بدائع الودائع من بواطن اللجج ، وعلم ماظهر في الأرض ورأى ما فيها ولج ، يصير يرى جريان الدماء في باطن الودج ، سمع يدرك بسمعه صوت الباك إذا نشج ، لا يخفى على بصره في سواد الليل سواد الشج<sup>(٣)</sup> ولا يعزب عن سمعه أنين المدنف<sup>(٤)</sup> يرجو النرج ، أنزل كلاما قديما من ورد بحره ارتوى وابتهج ، قرأنا عربيا غير ذى عوج . أحده حمد من جمع الحمد في حمده ودرج ، وأشهد أنه العظيم القدر الرفيع الدرج ، وأصل على رسوله محمد الذي إلى قاب قوسين عرج ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي لا ينفذه إلا الرعاع الهج ، وعلى عمر الذي يفوح من ذكره أذكى الأرج ، وعلى عثمان الذي جمع الإنفاق إلى الصبر فازدوج ، وعلى عليّ اللجج على جبه فإن خرج شخص من الإجماع خرج ، وعلى عه العباس الذي افتخر به بيت الخلافة وابتهج .

\*\*\*

(١) الدعج : سواد العين مع سعتها . (٢) فلج : غلب وظفر .

(٣) اللجج : صدر القفا . ويضرب به النمل في الحماة فيقال : أخفى من القفا .

(٤) المدنف : المريض الثقيل المرض .

قال الله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين »<sup>(١)</sup>

المراد بالإنسان هاهنا آدم عليه السلام . والسلالة فعالة ، وهى القليل مما يُسل ، فاستلَّ من كل الأرض . وقد روى أبو موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه أنه قال : إن الله خلق آدم من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض وقد ذكرنا قصة آدم عليه السلام فى أول الكتاب<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : « ثم جعلناه نطفةً » يعنى ابن آدم . والمراد بالنطفة اللتى « فى قرار » يعنى الرحم « مكين » أى حريز قد هُيئَ لاستقراره فيه .

قوله تعالى : « ثم خلقنا النطفة علقةً » والعلقة دمٌ عبيط<sup>(٣)</sup> جامد . وسميت علقة لتعلقها بما تمرُّ به ، فإذا جفت فلبست علقة . واللصنة لَحْمَةٌ صغيرة ، وسميت بذلك لأنها بقدر ما يَمُصُّغ .

« فخلقنا اللصنة عظاما فكسونا الظلمة لَحْمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر » . وفى محل هذا الإنشاء قولان : أحدهما : بطن الأم . ثم صفة الإنشاء فيه قولان : أحدهما : نفخ الروح . رواه عطاء عن ابن عباس وبه قال أبو العالية والشَّعْبِيُّ<sup>(٤)</sup> . والقول الثانى : أنه بعد خروجه من بطن أمه .

ثم فى صفة هذا الإنشاء أربعة أقوال : أحدها : أن ابتداء ذلك الإنشاء أنه استهل ثم دُلَّ على التدنى وتقلُّب من حال إلى حال . رواه عطية عن ابن عباس . والثانى : أنه استواء الشباب . قاله ابن عمر . والثالث : خروج الأسنان والشعر . قاله الضحاك . والرابع : إعطاء العقل والضمير . حكاه الثعلبى .

« فتبارك الله » أى تعالى ورُفِعَ « أحسنُ الخالقين » أى المصورين والمقدرين . أخبرنا هبة الله بن محمد ، أنبأنا الحسن بن على التميمى ، أنبأنا أحمد بن جعفر ،

(١) سورة المؤمنون ١٢ . (٢) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٤ (٣) السبيط : الطرى .

(٤) كذا ، ولم يذكر القول الثانى فى صفة هذا الإنشاء .

حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد . فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعتم له بعمل أهل النار ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعتم له بعمل أهل الجنة فيدخلها » .  
أخرجاه في الصحيحين <sup>(١)</sup> .

وفي أفراد مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بمثل الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلد لها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء ، ويكتب الملك . ثم يقول : يارب رزقه ؟ فيقضى ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصيغة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص » <sup>(٢)</sup> .



قال علماء المتطعنين : أول الأحوال الحادثة في المني أن يكون له زيد ثم يوجد النطفة مندفاً إلى وسط الرطوبة لإعداداً لمكان القلب ، ثم تميز الأعضاء وينتهي بعضها عن مائة بعض ويحيط بالجنين ثلاثة أغشية : غشاء تُنَسَّج فيه العروق ، وغشاء ينصب فيه <sup>(٣)</sup> بول الجنين ، وغشاء يجمع الرطوبة التي ترشح من الجنين .  
وللرأس أربعة عظام : [ ثلاثة ] كالجلدران وواحد كالقاعدة ، وجمعت هذه الجلدران أصلب من اليافوخ لأن السقطات والصدمات عليها أكثر ويخفف القحف لعنيتين : أحدهما ثلثا ينقل على الدماغ . والثاني لينفذ منه البخار .

(١) صحيح البخارى كتاب التوحيد باب ٢٨ وأول كتاب القدر وصحيح مسلم كتاب القدر حديث رقم ١  
ومسنّد أحمد ١٩٧/٥ (٢) صحيح مسلم كتاب القدر حديث رقم ٣ (٣) ب : إليه .

ومن العظام ماهو أساس للبدن كفتقار الصُّلب يُبنى عليه كما يبنى السقف على الخشبة الأولى، ومنها كالجَحَن كالتحف فإنه جَنَّة للدماغ من الآفات. وخلق جوهر الدماغ باردا رطبا ليناً دسماً . فاما برّده فلا مُرِين : أحدهما تعديل الحرارة التي تنفذ إليه من القلب . والثاني : لئلا يحترق لكثرة ما يتأدّى إليه من حركات الروح في التخيّل والفكر [ والتفكير والذكر ]<sup>(١)</sup>. وهذه القوى الثلاث مكنها الدماغ فوضع التخيل البطنان المقدّمان من بطون الدماغ ، وموضع الفكر البطن الأوسط ، وموضع الحفظ المؤخر من بطون الدماغ . وأما رطوبته ولينه فلتلا تُجفّفه الحركات ، وأما خلّقه دسماً فليكون ماينبت فيه<sup>(٢)</sup> من المصبّ لينا .

وقد جُلّ الدماغ بشاهين : أحدهما رقيق بليه والآخر صفيق على العظم . وإنما خلقا ليكونا حاجزين بين الدماغ والعظم .

وأما العين فإنما جبلتا اثنتين ليتكونا إذا عرضت لإحدهما آفة قامت الأخرى بالبصر . وكل عين مركبة من عشرة أجزاء . وهي سبع طبقات وثلاث رطوبات ، والطبقات كشور البصل إن أصابت بعضها آفة نابت الأخرى . والرطوبات يقع<sup>(٣)</sup> النظر بالوسطن وهي صافية منيرة والرطوبتان<sup>(٤)</sup> من جانبيها ، فواحدة موضوعة خلفها تقرب من طبيعتها تتناول الغذاء أو تقلبه إلى طبعها فتتناول منه الرطوبة المبصرة . والرطوبة الثانية تُنددّى البصرة لئلا تجفّ . وخلق الهدب ليدفع مايطير إلى العين وليعدل الضوء بسواده .

وأما الأذن فجعل لها صدف مُعرّج<sup>(٥)</sup> ليجمع الصوت . وخلق الأنف لينحصر فيه الهواء فيعتدل في حلوله<sup>(٦)</sup> قبل أن ينفذ إلى الدماغ والرئة ، ثم هو ستر للفضلات المنحدرة . واللسان آلة لتقليب المضغ وتطبيع الصوت في إخراج<sup>(٧)</sup> الحروف وإليه تمييز الذوق .

(١) من ١ . (٢) ١ : منه . (٣) كذا في ب . وفي ١ : نفع . (٤) ٢ : والرطوبات .

(٥) ب : موج . (٦) ب : في طوله . (٧) ١ : في آخر الحروف .

والشفَتان غطاء للقم والأسنان ومجسبا لللعاب ومُعِينا على الكلام وبَجَلا .  
واللَّهَاءُ : جَوْهَرٌ لَحْشَى مَلَقَّ عَلَى أَهْلِ الْحَجَرَةِ وَمَنْعَتَهُ تَدْرِجُ الْمَوَاءَ لِلأَبْرَعِ <sup>(١)</sup> بِرَدِهِ  
الرَّيْثَةَ لِحَاةً . وَلِيَمْنَعِ الدِّخَانَ وَالْفَبَارَ كَأَنَّهُ بَابٌ مُوَصَّدٌ عَلَى مَخْرَجِ الصَّوْتِ بِقُدْرِهِ .  
وَالْأَسْنَانُ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ سِنًا ، فَهِيَ ثَنِيَّتَانِ مِنْ فَوْقٍ وَثَنِيَّتَانِ مِنْ تَحْتٍ وَرَبَاعِيَّتَانِ  
مِنْ فَوْقٍ وَرَبَاعِيَّتَانِ مِنْ تَحْتٍ ، وَنَابَانِ مِنْ فَوْقٍ وَنَابَانِ مِنْ تَحْتٍ ، ثُمَّ الْأَضْرَاسُ وَهِيَ  
عَشْرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الْقَمِّ خَمْسَةٌ ، فَهِيَ الصَّوَّاحِكُ وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَضْرَاسٍ عَلَى الْأَنْيَابِ  
إِلَى جَنْبِ كُلِّ نَابٍ مِنْ أَسْفَلِ الْقَمِّ وَأَعْلَاهُ ضَاحِكٌ ، ثُمَّ بَدَ الصَّوَّاحِكُ الطَّوَّاحِنُ وَيُقَالُ لَهَا  
لَهَا الْأَرْضَاءُ وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ طَلْحًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الْقَمِّ وَاحِدٌ مِنْ فَوْقٍ وَوَاحِدٌ مِنْ  
أَسْفَلٍ ، فَلِأَنْيَابٍ لِلْكَسْرِ وَالرَّبَاعِيَّاتِ لِلْقَطْعِ وَالْأَضْرَاسِ لِلطَّحْنِ .  
وَخَرَزٌ <sup>(٢)</sup> الْعِنَقُ سَبْعٌ وَقَفَّارُ الصَّدْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ ثَقْرَةً وَالصَّدْرُ مَوْثَلٌ مِنْ سَبْعَةِ أَعْظَمَ ،  
وَالسَّاعِدُ مَوْثَلٌ مِنْ عَظْمَيْنِ مُتَلَاصِقَيْنِ يَسْمَانِ الزَّنْدَيْنِ وَالْفَوْقَانِ الَّذِي بَلَى الْإِبْهَامِ أَدْقَ  
وَالسَّفْلَانِ أَغْلَظَ لِأَنَّهُ حَامِلٌ .

وعظام الأصابع غير مجوّفة لتكون أقوى على الثبات في الحركة <sup>(٣)</sup> والقبض ، وطال  
بعضها لتستوى عند القبض . والظفر سَنَدٌ لِلْأَمْلَةِ وَآلَةٌ لِلْحَكِّ وَالتَّنْفِيقِ .  
وَالصُّلْبُ مَسَلُكُ النُّخَاعِ ، وَالْمَعْدَةُ تَهْتَمُّ بِحَرَارَةِ فِي لَحْمِهَا وَبِحَرَارَةِ <sup>(٤)</sup> أُخْرَى مَكْتَسِبَةٍ  
مِنَ الْأَجْسَامِ الْمَجْرُورَةِ ، وَالطَّحْلُ مُنْفَرَشٌ تَحْتَهَا مِنَ الْبَسَارِ وَهُوَ عَاءٌ لِبَعْضِ فِصَلَاتِهَا .  
وَاللَّكْبَدُ عِرْقَانِ أَحَدُهُمَا يَجْذِبُ إِلَيْهَا الطَّعَامَ فَيُعْبِخُهُ وَيُوجِّهُهُ فِي الْعِرْقِ الْآخَرِ إِلَى الْبَدَنِ  
وَيَمِثُّ الْمَاءَ مِنْهُ <sup>(٥)</sup> إِلَى الْكَلْبَتَيْنِ وَالرَّغْوَةِ الصَّفْرَاوِيَةِ إِلَى الْمَرَارَةِ وَالرُّسُوبِ السُّودَاوِيِ  
إِلَى الطَّحَالِ .

والتلب مخلوق من لحم قوى ليكون أبعد من الآفات ، وقد أميل يسيراً إلى البسار

(١) ب : يزع . (٢) ب : وجوز النقي . (٣) ٤ : في الحركات

(٤) ٤ : وبمحررات آخر . (٥) ب : ويمث للمائية .

ليبعد عن الكبد ، وله زائدتان كالأذنين فهما كخزانتين يقبلان النسيم ويُرسلانه إلى القلب بقدر .

والمرارة كيسٌ معلقٌ من الكبد إلى ناحية المعدة تجذب الخلط الغليظ والمرار الأصفر<sup>(١)</sup> فينقى الكبد عن الفضول ويسخّنها ، ولولا أن المرارة تجذب المرّة الصفراء لسرت إلى البدن مع الدم فتولد منها البرقان الأصفر فهي تجذبه وتغذف منه جزءا إلى المعى فينسل ما فيها من الأنفال بلذعه وتحريكه لها ، وجزءا إلى المعدة ليعينها بحرارته على الهضم .

وجميع عظام البدن بعدد أيام السنة يظهر منها للحسن مائتان وخمسة وستون والباقية صغار تسمى السمسمائية .

وقد روى مسلم في أفرادهِ من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خلق كلُّ إنسان من بنى آدم على ستين وثلاث مائة مفصل ، فنكبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظاما ، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدّد تلك الستين والثلاثمائة ، فإنه يمضى حينئذ وقد زحّزح نفسه عن النار<sup>(٢)</sup> » .

وعصل البدن خمسمائة وتسع وعشرون عضلة .

والمرارة بيت الصفراء والرئة بيت البَلغم والطحال بيت السوداء والمثانة بيت البرودة والكلى بيت الشهوة والقلب بيت النفس .

وفي بعض هذا ما يحرك الفكر<sup>(٣)</sup> فيوجب العلم بمظنة الخلق سبحانه فيبحث على امثال أمره واجتناب نواهيه .

وقد كان بعض العلماء في مرّكب فهاج<sup>(٤)</sup> البحر فأخرج كتاب التشريح ونشره نحو السماء كالاستفيع به ، فأنكر قوم ذلك فقال بعض العلماء : كأن يقول : يا من هذا من آثار حكيمته وصنمته اكشف عنا !

(١) : الأصفرى . (٢) صحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٥٤ . (٣) : التفكير .

(٤) : قنار .

### الكلام على السورة

لا تَرْقُدَنَّ لَيْلِنِكَ النَّهْرُ      وانظر إلى ما نضع اليَدَ (١)  
انظر إلى عِبرِ مَصْرَفَةٍ      مادام يمكن طَرَفَكَ النَظْرُ  
مازِلْتَ تَسْعُ أَوْ تَرَى عِبرًا      إِنْ آيُحْنُكَ السَّحْبُ وَالْبَصْرُ  
فَإِذَا جَهَلْتَ وَلَمْ تَعُدْ أَحَدًا      فَسَلِ الزَّمَانَ فَمَنْدَهُ الْخَبْرُ  
وَإِذَا نَظَرْتَ تَرِيدُ مُتَعَبًا      فَانظر إِلَيْكَ فَيَكُ مُتَعَبُ  
أَنْتَ الَّذِي تُنْمَى وَتَصْبَحُ فِي الْإِ      دُنْيَا وَكُلْ أُمُورَهُ غَرُ  
أَنْتَ لِلْمَصْرَفِ كَأَنَّ فِي صِرَ      ثُمَّ اسْتَغْلِ بِشَخِصِهِ الْكِبَرُ  
أَنْتَ الَّذِي تَنْهَاهُ خَلْقُهُ      بَنَاهُ مِنْهُ الشَّعْرُ وَالْبَشْرُ  
أَنْتَ الَّذِي تُعْطَى وَتُسَلَبُ لَا      يُنْجِيهِ مَنْ أَنْ يُسَلَبَ الْحَذْرُ  
أَنْتَ الَّذِي لَا شَيْءَ مِنْهُ لَهُ      وَأَحَقُّ مِنْكَ بِمَلَائِكَةِ التَّحْدَرُ  
وَالْحَادِثَاتِ صُرُوفَهَا عَجَبُ      وَالْعِيشِ فِيهِ الصَّفْوُ وَالْكَدْرُ  
يَبْنِي بَنُو الدُّنْيَا عِمَارَتَهَا      وَلِيَخْرَبَنَّ جَمِيعُ مَا عَمَرُوا  
عَجَبًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَنْ عِبَرِ الدِّ      نِيَا وَكَيْفَ تَعْرِفُ الْفَيْرُ  
مازِلْتَ مَذْصُورَتَ فِي سَرِّ      وَسَتَنْقُضِي وَسَيَنْقُضِي السَّفَرُ  
يَا مَنْ يُؤْمَلُ أَنْتَ مُتَظَرُّ      أَمَلًا يَطُولُ وَلَسْتَ تَنْتَظَرُ  
مَاذَا تَقُولُ وَأَنْتَ فِي غُصَصِ      مَاذَا تَقُولُ وَأَنْتَ مُحْتَضَرُ  
مَاذَا تَقُولُ وَقَدْ وَضِعَتْ عَلَى      ظَهْرِ السَّرِيرِ وَأَنْتَ تُبَقِّدَرُ  
مَاذَا تَقُولُ وَأَنْتَ فِي جَدَثِ      مَاذَا تَقُولُ وَفَوْقَكَ الدَّرُ

ماذا تقول وقد لحقت بما<sup>(١)</sup> يجري عليه الرِّيحُ والمَطَرُ  
نَبْئِي البقاءَ ولا بقاءَ لنا تتعاور الرِّوَاحَاتُ والبَكَرُ  
كم قد غَفَتَ عَيْنُهَا أَثَرُ دَرَسَتْ وَبَدَّرَسَ بَعْدَهَا الْأَثَرُ

\*\*\*

الدنيا مذهب فاقنع باليسير ، وليكن همك في الرحيل والسير ، كم من جامع لها  
فرقتة ومن يحب لها أهلكتة ومزقتة ، من قنع بالثُلثة فيها سلم ، ومن أكثر منها  
أسف ونديم .

عليك بتقوى الله واقنع برزقه فغير عباد الله من هو قانع  
ولا تهلك<sup>(٢)</sup> الدنيا ولا طمع لها فقد هلك الغرور فيها للطامع  
صبراً على نوبات ما ناب واعترف فا يستوى حرٌّ صبورٌ وجازع<sup>(٣)</sup>  
أعاذل ما يغنى الزراه عن الفتى إذا حشرجت بالنفس منه الأضالع  
مر أبو حازم رحمه الله عليه بمزار فقال : يا أبا حازم خذ من هذا اللحم . قال : ليس  
معي درهم . قال : أنا أنظرك . قال : أنا أنظر نفسي .

وقال بكر بن عبد الله : يكفيك من الدنيا ما قنعت به .

كان ابن السَّكَّ رحمه الله يقول :

إني أرى من له قنوعٌ يَسُدُّ من نال ما تمى  
والرزقُ يأتي بلا عناء وربما فلت من تمنى

كان وهب بن منبه يعطاه الخراساني ويقول له : ألم أخبر أنك تأتي للوك وتحمل  
عليك إليهم ؟ باعطاء ارض بالدون من الدنيا مع الحكمة ولا ترخص بالدون من الحكمة مع  
الدنيا ، ويحك باعطاء . إن كان يُعْطِيكَ ما يَكْفِيكَ فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك ، وإن

(١) بمن . (٢) كذا بالأصل . (٣) الأمل : مجازع .



كان لا يُنْصِفُكَ ما يكْفِيكَ فليس من الدنيا شيء يكْفِيكَ .

نَصِفَ الْقُنُوعَ وَأَيْنَا بَقْنَعُ أَوْ أَيْنَا بَرَضَى بِمَا يَجْمَعُ  
لَهُ دَرَّ ذَوَى الْقَنَاعَةِ مَا أَصْنَى مَعَانِهِمْ وَمَا أَوْسَعُ  
مَنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُلْذَّ وَأَنْ تُهْدَى جَوَارِحُهُ فَمَا يَطْمَعُ  
قَقَرِ النُّفُوسِ بِقَدْرِ حَاجَتِهَا وَغِنَى النُّفُوسِ بِقَدْرِ مَا تَقْنَعُ

عَرَى أَوْسَى رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ حَتَّى حَلَسَ فِي قَوْمِ صِرَّةٍ . وَقَدِمَ بَشَرُ الْحَاقِي مِنْ عِبَادَانِ  
لَيْلًا وَهُوَ مُتَزَرٍّ بِمَحْصِرٍ . وَكَانَ أَبُو مَعَاوِيَةَ الْأَسْوَدُ يَلْتَقِطُ انْخِرَاقَ مِنَ الْمَزَابِلِ وَيَسْلُهَا وَيُلْفِقُهَا  
فَيَقَالُ لَهُ : إِنَّكَ تُكْسِي خَيْرًا مِنْ هَذَا فَيَقُولُ : مَا ضَرَّهُمْ مَا أَصَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا جَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى  
لَهُمُ بِالْجَنَّةِ كُلَّ مُصِيبَةٍ<sup>(١)</sup> .

وَأَتَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَمَ بَسْتِينَ أَلْفًا فَرَدَّهَا وَقَالَ : كَرِهْتُ أَنْ أُحْمِيَ اسْمِي مِنْ  
دِيَوَانِ الْفُقَرَاءِ .

\*\*\*

رَأَتْ عُدَّتِي فَاسْتَرَأَتْ<sup>(٢)</sup> رَحِيلِي سَبِيلَكَ إِنْ سَوَاهَا سَبِيلِي  
رَجَّيْتُ قُفُولِي لَهَا فِي الثَّوِيِّ<sup>(٣)</sup> لَمَلَّ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ الْقُفُولِ  
تَقَدَّرَتْ بِي صَغَبُ الْمَرَامِ وَاسْتَجَلْتُ لِي غَيْرَ الْجَلِيلِ  
سَافَتِي<sup>(٤)</sup> الصَّافِ وَأَرْضَى الْكَفَافَ وَلَيْسَ غِنَى النَّفْسِ جَوْرُ الْخَلِيلِ  
وَلَا أَنْصَدِي لِدَحِ الْجَوَادِ وَلَا أَسْتَعِدُّ لِدَحِ الْبَخِيلِ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ ثِيَابَ الرِّجَاءِ تُحِلُّ الْعَزِيزَ حُلَّ الْقَلِيلِ  
وَأَنْ لَيْسَ مُسْتَفْنِيَا بِالكَثِيرِ مِنْ لَيْسَ مُسْتَفْنِيَا بِالْقَلِيلِ

\*\*\*

(١) يُلْبِسُ مِنْهُمْ جِلْدَ النُّفُوسِ عَلَى وَجْهِهَا ، فَهِيَ دَعْوَةٌ إِلَى الزُّهْدِ فِي الْمَرَامِ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَتَّخِذَ ذُرْمَةً  
لِإِثْمِ الْطِّيَابِ . (٢) اسْتَرَأَتْ : اسْتَبْطَأَتْ . (٣) الثَّوِيُّ : مَكَانُ الثَّرَاءِ وَهُوَ الْإِثَامَةُ .  
(٤) أَفْنَى : أَخْطَأَ وَالزَّمَّ .

كتب حكيم إلى أخ له : أما بعد فاجعل القنوع ذخراً ولا تعجل على ثمرة لم تُدرك ، فإنك تدركها في أوانها عذبة ، والدبر لك أعلم بالوقت الذي يصلح للتوكل فتق بغيرته لك في أمورك كلها .

أخبرنا محمد بن عمر الفقيه بسنده عن يحيى بن عروة بن أذينة قال : لما أتى أبي وجماعة من الشعراء هشام بن عبد الملك فأنشدوه فلما عرف أبي قال : ألت القائل :  
لقد علمتُ وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني  
أسى له فيعني تطلبه ولو قدمتُ أناني لا يُمتني  
فهلّا جلست في بيتك حتى يأتيك ؟ فسكت أبي ولم يجبه فلما خرجوا من عنده جلس أبي على راحلته حتى أتى المدينة وأمر هشام بمجوازم فقدم أبي فسأل عنه فلما خبر بانصرافه قال : لا جرم والله كيملن أن ذلك سيأتيه . ثم أهدى له ما أعطى واحداً من أصحابه وكتب له فريضتين .

إذا ضنّ من ترجو عليك بنعمه فدعه فإن الرزق في الأرض واسع  
ومن كانت الدنيا مناه ومعه سباه المني واستعبده المطامع  
ومن عقل استحي وأكرم نفسه ومن قنع استغنى فهل أنت قانع

الكلام على قوله تعالى

« ثم إنكم بعد ذلك لميتون »

يامن هو على محبة الدنيا متّهاك ، أما علمت أنك عن قليل هالك ، أما تيقنت أن الدنيا محبوب تارك ، ثم لست لها بعد العلم بها بتارك ، قدّر أنك ملكك الممالك ، أما الأخير بكّيك من أهلك ومالك ، هذا حسام الموت مسلول ، ليس بكال ولا مفلول ، وكل دم أرافه مفلول ، أذلّ والله أصعب الحمس<sup>(١)</sup> وفكّ قبرا بالأسود الشمس<sup>(٢)</sup> ، وفلّ

(١) الحمس : جمع أحس وهو الشديد الصلب في القتال . (٢) الشمس : جمع أشمس وهو القوى الشديد .

السيفَ ولم يُقَلَّ بالثرس ، وساوى في القبر بين الزنج والفرس ، وأعاد القصحاء تحت  
البلاء كالخرس ، وعما بالفرح أثر الفرح بالثرس :

يَفْدُو ابْنُ آدَمَ للعاشِ فيا قاه الحِثَامُ بأضيقِ الطرقِ  
لا يَهْجِنَ بِمُلْكِكَ مِلْكَ قَالِدَرِ غَايَتُهُ إِلَى الْمَحْقِ

أَيْنَ الْوَالِدُونَ وما ولدوا ، أَيْنَ الْجَارُونَ وأَيْنَ ما قصدوا ، أَيْنَ أَرْبَابُ الْعَامَى على  
ماذا وردوا ، أَمَا جَنُوا ثَمَرَاتِ مَا جَنُوا وَحَصَدُوا ، أَمَا قَدِمُوا على أَعْمَالِهِمْ في مَا لَهُمْ  
وَوَقَدُوا ، أَمَا خَلَوْا في ظِلِّاتِ الْقُبُورِ ؟ بَكَوْا وَاللهِ وانفردوا ، أَمَا ذَلُّوا وَقَلُّوا بعدَ أَنْ عَتَوْا  
وَمَرَدُوا ، أَمَا طَلَبُوا زَادًا يَكْفِي في طَرِيقِهِمْ فَتَقَدُّوا ، أَمَا حَلَّ لِلَوْتِ فَحَلَّ عَقْدُ مَا عَقَدُوا ،  
عَابَتُوا وَاللهِ كُلَّ مَا قَدَّمُوا وَوَجَدُوا ، فَهَنِمَ أَقْوَامٌ شَقُوا وَأَقْوَامٌ سَعَدُوا :

لا وَالِدٌ خَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ كُلُّ جَلِيدٍ يَحْتُونُهُ الْجَلَدُ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ لَمْ يَسْكُنُوا الدُّرَّ وَلَمْ يَحْيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ  
وَلَمْ يَكُونُوا إِلَّا كَهَيْئَتِهِمْ لَمْ يُولَدُوا قَبْلَهَا وَلَمْ يَلِدُوا  
[يَا مَنْ نَعَى مِنْ مَضَى كَذَاكَ غَدًا نَعَى ، فَبَاذِرْ قَدْ أَتَاكَ غَدٌ<sup>(٢)</sup>  
يَا نَاسِيَ الْمَوْتِ وَهُوَ يَذْكُرُهُ مَالِكٌ<sup>(٣)</sup> بِالْمَوْتِ إِذَا أَتَاكَ يَدُ  
حَارِكٍ حَارٌّ يَمُوتُ سَاكِنُهَا حَارِكٌ يُبْلِي جَدِيدَهَا الْأَبَدُ  
تَبْكِي عَلَى مَنْ مَضَى وَأَنْتَ غَدًا يَوْمَ لَكَ الْمَوْتُ فِي الْغَى وَرَدُّوا  
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَاذَا يَرِيدُ بِكَ الْـ مَوْتُ لِأَبْكِي جُفُونَكَ الشُّهْدُ

\*\*\*

أَيْنَ الْغَى مَلِكُوا وَنَالُوا ؟ زَالُوا ، وَسَتَثُولُ إِلَى مَا إِلَيْهِ آلُوا ، هَذَا مَضِيرُنَا يَا مَعَاشِرَ

(١) الأبيات لأبي أنصامية انظر ديوانه ص ٨٥ . (٢) لم يرد هذا البيت في الديوان .

(٣) الديوان : هل لك بالموء إن أباك . .

الفاقلين ، والحدود بيوتنا بعد الترف واللين ، والقيامة تجمعنا ونُنصَّب الموازين ، والأهوال عظيمة فأين المتفكر الحزين « إنما تُوعدون لآتٍ وما أنتم بمُعْجِزين » .

يارهين الآفات والمصائب ، ياأسير الطارقات النوائب ، إياك وإيا الآمال الكواذب ، فالدنيا دارٌ ولكن ليست بصاحب ، أما أرتك في قلبها العجائب فيمن مَشَى في المشارق والمغارب ، ثم أرتك فيك شَيْب النوائب ، إن سبهم الموت لَصَوائب ، لا يردها محارب ولا يفوتها هارب ، تدب إلينا ديب العقارب ، بيننا نسمع صوت مِزْهَر صارصوت نادب ، ياأسير حب الدنيا إن قَتَلْتَكِ مَنْ تَطالِب ، كأنك بك قدبْتِ فرحاً مسرورا فأصبحت ترحاً مَثُورا ، وترك مالك لنفرك موفورا ، وخرج من يدك فصار للكل سُورى ، وعابَتْ ما فلت في الكتاب مسطورا ، وعلت أنك كنت في الهوى مغرورا ، واستعالت صبا الصبا فعدت دَبُورا ، وأسكنت لحداً تصير فيه مأسورا ، ونزلت جدنا خَرِباً إذ تركت قصراً معمورا ، ودخلت في خبر كان « وكان أمر الله قدراً مقدورا » .

وما هذه الدنيا بدار إقامة فيحزن فيها القاطنُ المترحلُ  
هى الدار إلا أنها كغاية أناخ بهار كب وركب تحمّلوا  
وإنا لمن مرّ الجديدين فى الوغى إذا مرّ منها جحفل كرج جحفل  
تجرّد نصلاً وخللائق مفصل وتنبض سهماً والبرية مقتل  
وما خلفنا منها مقرّ هارب فكيف لمن رام النجاة التخيل  
وكل وإن طال الثواء مصيره إلى مؤزٍ ما عنه للخلق مدل

الموت مُسرّع مجده غير راث ، والأموال عن قليل تَمْضى للوارث ، وكأنك بوقوع الحادثات وحصاد الحارث ، ياطويل الأمل هل قلبك لابت ، لاتسمع الخال فلت بما كاث ، يامطالبا بالجد وهو لالعاب عابث ، يامعاهدا باللسان والزم ناكث ، يامن أعماله إذا فنّشت خباثت ، صرّح الشيب وطال ما تجمّج<sup>(١)</sup> ووضّح فجوه وما كان قد تبلّج ، أوضح طريق

(١) جمجج فى خبره : لم يبينه .

الحذر وبين المنهج، أين الشباب؟ رَحَل مُسرعا ومُهَلِّج<sup>(١)</sup>، إنَّ نار الفراق في القلب تنأجج،  
إن فؤاد التفكير يكاد أن ينضج، هذه خيول الرحيل قد أقيمت تُسرج، والشكوك  
قد أزيلت والحق أبانج، هذا وأنت بالمعاصي مُمرى وتأنج، لك كأس من المنون  
صِرْف لا يُمزج، يامن هو في الكفن عن قليل مُدرج، باللباس حلة من البلاء لم تُنسج،  
يامن بضاعته إذا نُقدت كلها بهرج، بالسالك طريق الهدى عَوسج<sup>(٢)</sup>، كيف الطمع  
في المرتجى والباب مُرتج، يامن ضيّت الذنوب خِناقَه أين الخرج، يا عظيم فُتْرِك في القبر  
من منك أحوج، ما هذا التروور أئى مطمئن لم يُزعج:

أخْلَقَ الدهرُ الشبابَ الحسنَا ما أظنَّ الوقتَ إلّا قد دَنَا  
قد قطعْنَا في التصابي بُرْهَةً وجوزْنَا في الذنوب الرَسَنَا  
وركبنا غَيْبًا جِهْلًا به فوجدناه علينا لانا  
وشرينا الدُّونَ بالدَّينِ فإ عذْر من قد باع بيمًا غَيْبًا

لقد بان السبيل ولاح المنهج، فإ للقلب عن الهدى قد عرج، أما يُزججك الترهيب؟  
أما يُشوقك التريغيب؟ إلام تروغ عن النصح روغان الذَّيْب، وتلفت إلى أحاديث إلى  
الأكاذيب قف على باب « وإن كُنَّا غُلَامَيْنِ » لتسمع: « لا تُتْرِب »، من التوفيق  
رَفَضَ التَّوَانِي، ومن الخذلان مسامرة الأُمَانِي.

إخواني: نَدِيركم قد صدق، والمجاهد قد سبق، وقد مضى نهارُ المروءة وبقي الشَّقَق،  
وآخر جرعة اللذة شَرَق، وصاحب الدنيا منها على فرق. رب غُصْن ناضر كُسر  
إذا سبق، رب زرع قامت سوقه رماه الفُرق. أين الرقيق ساقه سَوَاق مارق، هذا  
وكلمك يدرى أين انطلق، أما رأيتم مضجعه في القبر بالحدق، واهجبا قلب المتفكر كيف  
ما احترق، أما شاهدتموه وقد تقطعت منه العُلُق<sup>(٣)</sup>، وتَمَصَّص بد عُرْيهِ جلابِب الخُوف

(١) مهلج: أسرع في جريه. (٢) العوسج: الموج.

(٣) العلق: جم علقه وهي ما يتسلق به.

والفرق ، وخرس لسانه وقد طال ما نطق :

فما تَزَوَّدَ بما كان يَجْمَعُهُ إِلَّا حُنُوطًا غَدَاةَ الْبَيْتِ فِي خِرْقٍ  
وغير نفخة أَعْوَادٍ<sup>(١)</sup> يَسْبُ لَهُ وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادِ السُّنْطِيقِ  
أيها المتبطلون وهم نائمون ، أتبنون مالا تَسْكُنُونَ وتجمعون مالا تأكلون ، كونوا  
كيف شئتم فستنفلون « ثم إنكم بعد ذلك لमितون » . يامقيمين سترحلون ، يامستقرين  
ما تتركون ، ياغاقلين عن الرحيل ستظعنون ، أراكم متوطينين تأمنون للنون « ثم إنكم  
بعد ذلك لमितون » .

طول نهاركم تلعبون وطول ليلكم ترقدون ، والفرائض ما تؤدون ، وقد رضيتُم عن  
الغالي بالدُّون ، لا تفعلوا ما تفعلون « ثم إنكم بعد ذلك لَـمِيتُونَ » أما الأموال فتجمعون  
والحق فيها ما تخزجون ، وأما الصلاة فتضييئون وإذا صليتم تنفرون . أترى هذا إلى كم  
يكون « ثم إنكم بعد ذلك لَـمِيتُونَ » أين العتاة المتعجبون ، أين الفراعنة للسلطون ،  
أين أهل الخيلاء المتكبرون ، قدروا أنكم صيرتم كهم أما تسمعون ، « ثم إنكم  
بعد ذلك لَـمِيتُونَ » ما نفعتم الحصون ولا ردُّ المال للصُّون ، هبَّت زَعَزَعُ الموت فكسرت  
النصون ، قدروا أنكم تزيدون عليهم ولا تنقصون « ثم إنكم بعد ذلك لَـمِيتُونَ » قلبوا  
من اللذات في فنون ، وأخرجهم البطر إلى الجنون ، فأنام مام عنه غافلون « كم تركوا  
من جنات وعيون « ثم إنكم بعد ذلك لَـمِيتُونَ » .

لو حصل لكم كلُّ ما تحبون ونما جميع ما تؤتون ، ونلتم من الأمانى ما تشتهون ،  
أينفعكم حين ترحلون ؟ « ثم إنكم بعد ذلك لَـمِيتُونَ » . إلى متى وحقى متى تُنصحون  
وأنتم تكسبون الخطايا وتجرحون ، أأمنتم وأنتم تَسْرَحُونَ ذَنْبَ هَلَاكٍ فلا تبرحون . « ثم  
إنكم بعد ذلك لَـمِيتُونَ »

لا تفرحوا بمنا فرحون فإنه لنبركم حين تُفرحون ، وإياكم مَنْ يراكم مِنْ  
بِرَاكم تفرحون ، قد خسرتم إلى الآن فاتربحون « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » .  
ويحكم الدنيا دار ابتلاء وفُتُون ، وقد زجركم عنها المُفتون ، وكم رأيتم  
من هالكٍ بها مفتون وكانكم بكم قد حُلِم على المُتون ، كم أدلكم على النظافة  
وتختارون الأمن .

## المجلس الثاني

### في ذكر السموات وما فيها

الحمد لله الذي رفع السموات مزينة بزينة النجوم ، ومثبت الأرض بجمال في أقاصي  
الثخوم ، عالم الأشياء بعلم واحد وإن تعدد العلوم ، ومقدر الحبوب والمكروه والحمود  
والمذموم ، لا ينفع مع منته سعى فكم يجتهد محروم ، ولا يضر مع إعطائه عجز فكم  
عاجز وافر المقسوم ، اطلع على بواطن الأسرار وعلم خفايا المكتوم ، وسمع صوت  
للبريض المذنب المحروم ، وأبصر وقع القطر في سحاب مكروم « وما نزل إلا بقدر معلوم » .  
جل أن تحيط به الأفكار أو تتخيله الوهم ، وتكلم فكلامه مسموع مقروء  
مرقوم<sup>(١)</sup> ، وقضى قضاؤه إذا شاء إنفاذه محتوم ، ويتقديره مصيبة العاصي وعصمة  
المعصوم ، « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » .

قضى على الأحياء بالماات ، فإذا بلغت الحلوم فات المقصود المرام وعز المطالب  
المروم ، وقل الآدمي عن جملة الوجود إلى حيز المعلوم وبق أسير أرضه إلى يوم عرضه  
والقدوم ، فإذا حضر حسابه نشر كتابه المحتوم وجوزى على ما حواه المكتوب وجمعه  
المرقوم « وعنت الوجوه للحي القيوم » .

أحمده حدا يتصل ويدوم ، وأشهد أنه خالق الأعيان والرسوم ، وأصلى على رسوله  
محمد صلاة تبليغه على الرؤوم ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق على السائل والمحروم ، وعلى  
عمر المنتصف بين الظالم والمظلوم ، وعلى عثمان التهجذ إذا رقد النؤوم ، وعلى علي الذي  
حاز الشرف والعلوم ، وعلى عه المباس سيد الأعمام على الخصوص والمعموم .

قال الله تعالى : « أنظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج »<sup>(٢)</sup> .

(١) الأصل : موهوم . معرفة . (٢) سورة ق ٦ .



خلق الله عز وجل الماء فثار منه دخان فبنى منه السموات . قال قال أبو القاسم ابن أبي برة : السماء بيضاء لكن من بُدِها تُرى خضراء . وقال الربيع بن أنس : السموات أولها مَوْجٌ مَكْفُوف ، والثانية من صخرة ، والثالثة من حديد ، والرابعة من صُفْرٍ أو نحاس ، والخامسة من فضة ، والسادسة من ذهب ، والسابعة من ياقوتة حمراء <sup>(١)</sup> .  
وقال إياس بن معاوية : السماء على الأرض مثل انقبة .

وقال أبو الحسين ابن المنادي : لا اختلاف بين العلماء أن السماء على مثال الكرة فإنها تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدَوَّرَ الكرة على قُطْبَيْنِ ثابتين غير متحرّكين ، أحدهما في ناحية الشمال والآخر في ناحية الجنوب . وكرة الأرض مبنية في وسط كرة السماء كالنقطة من الدائرة .

وفي حديث العباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة <sup>(٢)</sup> » . وكُنْف كل سماء خمسمائة سنة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلى كما بين السماء والأرض .

قال العلماء : وكذلك الأرضون السبع في كثافتها وبُعد ما بين الواحدة والأخرى فذلك مسيرة أربع عشرة ألف سنة ، سوى ما تحت الأرض من الظلمة والنور وما فوق السموات من الحُجُب والظلمة إلى العرش . وهذا على قَدَرِ مسير الآدمي الضميف فأما للَّك فإنه يَحْرُق ذلك في ساعة واحدة .

وفي حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل لما أَرَمَ خَلْقَهُ فلم يبق غير آدم خلق شمين من نور عرشه ثم أرسل جبريل فأمر جناحه

---

(١) هذه أساطير لا وجه لها من الحق .

(٢) من حديث أخرجه الترمذى في صحيحه كتاب التفسير، سورة الرحمن . قال الترمذى : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

على وجه القمر ثلاث مرات فبعا عنه الضوء وبقي فيه النور<sup>(١)</sup> .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشمس تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها<sup>(٢)</sup> » .

وأصغر النجوم بقدر الدنيا مرات . وفي السماء السابعة البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه . وبعد السماء السابعة سِدْرَةٌ تنتهى إليها ينتهى ما يَمرُج من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها . وبعد هذا الكرسي . قال صلى الله عليه وسلم : « ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلانة » ثم العرش وهو ياقوتة حمراء .



فأما الملائكة ففي أفراد مسلم من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خُلِقَ للملائكة من نور<sup>(٣)</sup> » .

ومن أعظم الملائكة خلقاً حملة العرش وعدم اليوم أربعة أحدهم على صورة البشر قد وكل بالدعاء لنس الآدمي ، والآخر على صورة النسر قد وكل بالدعاء لأجناس الطير ، والآخر على صورة الثور قد وكل بالدعاء للفيل والبهيمة ، والآخر على صورة السبع قد وكل بالدعاء لأجناس السباع ، فإذا جاءت القيامة زيد فيهم أربعة<sup>(٤)</sup> .

أخبرنا عبد الأول بن عيسى ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش

(١) هذا حديث موضوع ذكره الملائكة المصنوعة ٥٦/١ . صحيح البخارى كتاب بدء الخلق .

وسحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٠ . والقصود تصوير خضوعها لأمر الله وجبراتها بقدره .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد حديث رقم ٦٠ .

(٤) هذه إسرأليات تسربت لدى أنفك الملحنين ، وقد ذكر أمية بن أبي الصلت في شعره أن من الملائكة من هو على صورة نور ومنهم من هو على صورة رجل ، وتلك أساطير لا قيمة لها .

ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة<sup>(١)</sup> .

أخبرنا عبد الأول بسنده عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول : سبحانك ما أعظمك ربنا ، قال فبردة عليه ، ما يعلم ذلك الذي يحلف بي كاذباً<sup>(٢)</sup> » .

وقال عبد الله بن سلام : لما خلق الله عز وجل الملائكة واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء فقالوا : ربنا مع من أنت ؟ قال : مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه .



فأما أعمال الملائكة فجهنم مشغول بالتعبد كما قال الله سبحانه وتعالى « يسبحون الليل والنهار لا يفترون<sup>(٣)</sup> » .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن مؤرق ، عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أطأت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد<sup>(٤)</sup> » .

ومن الملائكة موكل بعمل ، فمنهم حملة العرش قد وُكِّلوا بحمله ، وجبريل صاحب الوحي والنفلة فهو ينزل بالوحي ويتولى إهلاك المكذبين ، وميكائيل صاحب الرزق والرحمة وإسرافيل صاحب اللوح والصور ، وعزرائيل قابض الأرواح وله أعوان وهؤلاء الأربعة هم المقسمات أمراً . ومنهم كُتَّاب على بنى آدم وهم المقنَّات ، مَكَنَّان في الليل ومَلَكَنان في النهار .

(١) أخرجه أبو داود . تفسير الوصل ٢/٢٨٠ . (٢) الذي أخرجه الطبراني في الأوسط عن محمد بن العباس والماتني المتشرك : إن الله عز وجل أذن لي أن أحدث عن ذلك الخ وقال الحاكم : صحيح للاستناد . (٣) سورة الأنبياء ٢٠ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٧٣/٥ والترمذي في صحيحه كتاب الزهد باب ٩ وابن ماجه في الزهد باب ١٩ .

أخبرنا هبة الله بن محمد، أنبأنا الحسن بن علي، أنبأنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله ابن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن هَمَّام، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يرجع إليهم الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم : كيف تركتم عبادي ؟ فقالوا تركناهم وهم يصابون وأتيناهم وهم يصلون » .

أخرجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup> .

ومنهم موكَّل بالشمس ، ومنهم موكَّل بالقطر ، والرعْدُ صَوْتُ مَلَكٍ يزجر السحاب ، والبرق ضَرْبُهُ إِيَّاهُ بِمَخَارِقِ<sup>(٢)</sup> . ومنهم موكَّل بالرياح والأشجار . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس من شجرة تخرج إلا معها ملك موكَّل بها .

ومنهم ملائكة سيَّاحون في الأرض يتنبهون بحال الدُّكْرِ ، وملائكة يبْلُغُون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من أمته السلام ، وملائكة موكَّلون بمكة والمدينة ليمنعوا عنها الدجال إذا خرج .

ومن الملائكة من هو مشغول بفرس شجر الجنة .

قال الحسن : إنَّ أحدهم لَيُفْتَرُ فيقال له : مالك ؟ فيقول : فتر صاحبي عن العمل . فكان الحسن يقول : أُمِدُّوهم رحمكم الله .

وقد كتب : إن في الجنة ملكا يصوغ حِلْيَةَ أهل الجنة منذ خُلِقَ إلى أن تقوم الساعة !

أخبرنا محمد بن ناصر عن صفوان بن عمرو قال : سمعت خالد بن معدان يقول :

(١) صحيح البخاري ١٧٢/٢ (ط الأُميرية) وصحيح مسلم كتاب الصلاة ومواضع الساجد ونحوه : « يتعاقبون فيكم ملائكة حديث رقم ٢١٠ » .

إنَّ الله عز وجل ملائكة أربعة يسبحون تحت العرش يسبح بتسبيحهم أهل السموات ،  
يقول الملك الأول : سبحان ذى الْمَلِكِ والمَلَكُوتِ . ويقول الثانى : سبحان ذى الْعِزَّةِ  
والجبروت ، ويقول الثالث : سبحان الحىِّ القى لا يموت .

وقال هارون بن رثاب : حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رَخِيم يقول أربعة :  
سبحانك وبمحمديك على حِلِّك بعد عِلِّك وتقول الأربعة الآخر : سبحانك وبمحمديك على  
عَفْوِكَ بعد قُدْرَتِكَ .

وقال سعيد بن جبير : « أتى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنَّ أهل السماء  
الذين اسجدوا إلى يوم القيامة ، وأهل السماء الثانية ركعوا إلى يوم القيامة ، وأهل السماء  
الثالثة قيام إلى يوم القيامة » . وقد روي أنَّ ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج وهو  
يقول : يا من أَلَفَ بين الثلج والنار فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار ، أَلَفَ بين  
عبادك المؤمنين <sup>(١)</sup> .

### الكلام على البسملة

يُنَا المرء غافل إذ أَنَاه	من يد الموت سالب لا يُبَدِّ
فَتَاهَبَ لِمَا لَهُ كُلُّ نَفْسٍ	عُرْضَةُ الْأَسْرِ إِنَّمَا الْأَمْرُ جِدَّة
خَابَ مِنْ كَانَ هَهُ هَذِهِ الدَّ	نِيَا فَاضَى مِنْ نِيْلَهَا يَسْتَعِدُّ
فَجَنَّاها إِنَّ أَسْعَدَتِ مُسْتَعَار	لَيْسَ مِنْ رَدِّهِ لِمَنْ نَالَ بِدُّ
كَمْ أَذَالَتْ مِنْ أَهْلِهَا وَأَزَالَتْ	ذَا جَلَالٍ مِنْ نِعْمَةٍ لَا تُحَدِّ
بَدَلَتْهُ مِنْ طَيِّبٍ مَقْتَلَهُ قَرَأَ	عَادِمًا مَا حَوَى وَلَمْ يُفْنِ جَدُّ
أَيْنَ مِنْ كَانَ نَاعِمَ الْوَجْهِ أَضْحَى	مَا لَهُ مِنْ نَهَايَةِ الْحَسَنِ حِيَدُ

(١) من حديث طويل موضوع ذكره السيوطي في اللآلئ الممنوعة ١/٦٤ . قال ابن الجوزي : موضوع  
والتمه به مبسرة كذاب وضاع .

قد محاه نراه حين حواه ووهى منعم وكف وزند  
وجفا أنسه أخ كان برا وصديق داني وصحب وجند  
واستوى في البلى رئيس وعمر موسى وأعيان الأشر حر وعبد

\*\*\*

يا غافلا قد طلب ، يا محاميا قد غلب ، يا واثقا قد سلب ، يا حازما قد خلب كأنه به  
قد قلب ، إياك والدنيا فاما الدنيا بأمونة ، وتزود للسفر فلا بد من مؤونة ، إذا قدرت على  
الكمال فلا ترض دونه ، واصدق في أمرك تأتلك المونة ، أين للفرورون بفرورها  
أين للسرورون بسرورها؟ صاح بهم الموت فأجابوا ، واستحضرم البلى فجابوا ، فلتوا بلوغ  
الآمال وتوهموا ، واعتقدوا دوام السلامة فلم يسلوا ، وأعلموا بالرحيل وكأنهم لم يعلموا ؛  
وناولوا أنفسهم أئنة الهوى وسلوا ، كم هتف بهم نذير الفراق فلم يفهموا ، فلما بلغوا  
منتهى الآجال ولم يظلموا ، خلوا في الخلد بما كانوا قدّموا .

ولسنا بأبقى منهم غير أننا أقنا قليلا بصددهم وتقدموا

\*\*\*

أفت لنفس تؤثر ما يصيرها ، ما ترعوى وقدم نظيرها ، ما تصنى إلى المواعظ وقد  
قال نذيرها ، أما نهاها لما علاها قتيورها<sup>(١)</sup> ، أما لاح لبصر البصيرة مصيرها ، أما يرجع  
إلى القول مستشيرها ، أختدر على نفس إن تلتقت تستميرها ؟ قل لهذه النفس الجهولة في فعلها  
ويحها إنما تسمى في قتلها ، أما لها غير من كان قبلها ، كأنها بها تبكى على الأيام كلها ، إذا  
حانت للنية وبشت بعض رسلها ، وعشت يد القاطع بموصل جبلها ، وامتدت كف الأجل  
إلى عرى الأمل تحملها .

تساوى الناس في طرق النايا فاسلم الصريح ولا المهجين  
تدبنا البقاء من اللبالي ومن أرواحنا توفى الديون

كأننا قد شككنا في النكاح وعند جميعنا الخبر اليقين

\*\*\*

إخواني : تأملوا المواقب تأمل من يراقب ، وتفكروا في النهاية فعين العقل ترى  
الغاية ، الموت قريب أمم ، كم أهلك من أمم ، لقد ارتهن الذمم وثبت باللهم ، فيامن  
ستخلق منه الرمم أسمع أم صمم ، من ارتحل بغير الطبع حسن وحزم ، من علم شرف  
المطلوب جد وعزم ، إنما يكون الاجتهاد على قدر الهم ، إنما ينافس في المطلوب على  
حسب القيم :

و قد مُنيتَ بقرنٍ منه غلابٍ	و حبُّ دنياك طبع في للقيم بها
رددت قدرى إلى صبرى فأغلى بي	لما رأيت سجالا الدهر ترخصى <sup>(١)</sup>
فأطعير إلى الآفات جذاب	والمقل يسمى لنفسى في مصالحها
وإن لقوك ببجيل وترحاب	احذر من الناس أديانهم وأبدم
لأن عيى عند القوم لعراي	كلمت باللعن أهل اللعن أونسهم
إذلت أرضى لأراي بأراب <sup>(٢)</sup>	عند الفراق أسراي مخبأة

\*\*\*

أيها الشاب تدبر أمرك فإنك في زمن الربح ووقت البذر وإبان الفضائل ، احذر أن  
يخدعك الملو عن نفيس هذا الجوهر فتنته بكف التبذير ، نافه لئن فلت لتغرسن بذلك  
شجرة الندامة فيساقط عليك من كل قن<sup>(٣)</sup> منها فن حرة . واعرف قدر ما تؤمن به  
هذا الجوهر من الفضائل ، واحذر من اختلاس الملو له ، فصاير فكان قد  
انقضى للرسم .

(١) ترخصى : تمنى وتبقى . (٢) الفراق جمع فرقة وهو التجمد القى يهتدى به . وآراب الأول :  
جمع لوب وهو الحاجة وآراب الثانية جمع لوب أيضاً وهو العقل .  
(٣) القن : النمن .

واعلم أن الشيطان يُرَا صَدِّكَ لِيَفْتَنَكَ وَقُوَّةُ الطَّبْعِ لَهُ عَلَيْكَ، وَالشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجَنُونِ، فَاكْسر عَادِيَةَ الْهَوَى بِوَهْنِ أَسْبَابِهِ .

وَقَالَ أَبُو مُوسَى : طَوْبُ لِمَنْ وَفَّى شَرَّ شَبَابِهِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ عِيَّاشٍ : وَدِدْتُ أَنَّهُ صُنِّحَ لِي عَمَّا كَانَ فِي الشَّبَابِ وَأَنْ يَدَى قُطِعَتْ !

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ جِهَادُ الشَّبَابِ وَمُخَالَفَةُ الطَّبْعِ صَعْبًا صَارَ الشَّبَابُ التَّائِبُ حَبِيبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

إِخْوَانِي : مَنْ رَأَى التَّنَاهِي فِي الْمُبَادِي سَلِمَ ، وَمَنْ لَمْ يَرِ الْمَوَاقِبَ شَغَلَهُ مَا هُوَ فِيهِ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ .

يَا هَذَا : أَمَّا مَا قَدْ مَضَى مِنْ ذُنُوبِكَ فَلَيْسَ فِيهِ حِيلَةٌ إِلَّا التَّدَارُكُ ، فَرُبَّ مُدْرِكٍ لَمَّا قَاتَ ، الْأَسَى الْأَمْسَى . وَأَنَا أَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا لَتَحْزَنَ فَيَا بَدَّ جَنْسَ مَا كَانَ قَبْلَ : إِذَا رَأَيْتَ الْحُلُوهَ لِحُمُومٍ اعْتَرَكَ الْهَوَى وَالْعَقْلُ فَالْهَوَى يَنْظُرُ إِلَى الْعَاجِلِ وَالْعَقْلُ يَتَلَمَّحُ الْمَوَاقِبَ ، فَإِنْ آتَتْ مَشُورَةُ الْعَقْلِ مَنَعَ نَفْسَهُ عَمَّا نَشْتَهِي نَظَرًا إِلَى مَا إِلَيْهِ الصَّبْرُ يَنْتَهِي ، فَإِذَا زَالَتْ حُجَّاهُ تَنَاوَلَ مِنْ غَيْرِ أَدَى مَا اشْتَهَاهُ ، وَإِنْ اجْتَذَبَهُ رَائِقُ الْمَشْتَهَى فَأَنَاهُ الْمُنْتَهَى تَمَتَّعَ بِسِرِّهَا بِيَلُوغِ الْفُرْضِ فَزَادَ بِهِ ذَلِكَ لِلرُّضِ ، وَرَبَّمَا تَرَقَّى إِلَى اللَّوْتِ وَلَا تَدَارُكُ بَدَّ الْقَوْتِ . فَيَا عَجِيبًا لِمُخْتَارِ الْعَاجِلِ وَهُوَ يَعْلَمُ نَدَمَهُ فِي الْآجِلِ ، لَقَدْ ضَيَّعَ مَوْهَبَةَ الْعَقْلِ الَّذِي بِهِ شَرَفَ الْآدَمِيِّ ، وَزَاغَ الْبَهَائِمُ فِي مَقَامِ النَّظَرِ إِلَى الْحَاضِرِ .



## الكلام على قوله تعالى

« وترى كل أمة جاثية »

الجاثية : الجالسة على الرُّكْب . والمعنى أنها غير مطمئنة ، والأقدام يوم القيامة مثل التَّئُّبِل في الجعبة ، والسعيد من يجد تقديمه موصفا .

قوله تعالى « كل أمة تدعى إلى كتابها » فيقولان : أحدهما : كتاب حسناتها وسيئاتها . رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : كتابها الذي أنزل على رسولها . ذكره للماوردي .

قال ابن مسعود : الأرض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها يرون أكوابها وكوابها ، ويُعْرِق الرجل حتى يرشح عرقه في الأرض قائمة ثم يرفع إلى أفقه وما مسه الحساب بمد . قالوا : وممّ ذاك ؟ قال : بما يرى الناس يُصنع بهم . قيل له : فأين المؤمنون ؟ قال : على كراسي قد غُلِّلَ عليهم بالنعام ما طول ذلك اليوم عليهم إلا كساعة من شهر .

\*\*\*

يا من قد ملأ كتابه بالتبجح وهو عن قليل رهن الضريح ، ألا تحو قُبْح ما سَطَّرت ، هلا تدبرت ما تُمْنَلَى ونظرت ، لقد سوّدت الكتاب بالزلل ، وأكثرت ما دَخَلَ المنطق الدَّخْل ، وحَتَّام وإلام ؟ أبقى شيء بعد وَهْن العظام ؟

يا دائماً على هجره وإعراضه ، يا ساعياً في هواه وأغراضه ، يا من قد أخذ بنائه جسمه في انتقاضه ، عليل الخطايا لا يزال في إمراضه ، هذا عسكر المات قد دنا بارتكاضه ، هذا يَرْتَقِ الباب قد لَجَّ بإعراضه ، كيف قدر جَفَن العاصي على إغاضه ، كيف ينسى ما قد مات قديماً من أبغاضه ، لو سمع صخرُ الفلاة لومه كَأَوْذاق الألم من إمتغاضه ، لمادت

جَلَامِيدُ الْفَلَا كَرَضَرَاهُ <sup>(١)</sup> ، يامن يعلم غلط عُدْرَه وَوَجِهَ إِدْحَاضَه ، يَاسَاعِيَا إِلَى مَا يُوْذِي بِرَكَاهُ ، يَاهَا جَرَا نَصِيحَه لَيْتَه أَبْضَ قِيحَه كَابْضَاهُ ، اسْتَقْرَضَ الْمَالِكُ بَعْضَ مَالِكٍ وَتَقَدَّ عَنْ إِقْرَاضَه ، لَقَدْ أُنْذِرْكَ سَهْمُ الرَّدَى وَقَوَّعَه قَبْلَ إِنْبَاضِهِ <sup>(٢)</sup> ، فَأَحَدٌ حَدٌّ حَدِيدَتِهِ وَأَسَنَّهُ <sup>(٣)</sup> بِمَقْرَاضِهِ :

يَادِرْ بِمَعْرُوفِكَ آفَاتِهِ فَبِفَنِيَةِ الدُّنْيَا عَلَى الْقُلَمَةِ <sup>(٤)</sup>  
وَاذْرَعْ زُرُوعًا يُرْتَفَى رِيحُهَا يَوْمًا فَكُلْ حَاصِدُ زَرْعِهِ



أَفْ لَعِيشَ آخِرِهِ النَّدَامَةُ ، أَوْ مِنْ سَفَرٍ نَهَاتِهِ بِدَايَةِ الْقِيَامَةِ .

إِخْوَانِي : هَذَا نَذِيرُ الْمَوْتِ قَدْ غَدَا يَقُولُ : الرَّحِيلُ غَدَا ، كَأَنْكُمْ وَاللَّهِ وَالْأَمْرُ مَعَا ، طُوبَى لِمَنْ سَمِعَ فَوَعَى ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا صَاحَ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ بِالصُّورِ ، فَخَرَجْتَ تَسْعَى مِنْ تَحْتِ الْمَدَرِّ ، وَقَدْ رُجَّتِ الْأَرْضُ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ ، وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ لَتِلْكَ الْأَهْوَالِ ، وَطَارَتِ الصَّعَائِفُ فَصَلِقَ انْخِاثُ وَشَابِ الصَّفَارِ ، وَبَانَ الصَّغَارُ ، وَزَفَرَتِ النَّارُ وَأَسَاطَتِ الْأَوْزَارُ ، وَنُصِبَ الصَّرَاطُ وَأَلَمَتِ السَّيَاطُ ، وَحَضَرَ الْحِسَابُ وَقَوِيَ الْعَذَابُ ، وَشَهِدَ الْكِتَابُ وَتَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ ، فَكَمْ مِنْ شَيْخٍ يَقُولُ : وَاشْيَيْتَاهُ ، وَكَمْ مِنْ كَهْلٍ يَنَادِي : وَاخْيَيْتَاهُ ، وَكَمْ مِنْ شَابٍ يَصِيحُ : وَاشْبَاهَاهُ ، بَرَزَتِ النَّارُ فَأَخْرَقَتْ ، وَزَفَرَتِ غَضِبًا فَفَرَّقَتْ ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَكْثَدَةُ وَتَفَرَّقَتْ ، وَقَامَتْ ضَوْضَاءُ الْجُلُلِ ، وَأَحَاطَ بِصَاحِبِهِ الْعَمَلُ ، وَالْأَحْدَاقُ قَدْ سَالَتْ وَالْأَعْنَاقُ قَدْ مَالَتْ ، وَالْأَلْوَانُ قَدْ حَالَتْ ، وَالْمِخْنُ قَدْ تَوَالَتْ ، أَيْنَ عُدَّتْكَ لَتِلْكَ الزَّمَانُ ، أَيْنَ تَصْحِيحُ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ ، أَرْضَى يَوْمَئِذٍ بِالْخُسْرَانِ ؟ أَمَّا تَعْلَمُ أَنْكَ كَأَيِّ تَدِينُ مَدَانِ ؟

(١) الإِمَاضُ : مَصْدَرُ أَمَضَ الْأَمْرَ إِذَا أَحْزَنَهُ . وَاجْلَامِيدُ : جَمْعُ لَمِيدَ وَجَوِ الصَّخْرِ . وَالْفَلَا : الصَّحْرَاءُ . وَالرَّضَرَانُ : الْحَمَى أَوْ مَنَارُهَا .

(٢) الْإِنْبَاضُ : تَحْرِيكُ الْقَوْسِ لِتَطْلُقَ السَّهْمَ . (٣) الْأَصْلُ : وَانْتَه . (٤) الْقَلَمَةُ : الْإِقْتِلَاعُ . قَالَ فِي الْقَامُوسِ : وَمَنْزَلْنَا مَنْزِلَ قَلَمَةٍ : أَيْ لَيْسَ بِمَسْتَوْطِنٍ . أَوْ مَعْنَاهُ : لَا تَلْطِئُكَ أَوْ لَا تَدْرِي مَقَى تَحُولُ عَنْهُ .

كم في كتابك من زَلَل ، كم في علمك من خَلَل ، هذا وقد قَرَّب الأجل ، إى والله أَجَلٌ ،  
كم ضَيَّمت واجبا وفرضا ونقضت عهدا مُحْكَمَا نقضا ، وأتيت حراما صريحا مُحْكَمَا ،  
يا أجسادا صَحَّاحا فيها قلوبٌ مَرَضَى .



عباد الله : أطول الناس حُزْنا فى الدنيا أكثرهم فرحا فى الآخرة ، وأشد الناس  
خوفا فى الدنيا أكثرهم أَمْنًا فى الآخرة . يقول الله عز وجل : « أنا لا أجمع على عبدى  
خوفين ولا أمتنين ، إذا أَمِننى فى الدنيا أَخَفْتُهُ فى الآخرة ، وإذا خَافنى فى الدنيا أَمَنْتُهُ  
فى الآخرة » .

إخوانى : المؤمن يتقلب فى الدنيا على بَجَرَات الحَذَر فى نيران الخوف ، يرهب العاقبة ،  
ويحذر المآقية ، فالنار متمكنة من سويداء قلبه ، إن هو هنا توقفت فى باطنه نارُ الندم ،  
وإن تدكر ذنبا اضطربت نار الحزن ، وإن تفكر فى مُقْبَلِهِ التَّيْبَت نار الحذر ، وإن صفا  
قلبه لمحبة خالقه صار القلب جرة بنار الفرق ، فإذا ورد القيامة عادت ناره نورا يسعى  
بين أيديهم وبأيمانهم ، فإذا جاز على الصراط لم تقاوم نارُ التعذيب نيران التهذيب ،  
فتنادى بلسان الاعتراف بالتفضيل : جُزْ فقد أطفأ نورك لهي !

فإن هو حفر القيامة على زَلَل لم تصدق توبته منه فأوجب ذلك خورده نوره فقد  
خَبَت نارُ حذرهِ فى باطن قلبه ، فإذا لفتته جهنم فأحرقت ظاهره أحتت بأثر شعلة الخوف  
فى باطنه فكفت كنفها عنه . فلو قيل لها أين شدة شِدَّتِكَ وأين حديدة حِدَّتِكَ ل قالت :  
لا مقاومة لى بنيران باطنه وإن قلت :

يُحَرِّقُ بالنار من يحسُّ بها فن هو النار كيف يحترقُ



هذه صفة المؤمن فإين إيمانك هذا لنى الحسنات وقد خسر ميزانك ، شأنك الخطايا

فهلّا قرح شانك<sup>(١)</sup> يامهملا نفسَه سيشهد جلدك ومكانك ، اليقظة اليقظة يانيام ، الحذر الحذر قدسَلَّ الحُسام ، الزهد الزهد قبل النِطَام ، كأنكم بكم في أبواب السَّام تَرومون اخلاص وقد عزَّ الرام ، فيستندمون على ما مضى من الآثام ، وتخرس الألسن وينقطع الكلام .

إخواني: أحضروا القلوب لهذا اللام ، تالله ما أكرم نفسَه من لا يبينها ، ولا يزينها من لا يشينها .

دخل عثمان رضى الله عنه على غلام له يعلف ناقته فرأى في علفها ما كره فأخذ بأذن غلامه فعرَّكها ثم ندم فقال : أفضل بي ما فعلت بك ، فأبى الغلام فلم يدعه حتى فعل فجعل عثمان رضى الله عنه يقول له : شدَّ شد . حتى ظن أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ ثم قال عثمان : واهما نقصاص الدنيا قبل نقصاص الآخرة .

كان القوم تحت حَجَر الحاسبة وكأنك مُطْلَق .

كان ابن السَّماك يقول : ألا منقبه من رقدته ، ألا مستيقظ من غفلته ، ألا مُؤيق من سَكْرته ، ألا خائف من صرَّعته ، أقسم بالله لو رأيت القيامة تحقُّ بزلازل أهوالها وقد علَّت النارُ مُشرقة على أهلها وجيء بالنبيين والشهداء لسرَّك أن يكون لك في ذلك الجمع منزلة وزلفى .

أبدَ الدنيا دار مُمتعل ، أم إلى غير الآخرة مُنتقل ؟ كلا والله لقد صمَّت الأسماع عن للمواعظ وذملت القلوب عن للنافع .

وعظ أعرابي ابنه قال : أي بني إنه من خاف اللوتَ بادر القَوْتُ ، ومن لم يكبح نفسه عن الشهوات أسرعَ به التَّبعات ، والجنة والنار أمامك .

(١) الثَّان : مجرى الفمع في العين .

فيا ليتنى همداً لا أقومُ إذا نهضوا يَنْقُضُونَ اللَّامَ<sup>(١)</sup>  
ونادى المتأدي على غفلة فلم يبق في أذنٍ من صممٍ  
وجاءت صحائفُ قد ضُمَّتْ كباثرِ آثارهم والَّامَ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

(سجع)

يا أسفا للمصاة في مأبها ، إذا قلت لقطع أسبابها ، وغابت في الأسى عند حضور  
عقابها « كلُّ أمة تُدعى إلى كتابها » . قامت الأمم على أقدامها فأقامت تبكي على إقدامها ،  
وسالت عيونٌ من عيون غرامها ندما على آثارها في أيامها واحتقارها « كلُّ أمة تُدعى  
إلى كتابها » .

ظهرت أهوالٌ لا توصف ، وبدت أمور لا تُعرف ، وكُشف حالاتٌ لم تكن تكشف ،  
إن لم تنتبه لهذا فأنت أعرف ، ستعلم من يلوم نفسه عند عقابها « كلُّ أمة تُدعى إلى  
كتابها » قيدت جهنم فبدت بأزمتها ، فبكت النفوسُ على دناءة هممتها ، كم من ديونٍ  
تعلقت بذمتها ، على أنه يكفيها ما بها « كلُّ أمة تدعى إلى كتابها » .

أنت تدري ما في كتابك ، وستبكي والله عند عقابك ، وستعلم حالك يوم حسابك ،  
إذا كلت كلُّ الألسن عن جوابها « كلُّ أمة تُدعى إلى كتابها » . ياله يومٌ لا كالأيام ،  
تيقظ فيه من غفل ونام ، ويحزن كل من فرح في الآثام ويتيقن أن أحلى ما كنت فيه  
أحلام ، واهجبا لضحكك نفس البكاء أولى بها « كلُّ أمة تدعى إلى كتابها » .

كم من نفس ترى بين الإصلاح تفعل الخير في المساء والصباح ، عملت أعمالا ترجوها  
الفلاح ، فلاح لما لم يكن في حسابها « كلُّ أمة تدعى إلى كتابها » .

ذُكر الله نفوساً مرَّ شرابها ، وجعلنا ممن مدَّ باع التوى فباع وشرى بها ، وحفظنا  
إذا حارت النفوس لشدة أوصابها ، ورزقنا قبول موعظته قد أوصى بها « كلُّ أمة تدعى  
إلى كتابها » .

(١) لهم : جمع بالكر ومي : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٢) الهم بفتح اللام : سفار الذنوب .

### المجلس الثالث

#### في ذكر الأرض وعجائبها

الحمد لله القديم في مجده، الكريم في رِفْده، الرحيم في كل خير من عنده، اللطيف في كل حال بعبده، مدَّ الأرض بقدرته والمجبُّ في مدَّه، وزينها بنباتها وألوان ورْدِه، وسقاها كأس القطر بواسطة يَرْقِه ورْعْدِه، وجمع في الفصن الواحد بين الشيء وضدّه، وقوّم الثمار بالماء من حرّ الشمس وبرّده، إلّه خوف بوعبده وشوق بوعده، وقدرّ فاهتدى من هداه وضلّ من لم يهده، وسمع فلم يَعْزب عن سمعه صوت المضطرّ بعد جهده، وأبصر فرأى جريان دم العبد في عِرْقِه وجلده، وعلم ما في باطن سرّه من برّه وحقّه، وعزّمه وحزّمه، وبفضّه وودّه، ونعمه وفكره، وعلمه وقصده، وحِلْمه وحبه وزمّه، ولقّه ونقّضه، وأخذَه وردّه، وقدرّ أعماله في حياته وحالَه في لحدّه، وجعل في الحكمة نسيانَ أهله من بعده، فإن كان صالحاً عَيَّق في قبره نَشْرُ ورْدِه، وإن كان عاصياً خُلّ بقميحه وخطيئه ببعده، فسيحان من لا يعترض العقل على أفعاله بل يقف على حده « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » .

أحمد حمداً لا يقدر الخلاق على عدّه، وأصلّى على رسوله وعبده، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي كان الإسلام مُنْعَلًا لولا قوة شدّه، وعلى عمر وحيد التدبير في السياسة وقوّده، وعلى عثمان قائم الليل والدمع يجرى على خدّه، وعلى عليّ المصلّي مع الرسول قبل بلوغ رُشدّه، وعلى عمه العباس الذي أخذ له البيعة على جنده .

\*\*\*

قال الله تعالى : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون<sup>(١)</sup> » .

قال ابن عباس : خلق الله عز وجل الماء فكان على متن الريح ، وخلق الحوت فوق الماء ثم كبس الأرض عليه فاضطرب النون فادت الأرض ، فأثبتت بالجبال .

وقال السدي عن أشياخه : أخرج الله عز وجل من الماء دخاناً سماً عليه فمياه سماء ، ثم أبليس الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فصالحها سبع أرضين ، فالأرض على حوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاء على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة والحوت في الريح<sup>(١)</sup> قال وهب : واسم الحوت بهموت .

وقال قتادة : عُمران الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ في مثلها ، فالسند والمهند من ذلك اثنا عشر ألف فرسخ في مثلها ، وهم ولدحام ، والصين ثمانية آلاف فرسخ في مثلها وهم ولد يافث . والروم ثلاثة آلاف فرسخ في مثلها ، والعرب ألف فرسخ وهم والروم جميعاً من ولد سام .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ جِلَّتْ تَمِيمَةُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ ، فَتَجَعِبَتِ لِللَّامِكَةِ مِنْ خَلْقِ الْجِبَالِ فَقَالَتْ : يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ الْحَدِيدُ . قَالَتْ : يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ النَّارُ . قَالَتْ : يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدَّ مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : نَعَمْ الْمَاءُ . قَالَتْ : يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدَّ مِنَ الْمَاءِ ؟ قَالَ : نَعَمْ الرِّيحُ . قَالَتْ : يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدَّ مِنَ الرِّيحِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ابْنُ آدَمَ يَتَصَلَّقُ بِيَمِينِهِ يَخْطِئُهَا عَنْ شِمَالِهِ<sup>(٢)</sup> . »

قال العلماء : أول جبل وضع على الأرض جبل أبي قبيس ، وكان أول من بنى فيه رجل يقال له أبو قبيس ، فسمى بذلك . وكان يقال له في الجاهلية الأمين لأن الركن كان

(١) هذه أساطير لا سند لها ولا تحمل الفكر الإسلامي الصحيح الذي يترك الظن والتخمين فيها لا علم له به . وإذا أجبنا مثل هذه الأقاويل في كتبنا فإنما نبعثها على أنها تراث قديم قد يفيد في تلويح العلم في تلك الصور .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٢٤/٣ والترمذي في صحيحه كتاب التفسير .

مستودعاً فيه من زمان الطوفان ، وهو أحد الأخشبين . ومن مشاهير الجبال جبل ثور بمكة ، والصَّحْجُونُ جبل واحد بالمدينة ، وجبل المَرْج بين مكة والمدينة يمتد إلى الشام حتى يتصل بلبنان ثم يتصل بجبال أنطاكية والمصيصة ، فيسمى هنالك اللُكَّام . وفي مرتديب الجبل الذي أهبط عليه آدم وعليه العود والفلفل وفيه دابة السك ، وجبل الروم الذي سدَّ فيه ذو القرنين على يأجوج ومأجوج طوله سبعمائة فرسخ وينتهي إلى البحر المظلم . وقد ذكر قدامة أن الذي وجد في الإقليم الأول من الجبال تسعة عشر ، وفي الإقليم الثاني سبعة وعشرون جبلاً ، وفي الإقليم الثالث أحد وثلاثون ، وفي الرابع أربعة وعشرون ، وفي الخامس تسعة وعشرون ، وفي السادس أربعة وعشرون ، وفي السابع أربعة وعشرون أيضاً . فجميع ما عرف من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلاً . وقد أحصيت المادن كالجص والنورة فوجدوها سبعمائة معدن .

والأقاليم سبعة : فالإقليم الأول : الهند ، والثاني : الحجاز ، والثالث : مصر ، والرابع : بابل ، والخامس : الروم ، والسادس : الترك ويأجوج ومأجوج ، والسابع : الصين . ومقدار كل إقليم سبعمائة فرسخ . والبحر الأعظم محيط بذلك كله يحيط به جبل قاف . وأما الأنهار فمنها النيل والفرات ودجلة وسينجان وجيجان .

وكان قد أوحى الله تعالى إلى دانيال عليه السلام : اخترى نهرين بالعراق فقال : إليّ بأى مَسَاحٍ وبأى رجال ؟ فأوحى إليه أن أعد سِكَّةَ حديد وعرضها واجعلها في خشبة فألقها خلف ظهرك فإني باعث إليك الملائكة يمينونك . فخر فكان إذا انتهى إلى أرض أرملة أو يتم حاد عنها حتى حفر دجلة والفرات .

ومن المعجائب في الدنيا : عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : من المعجائب التي وصفت في الدنيا أربع : منارة الإسكندرية عليها مرآة حديد يقعد القاعد تحتها قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر . وسوداني من نحاس على نصيب



من نحاس على باب الشرقى برومية . فإذا كان أوان الزيتون صفر ذلك السوداني فلا يبقى سودانية إلا جاءت معها ثلاث زيتونات : زيتونتان في رجلها وزيتونة في منقارها فألقته على ذلك السوداني فتحمل أهل رومية فيعصرون ما يكتفيهم لئسرجهم وإدامهم إلى العام المقبل . ورجل من نحاس بأرض اللين ماذيده إلى وراء يقول : ليس ورأى مذهب ولا مسلك ، وهى أرض رجرجة لا يستقر عليها الأقدام غزاها ذو القرنين في سبعين ألفاً فخرج عليهم نمل كالبخاقي فكانت النملة تحطف الفارس عن فرسه . وبطة من نحاس على عمود من نحاس فيما بين الهند والصين . فإذا كان يوم عاشوراء شربت البطة من الماء حاجتها ومدت منقارها فيفيض من فيها من الماء ما يكتفيهم لزروعهم ومواشيهم إلى العام المقبل<sup>(١)</sup> .



قال العلماء : أول من سكن الأرض الجن ، وكانوا يمدون الله عز وجل ، ثم تناول بعضهم بعضاً بالقتل . قال ابن عباس : الجن ضفاء الجان .

قال مجاهد : ملك الأرض كلها أربعة : مؤمنان وكافران ، فأما المؤمنان : سليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام . والكافران : نمرود وبخت نَعَر .

وقال كعب : ساكن الأرض الثانية الريح المقيم ، وساكن الأرض الثالثة حجارة جهنم ، وفي الرابعة كبريت جهنم ، وساكن الأرض الخامسة حيات جهنم ، وساكن الأرض السادسة عقارب جهنم ، وفي السابعة إبليس موقَّع بد أمامه ويد خلفه ورجل أمامه ورجل خلفه فتأنيه جنوده بالأخبار في مكانه ذلك .

فأما الجن فهم ثلاثة أنواع : جان وجين وشياطين . وكلهم خلقوا قبل آدم . وفي الجان ثلاثة أقوال : أحدها : أنه أبو الجن . رواه الضحاك عن ابن عباس ، وهو مخلوق من مارج من نار . والمارج : لسان النار الذى يكون في طرفها إذا تهبت . والثاني : أن

(١) هذه أيضاً أساطير ومصورات قديمة جانبها الحق ولا دليل لها من الواقع . فننظر إليها على أنها تصوير لفكر خرافي لاعلى .

الجان هو إبليس . قاله الحسن وعطاء . والثالث : أن الجان مسيخ الجن كما أن القردة وانغناير مسيخ الإنس . رواه عكرمة عن ابن عباس .  
فأما الشيطان فهو كل متجبر عاتٍ من الجن ، وكذلك المارد والعفريت . وفي إبليس قولان : أحدهما أنه كان من أشرف الملائكة . والثاني : أنه كان من الجن . قال مجاهد : لإبليس خمسة أولاد : نير والأعور ومسوط وداسم وزلنبور . فأما نير فهو صاحب المصائب يأمر بشرق الجيوب ولطم الخدود ، وأما الأعور فيأمر بالزنا ، ومسوط صاحب الكذب يلقى الرجل فيخبره بالشئ فيتحدث الرجل به ، وداسم يوقع بين الرجل وأهله ، وزلنبور يركز رايته في السوق ويوقع بينهم <sup>(١)</sup> .

### الكلام على البسملة

أَضْحَكَ سَيْتُكَ بَعْدَ الْأَمَلِ      وَلَمْ يُبَيِّنْكَ عَيْنُكَ قُرْبُ الْأَجَلِ  
كَأَنَّكَ لَمْ تَرَ حَيًّا يُسَاقُ      وَلَمْ تَرَ مَيِّتًا عَلَى مُنْقَلَبٍ  
قُلْ لِلَّذِينَ غَفَلُوا وَلِمَبِوَا كَانَهُمْ قَدْ نَبِوَا ، مَا لَمْ عِبْرَةٌ فِي الَّذِينَ ذَهَبُوا ، أَمَّا الْكَاسُ  
يَدُ السَّاقِ وَمِنْهُ شَرِبُوا .

سَنِيَرُ اللَّيَالِي إِلَى أَعْمَارِنَا خَبِيبُ      فَا تَبَيَّنْ وَلَا يَمْتَقِهَا نَصَبُ  
كَيْفَ الذَّجَاهُ وَأَيْدِيهَا مَصْمُةٌ      بِذَنبِنَا بَعْدَى لَيْسَتْ لَهَا نَصَبُ <sup>(٢)</sup>  
وَهَلْ يُؤْمَلُ نَتِيلَ الشَّمْلِ مَلْتَمَا      سَقَرْتُ لَمْ كُلَّ يَوْمٍ رِحْلَةُ عَجَبُ  
وَمَا إِقَامَتُنَا فِي مَنْزِلٍ هَتَفَتْ      فِيهِ بِنَا مُدَّ سَكَنًا رَبَّنَا نُوبُ  
وَأَذَنُنَا وَقَدْ تَمَّتْ عِمَاوَتُهُ      أَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ دَائِرُ خَرَبُ  
أَزَرْتُ بِنَا هَذِهِ الدُّنْيَا فَا أَمَلُ      إِلَّا لَرَيْبِ الْمُنَايَا عِنْدَهُ أَرْبُ

(١) ليس هذا الكلام حجة على شيء ، وإنما هو تصور قصاص يستثيرون الخيال .

(٢) النصب : جمع نصاب ، وهي جزاء الكين .

ليست سهامُ الموت طائفةً وهل تطيش سهامُ كلِّ نَصَبٍ  
ونحن أغراضُ أنواعِ البلاءِ بها قبلَ الماتِ فمرَمَى ومُرْتَقِبِ  
أين الذين تناهَوْا في ابتنائهم صاحت بهم نائبات الدهر فاقلبوا

\*\*\*

انتبهوا بانيام ، افهوا هذا الكلام ، قد بقيت لكم أيام ، هذا عود الحياة قد  
يس ، ونور الشباب بالشيب منطمس ، ولسان الفرح بالترح قد خرس ، وسواء في  
الموت المهيل والخرس ، ولا فرق عنده بين اللين والشرس . إخواني : كم رأيتم من قبر  
مندرس ، إخواني : كم نلى عليكم زجر ودُرس . إخواني : كأنكم في كف الخفليس ،  
إنما هو نفس منطلق وكان قد حبس ، ترى متى ينقُ هذا القلب الدنس ، إلى كم ذا  
المريض كل يوم ينعكس ، إنما أنت بقية الراحلين فاعتبر بهم وقس :

نائبات في كل يوم تنوبُ وخطوبُ تأتي وتمضي خطوبُ  
ما عجيبُ مَكْر الزمان ولكن نقة النفس بالزمان عجيبُ  
كم دعتني إلى زخارفها الداء يا فنادت مني الذي لا عجيبُ  
ومتي ساحت خيلاً بمحط خالفتها فاسترجعت الخطوبُ  
كم إلى كم نذود عنها ونهني غير أن القلوب ماتت عجيبُ  
وصلاح الأجسام سهل ولكن في صلاح القلوب يَمي الطيبُ

الدنيا بحر عجاج ، ليس را كبه بناج ، الدنيا كظلمة ليل فجاج ، ليس فيها إلا  
الزهد سراج ، هدوها انزعاج وسكونها اختلاج ، ضيقة الفجاج كثرة المزاج ،  
لا تفرّ نكولو ألبستك التاج ، وقد خاطر من حمل في الوحل الرجّاج ، نريك السلامة  
تفريرا وعموها ، وتظهر الحسن والقبايح وتمحقها ، تبين كل كف كانت تبنها ، ماتتندر  
إلى جريحها كبراً وتيا :

هي الدنيا فلا يفرّك منها زخارف تنفّر ذوي الغول

أَقْلُ قَلْبِهَا بِكَفِّكَ مِنْهَا وَلَكِنْ لَيْسَ تَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ

\*\*\*

يَحَنُّ الدُّنْيَا وَلِذَلِكَ أَعْمَدُ مَا فِي الْآخِرَةِ ، فَلَوْ أَصْنَى سَمْعُ الْقَلْبِ فِيهِمْ .  
لَمَّا أَهْدَيْتْ مُعَاذَةَ الْمَدَوِيَّةَ إِلَى صِلَةِ بْنِ أَشِيمَ أَدْخَلَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَمَامُ ثُمَّ أَدْخَلَهُ  
بَيْتًا مَطْبِيًّا فَمَامُ يَصِلُ حَتَّى يَرَى الْفَجَرَ ، فَقَامَتْ فَصَلَّتْ . قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ : يَا مَعْ أَهْدَيْتِ  
إِلَيْكَ ابْنَةَ عَمِّكَ فَقَتِ تَعَلَّى ؟ ! فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي أَدْخَلْتَنِي أُمْسَ بَيْتًا أَذْ كَرْتَنِي  
بِهِ النَّسَارَ ، ثُمَّ أَدْخَلْتَنِي اللَّيْلَةَ بَيْتًا أَذْ كَرْتَنِي بِهِ الْجَنَّةَ ، فَمَا زَالَ فِكْرِي فِيهِمَا  
إِلَى الصِّيَاحِ !

يَا أَيُّهَا الرَّاحِلُ وَمَا لَكَ رَوَّاحِلُ ، يَكْفَى فِي الْوَعظِ أَرْبَعُونَ كَوَامِلُ ، كُلُّهُمْ مِنْ فِعْلٍ  
أَخْطَرِ عَوَاطِلُ ، مَتَى تَسْمَعُ قَوْلَ الْعَاذِلِ ، مَتَى تُؤَثِّرُ لِلْمَكَاتِبِ بِالرَّسَائِلِ ، أَمَّا أَنْتَ فِي صَفِّ  
الْحَرْبِ تَقَاتِلُ ، هَذَا الْعَدُوُّ يَنْصَبُ الْجَبَائِلَ قَدْ فَوْقَ السَّهْمِ وَأَمَّ السَّعَاتِلِ ، إِلَى مَتَى تَرْضَى  
بِاسْمِ جَاهِلٍ ، إِلَى مَتَى تُؤَثِّرُ تَبَ غَافِلُ ، كَمْ تَبْدُ بِالتَّوْبَةِ وَكَمْ تَحَاطِلُ ، أَيْنَ قَلْبُكَ ؟ قَلْبُكَ  
عَلَى مَرَاكِحِ .

كَمْ أَسْمَعُكَ الْمَوْتَ وَعَيْدُكَ ، فَلَمْ تَنْتَبِهْ حَتَّى قَطَعَ وَرِيدُكَ ، وَنَقَضَ مَنْزِلُكَ وَهَدَمَ مَسِيدُكَ ،  
وَمَزَّقَ مَالُكَ وَفَرَّقَ عَيْدُكَ ، وَأَخْلَى دَارُكَ وَمَلَأَ بَيْدُكَ ، أَمَا رَأَيْتَ قَرِينُكَ ؟ أَمَا أَهْبَصْتَ  
عَقِيدُكَ ، يَا مَيْتًا عَنْ قَلِيلٍ مَهْدٌ تَمِيدُكَ ، وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ مَجْهَدًا وَحَقِّقْ تَجْوِيدُكَ ، لَنْدَ أَمْرُضُكَ  
الْمُهْرَى وَفِي عَزَمِهِ أَنْ يَزِيدُكَ ، يَا عَجِبًا لِلْجَاهِلِ الْمُرُورِ كَيْفَ يَشْتَغِلُ بِمَارَةِ الدُّوْرِ ، قَدْ بَمَتْ  
الْمَوْتُ لِلرَّحِيلِ الْمُنْشُورِ ، السَّعَامُ أَقْلَامُهُ وَالْحَوْدُ السُّطُورُ :

خُذْ مَا صَفَا لَكَ فَالْحَيَاةُ غُرُورُ وَالْمَوْتُ آتٍ وَاللَّيْبُ خَيْرُ  
لَا تَمْتَنَنَّ عَلَى الزَّمَانِ فَإِنَّهُ فَلَّكَ عَلَى قُطْبِ الْهَلَاكِ يَدُورُ  
تَمْعُو السُّطُورَ إِذَا تَقَادَمَ عَهْدُهَا وَانْخَلَقَ فِي رِقِّ الْحَيَاةِ سَطُورُ  
كُلُّ يَزِيدُ مِنَ الرَّدَى لِيَفُوتَهُ وَلَهُ إِلَى مَا فَرَّ مِنْهُ مَصِيرُ

فانظر لنفسك فالسلامة نُهْزَةٌ وزمانها ضاقِ الجناح يطيرُ  
مرآة عيشك بالشباب صَيِّلة وجناح عمرك بالشيب كبيرُ  
بادِرْ فإن الوقت سيفُ قاطعُ والعمر جيشُ والشبابُ أميرُ

\*\*\*

### قوله تعالى

« فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ »

قال المفسرون: تنفجر السماء من الحجرة لنزول من فيها يوم القيامة . « فكانت وَرْدَةً كَالدِّهَانِ » . فيها قولان : أحدهما: أنها الفرس الوردة<sup>(١)</sup> تكون السماء كلونها . قاله أبو صالح والضحاك . قال القراء : الفرس الوردة تكون في الربيع إلى الصغرة فإذا اشتد الحر كانت حمراء ، فإذا كان بعد ذلك كانت إلى الغبرة . فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخليل . قال الزجاج : السَّكْمِيَّتُ الورد بتلون ، فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف ، ولونه في الفصل خلاف لونه في الشتاء والصيف ، فالسما بتلون من التزع .  
والثاني : أنها وردة النبات وقد تختلف ألوانها إلا أن الأغلب عليها الحمرة . ذكره الماوردي .

وفي الدِّهَانِ قولان : أحدهما أنه واحد الأديم الأحمر . قاله ابن عباس . والثاني : أنه جمع دُهْن ، والدهن يختلف ألوانه بخضرة وحمرة وصفرة . حكاه اليزيدي ، وإلى نحوه ذهب مجاهد . وقال القراء : شبه تلون السماء بتلون الوردة من الخليل ، وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن .

قوله تعالى : « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان » فيه ثلاثة أقوال : أحدها :

---

(١) الورد من الخليل : بين السكيت والأحقر .

لا يُسألون لِيُعْلَمَ حالهم، لِأَنَّ اللَّهَ تعالى أعلمُ منهم بذلك . والثاني : لا يُسأل بعضهم بعضاً عن حاله لاشتغال كل منهم بنفسه . والقولان عن ابن عباس . والثالث : لا يُسألون عن ذنوبهم لأنهم يُعرفون بسيماهم فالكافر أسود الوجه والمؤمن أغرَّ مُحَجَّل من أثر وضوئه . قاله الفراء . وقال الزجاج لا يُسأل عن ذنبه سيفهم ولكنه يسأل سؤال توبيخ .

قوله تعالى : « يُعرفُ الجرمون بسيماهم » قال الحسن : بسواد الوجوه وزرق الأعين « فَيُؤْخَذُ بالنواصي والأقدام » فيه قولان : أحدهما أن خزنة جهنم تجمع بين نواصيهم إلى أقدامهم من وراء ظهورهم ثم يدفعونهم على وجوههم في النار . قاله مقاتل . والثاني : يؤخذ بالنواصي والأقدام يُسحبون إلى النار . ذكره الثعلبي .

وروي مردويه الصائغ قال : صلى بنا الإمام صلاة الصبح قرأ سورة الرحمن ومعنا على ابن الفضيل بن عياض فلما قرأ : « يُعرفُ الجرمون بسيماهم » خرَّ مفشياً عليه حتى فرغنا من الصلاة ، فلما كان بعد ذلك قلنا له أما سمعت الإمام يقرأ : « حورٌ مقصورات في الخيام » فقال شفتى عنها : يُعرفُ الجرمون بسيماهم .

قوله تعالى : « هذه جهنم التي يكذب بها الجرمون » يعنى المشركين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بهم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرُّونها » .

انفرد بإخراجه مسلم<sup>(١)</sup> .

قوله عز وجل : « يطوفون بينَهم وبينَهم آنيّا » الحميم : الماء الحار . والآني : الذي قد انتهت شدة حره . والمعنى أنهم يسعون بين عذاب الحميم وبين الحميم إذا استغاثوا من النار جُلَّ غياثهم الحميم الشديد الحرارة .

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الحميم يُصبَّ على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يَخْلُصَ إلى جوفه حتى يَمْرُقَ من قدميه ثم يباد كما كان<sup>(٢)</sup> » .

(١) صحيح مسلم كتاب الجنة حديث رقم ٢٩ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣٧٤/٢ والترمذي في صحيحه كتاب جهنم باب ٤ .

قوله عز وجل « ولن خاف مقامَ رَبِّه جَنَّاتٍ » وفيه قولان : أحدهما : قيامه بين يدي ربه يوم الجزاء . والثاني : قيام الله على عبده بإحصاء ما اكتسب .

قال مجاهد : « ولن خاف مقام ربه جنتان » وهو الذي إذا تمَّ بمصيبة ذكر مقام ربه عليه فيها فاتتهى . وقال أبو موسى : جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين . قال الحسن البصري : كان في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه شاب يلزم المسجد والعبادة ، فعمته امرأة فأنته في خلوة فكلمته ، فحدثت نفسه بذلك فشقق شقه ففشى عليه ، فجاء عم له فحمله إلى بيته فلما أفاق قال : يا عم انطلق إلى عمر رضى الله عنه فأقرئه مني السلام وقل له : ما جزاء من خاف مقام ربه ؟ فانطلق عمه فأخبر عمر رضى الله عنه فأناه عمر رضى الله عنه وقد شقق فات فوقف عليه عمر وقال : لك جنتان<sup>(١)</sup> .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، ورجلان تمحبا في الله اجتمعا عليه وفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله عز وجل خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال : إني أخاف الله عز وجل » . أخرجه في الصحيحين<sup>(٢)</sup> .

وقال يحيى ابن أبي كثير : لا يُحمد ورعُ امرئ حتى يُشفي على طمع ويقدر عليه فيتركه حين تركه لله عز وجل .



آه من نفس ما يقرّ قوارها ، طلعت شمس الشيب وما خبت نارها ، ما لاحت لها شهوة إلا قلّ اصطبارها ، ما بانت لها موعظة فبان اعتبارها ، كم وعظها ليّلها ونهرها

(١) ذم الهوى لابن الجوزي .

(٢) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب رقم ١٦ . وصحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٩١ .

نهارها ، الذَّنبُ لباسها والجهل شعارها ، كمُ نكثرت النصائح وماقتل أوزارها ، كم تقوَّم وما يصلح أوزارها ، كم تلاءم لطفنا وما يرغوى نفاها ، كلما جذبها أمهلها زاد اغترارها ، إلى كم مع المعاصي أما يلزمها عارها ، أساء تدبيرها أم قبيح اختيارها ، من يأخذ بيدها إذا طال عثارها .

إن النفس إذا أطمعت طمعت ، وإذا أقنعت باليسير قنعت ، فإذا أردت صلاح مرضها فبترك غرضها ، احبس لسانها عن فضول كلماتها ، وغضَّ طرفها عن محرِّم نظراتها ، وكفَّ كفها عن مؤذى شهواتها إن شئت أن نسى لها في نجاتها .

\*\*\*

إخواني : علامة الاستدراج المعنى عن عيوب النفس ، ما ملكها عبدٌ إلا عزَّ وما ملكت عبداً إلا ذلَّ :

الحرصُ في كل الأفاين يعمُّ أما رأيت كل ظَهرٍ يَنقُصُ  
وعروةٌ من كلِّ حيٍّ تَنقُصُ أما سمعت الحادثات تَنقُصُ  
بل حُبِّكَ الأشياء يُعْمى ويُعمِّ

قال مالك بن دينار : يقول الله عز وجل : وعزني إني لأهمَّ بمذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب .  
وقال ميمون بن مهران : الذُّكْرُ ذِكْران : ذكر باللسان وأفضل منه ذكر الله عند ما يُشرف عليه من معاصيه .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان الكيفل من بنى إسرائيل لا يتورَّع من ذنب ، فأنته امرأة فأعطاها ستين دينارا فلما قعد منها مقعد الرجل أرعدت وبكت فقال : ما يبكيك؟ قالت هذا عمل لم أعمله قط . فقال اذهبي والدنانير لك . ثم قال : والله لا يعمى الله الكيفل أبداً فأت من نيلته ، فأصبح مكتوبا على بابه : قد غفر الله للكيفل .



يَا مَنْ لَا يَبْرُكُ ذَنْبًا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، يَا مَنْ أَكْثَرَ عَمَلُهُ الْفَنَى لَهُ عَلَيْهِ ، كَمْ ضَيِّعْتُ فِي الْمَاضِي عَصْرًا ، كَمْ حَلَمْتُ عَلَى الْأُزْرِ<sup>(١)</sup> مِنَ الْوَزْرِ أَزْرًا ، أَتَرْضَى أَنْ تَمْلَأَ الصَّخَافَ عَيْنِيَا وَخَسْرًا ، أَمَا يَكْفِي سَلْبَ الْقَرِينِ وَعَظًا وَزَجْرًا ، لَقَدْ ضَيَّعْتُ شَطْرًا مِنَ الزَّمَانِ فَاحْفَظْ شَطْرًا ، مَا أَبْقَتْ لَكَ الصَّحَّةُ حُجَّةً وَلَا تَرَكْتُ غَدْرًا ، كَمْ نِعْمَةٍ نَزَلَتْ بِكَ وَمَا قَوَّيْتُهَا شُكْرًا ، تَقَابَلُهَا بِالْعَامِي فَتَبَدَّلَ الْعُرْفُ نُكْرًا ، كَمْ سَتَرْتُكَ عَلَى الْخَطَايَا وَأَنْتَ لَا تَقْلَعُ دَهْرًا ، كَمْ نَمْتُ عَنْ صَلَاةٍ وَكَمْ شَرِبْتُ خَمْرًا ، كَانَ الشَّيْبُ هِلَالًا وَقَدْ صَارَ بَدْرًا ، تَعَاهِدُ وَلَا تَفِي إِلَى كَمْ غَدْرًا ، أَطَالَ عَلَيْكَ الْأَمَدُ فَصَارَ الْقَلْبُ صَخْرًا ؟ إِنَّمَا بَقِيَ الْقَلِيلُ فَصَبِّرْ يَا فَنَسُ صَبْرًا .

صَبَاً مِنْ شَابٍ مَفْرَقَهُ تَصَايِي	وإِنْ طَلَبَ الصَّبَاً وَالْقَابُ صَابِي
أَعَاذُلُ رَاضِيً لَكَ شَيْبُ رَأْسِي	وَلَوْلَا ذَاكَ أَعْيَاكَ اقْتَضَايِ <sup>(٢)</sup>
كَفَنِي بِالشَّيْبِ مِنْ نَاهٍ مُطَاعٍ	عَلَى كُرْهِهِ وَمِنْ دَاعٍ مُجْبِي
حَطَطْتُ إِلَى النِّهْيِ رَحْلِي وَكَلْتُ	مَطِيَّةً بِاطِلٍ بَدَدَ الْهَيَابِ <sup>(٣)</sup>
وَقُلْتُ مَسْلَمًا لِلشَّيْبِ أَهْلًا	بِهَادِيِ الْخَطِئِينَ إِلَى الصَّوَابِ
يَذْكُرُنِي الشَّبَابُ وَمِيعُ بَرَقَ	وَسَجَّعَ حَمَلَةً وَحَنِينَ نَلَبِ <sup>(٤)</sup>
أَفْجَعُ بِالشَّبَابِ وَلَا أَعَزِّي	لَقَدْ غَفَلَ لِلْمَرْءِ عَنْ مُصَابِي

(سجع)

يَادَائِمُ الْخَطَايَا وَالْمِصْيَانِ ، يَاشَدِيدُ الْبَطَرِ وَالطُّفْيَانِ ، رِيحُ اللَّتُونِ وَلَوْكَ الْخُسْرَانِ  
« وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » . بِامْتِكِنًا عَلَى زَلَّهِ وَذَنْبِهِ ، لَا يُوَثِّرُ عَنْدهُ أَلِيمُ عَثْبِهِ ،  
أَمَّا الْمَرْءُ فَقَدْ طُسَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يَنْفَعُهُ وَعَظُ اللِّسَانِ « وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » .  
كَمْ خَوْفٌ وَمَاتِحَافٌ ، يَا مَنْ إِذَا أُمِرَ بِالْعَدْلِ حَافٌ ، الْوَيْلُ لَكَ يَا صَاحِبَ الْإِسْرَافِ

(١) الْأُزْرُ : الظُّهْرُ . وَالْوَزْرُ : الْإِثْمُ . (٢) الْاِقْتَضَابُ : مَصْدَرُ اقْتَضَيْهِ ، بِمَعْنَى قَطَعَهُ .

(٣) الْهَيَابُ : التَّقَاطُطُ فِي السَّرِّ . (٤) الْقَابُ : النَّاقَةُ لِلنَّسَةِ .

« ولئن خاف مقام ربه جنتان » . لو رأيت أهل الزَّيْغِ والعناد وأرباب المعاصي والفساد مُتَرَّنين في الأصْفَادِ « سَرَّابِلِهِمْ مِنْ قَطْرَانِ » « ولئن خاف مقام ربه جنتان » . قد سُدَّتْ في وجوههم الأبواب وغضب عليهم رَبُّ الأرباب ، والنار شديدة الالتهاب والعذاب فيها ألوان « ولئن خاف مقام ربه جنتان » أَعْرَضَ عَنْهُمْ الرَّحِيمُ وَمَنْعَهُمْ خَيْرَ الْكَرِيمِ ، وَيَتَقَلَّبُونَ فِي الْجَحِيمِ « يَطْلُوفُونَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ حِمِيمٍ أَنْ » سَمِعْتُمْ قَدْ أُحْرِقَ ، وَزَمْهَرِيرُهُمْ قَدْ مَزَّقَ ، وَنُورُ الْمُتَّقِينَ قَدْ أَشْرَقَ ، « مُتَكَلِّينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَانَتُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ » .

سارت بهم إلى الجَدِّ المَعَايَا ، فَأُجْزِلَتْ لَهُمْ جَزِيلُ الْمَعَايَا وَلَأَرْبَابِ الْخَطَايَا النَّيْرَانِ .  
مَنْ عَلَيْهِمْ بِنَعِيمٍ مَا مَنَّ<sup>(١)</sup> ، لَا يَخْطُرُ لِمَنْ يَتَوَكَّلُ وَيُظَنُّ ، وَقَدْ كَفَانَا صِفَةَ الْحُورِ مِنْ وَصْنِهِنَّ  
« كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَاللُّرْجَانُ » .

أَيُّهَا الْعَامِى قَدْ اجْتَهَدْنَا فِي صَلَاحِكَ ، وَعَرْضْنَا فِي التَّجَارَةِ لِأَرْبَابِكَ ، وَأَنْتَ عَلَى الْمَعَاصِي فِي مَسَائِكَ وَصَبَاحِكَ ، وَبَعْدُ فَا نَيَّاسٌ مِنْ فَلَاحِكَ « كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ »  
ولئن خاف مقام ربه جنتان «

---

(١) مَنْ : قَطَعَ .

# الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ

تَشْتَمِلُ عَلَى فُضَائِلِ الْعِلْمِ وَالْعَامَلَاتِ

---

فِيهَا ثَمَانِيَّةٌ وَعَشْرُونَ مَجْلَسًا



## المجلس الأول في فضائل العلم والعمل

الحمد لله الذى بيده الإيجاد والإنشاء ، والإماتة والإحياء ، والإعادة والإبداء ،  
والإنعام والآلاء ، والرخص والقلاء ، والحظ والقلاء ، والعافية ، والبلاء ، والداء والدواء ،  
خلق آدم وخلق لأجله الأشياء ، فمن جبراه كانت الأرض والسماء ، والظلمات والأضواء ،  
والصباح والمساء ، والريح والماء ، وعلمه العلم فأنجحت عنه الظلماء ، وعرفته خط الخط ففجاء  
الهجاء : الألف والباء ، والتاء والثاء ، والجيم والحاء ، واغناء والهدال والذال والراء ، والزاي  
والسين والشين والصاد والضاد والطاء ، والفاء والعين والتين والفاء ، والظاف والكاف  
واللام والميم والتون والماء ، والواو ولا الم الألف والياء .  
وبث من نسله الرجال والنساء ، فمنهم العالم الفاك ومنهم الجاهل النساء ، وأكثرهم  
الفاقلون وأقلهم الألباء ، وليست زرقاء اليمامة كالأعشى ، ولا النهار كالليل إذا بقش ،  
« إنما يتقش الله من عباده العلماء »<sup>(١)</sup> .

أحمد له بتوفيق لحده الآلاء ، وأقر بأنه مالك للكل يؤتى للكل من يشاء وينزع  
الملك من يشاء ، وأصل على رسوله محمد أشرف ركب حوته البداء ، وعلى صاحبه أبى  
بكر الصديق مصاحبه إن وقت الشدة أو الرخاء ، وعلى هر الفاروق الذى دوح الكفر  
فدث له الأعداء ، وعلى عثمان الصابر وقد اشتد به البلاء ، وعلى على الذى حصل له دون  
الكل الإخاء ، وعلى عه العباس الذى سألت الصحابة به النيث فسالت السماء .

\*\*\*

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم

في السماء يَهْتَدَى بها في ظلمات البرّ والبحر ، فإذا انطلعت النجوم أوشك أن تغل الهداة<sup>(١)</sup> .

وهذا المثل من أوقع المَثَال ، لأن طريق التوحيد والعلم بالآخرة لا يدرك بالحس وإنما يُعرف بالدليل ، والعلماء هم الأدرّاء فإذا هُتَدُوا ضلّ السالك .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ العباد رؤساً جهلاً فاستولوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا<sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن صفوان بن عسال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب<sup>(٣)</sup> » .

وذكر أبو سليمان الخطّابي في معنى وَضَعُهَا أجنحتها ثلاثة أقوال : أحدها بَسَط الأجنحة . والثاني : أن المراد به التواضع لطالب العلم . والثالث : النزول عند مجالس العلم وترك الطيران ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم يذكرون الله تعالى إلا أحقت بهم الملائكة<sup>(٤)</sup> » .

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضى الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعل عليه السلام : « والله لأن يهْدَى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك مُمْرُ النعم<sup>(٥)</sup> » .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٥٧/٣ . وفيه رشتين بن سعد واختلف في الاحتجاج به . وأبو حفص صاحب أنس مجهول مع الزوائد ١٢١/١ . (٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب ٣٤ وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم حديث رقم ١٣ ، ١٤ ، والترمذي كتاب العلم باب ٥ . (٣) أخرجه أبو داود والترمذي تيسير الوصول ١٧٢/٣ . (٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب ، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٣٤ .

وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طُرق الجنة ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحياتن في الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر<sup>(١)</sup> » .

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : تملّوا العلم فإن تملّهُ الله خَشِيَةً ، وطلبه عبادة ، ومُدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قُرْبَةٌ ، وهو الأنس في الوحدة والصاحب في الخلوة .

وقال كعب : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أن تملّ ياموسى انخير وعلمه للناس فإنى منور لمعلم انخير ومتعلمه فى قبورهم حتى لا يستوحشوا فى مكانهم .  
وقال عيسى عليه السلام : من تملّ وعِلّ وعَمِلَ فذلك يُدعى عظيمًا فى ملكوت السماء .  
وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سُلَيمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال والملِك ، فاختر العلم فأعطى للمال والملِك معه .  
وقال بعض الحكماء : ليت شعرى أى شىء أدرك من فاته العلم ؟ وأى شىء فاتن من أدرك العلم .

ولا يخفى فضل العلم ببديهة العقل ، لأنه الوسيلة إلى معرفة الخالق وسبب الخلود فى النعيم الدائم ، ولا يعرف التقرب إلى المعبود إلا به ، فهو سبب لمصالح العارفين .  
قال الحسن : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم . وقال الماتى بن عمران : كتابة حديث واحد أحبُّ إلىَّ من قيام ليلة .

(١) أخرجه أبو داود والترمذى . تيسير الوصول ١٧٢/٢ .

وكيف لا يقول هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يوزن مدادُ العلماء مع دم الشهداء فيرجح مدادُ العلماء على دم الشهداء »<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

ومن آداب العالم : أن يترك فضول الدنيا ليقبعه الناس ، فإن الاستدلال بالنقل أقوى من الاستدلال بالقول ، فإن الطيب إذا أمر الحمية ثم خلط لم يلتفت إلى قوله .  
أخبرنا علي بن عبد الله بسنده عن أبي همام الكلاعي عن الحسن أنه مرَّ ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين قال : أفرحتم جباهكم وفرطحتم نعالكم وجثمت بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم فزهدوا فيكم ! أما لآنكم لو جلستم في بيوتكم حتى يكونوا هم الذين يُرسلون إليكم لكلن أظم لكم في أعينهم ، تفرقوا فرق الله بين أعضائكم !

وقال الحسن : إن الزبانية إلى فسقة حلة القرآن أسرع منهم إلى عبدة الأوثان ، فيقولون : ربنا ما بالنا يتقدمون إلينا ؟ فيقول الله تعالى : ليس من يعلم كمن لا يعلم !  
أخبرنا يحيى بن علي بسنده عن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : من قرأ القرآن عظمت قيمته ومن تفقه نبئ قدره ، ومن كتب الحديث قوى حجته ، ومن تعلم اللسان رق طبعه ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .

سمعت لإسماعيل بن أحمد يقول سمعت عبد الله بن عطاء يقول : سمعت أبا نصر الحواري يقول : سمعت أبا حاتم الرازي يقول بسنده عن يونس بن عبد الأعلى يقول ، سمعت الشافعي يقول : كتب حكيم إلى حكيم : يا أخى قد أوتيت علماً فلا تدنس عليك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يمس أهل العلم بنور علمهم .

\*\*\*

(١) أخرجه الثبراني عن أسد الوهمي عن عمر بن عثمان بن حصين وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله . انظر الجامع الصغير للسيوطي حديث رقم ١٠٠٢٦ .



ولأأخذ على المتملم : أن يطلب العلم للعمل به . ففي الحديث : « من طلب العلم ليُباهى به العلماء أو يُتَكَرَى به السفهاء أو ليُصرف وجوه الناس إليه لم يَرَحْ راحة الجنة <sup>(١)</sup> » .  
وفي أفراد مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه  
أنه قال : « إن أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة ، فذكر منهم رجلا تعلم العلم وعلمه  
وقرأ القرآن فيقال له : ما علمت ! فيقول : تملتُ فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن .  
فيقال : كذبتُ ولكذك تملت ليقال هو عالم فقد قيل . وقرأت القرآن ليقال هو قارئ  
وقد قيل . ثم أمر به فُسْحِب على وجهه حتى أُلقي في النار <sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا أبو منصور وعبد الرحمن بن محمد بسندهما عن أبي جعفر عبد الله بن إسماعيل  
ابن توبة . يقول رأيت أبا بكر الأدمي القارئ في النوم بعد موته يمدّ يده قهقرياً :  
تلك الليالي والمواعظ والقرآن ؟ قال لى : ما كان شيء أضر على منها لأنها كانت للدنيا .  
قالت له : فإلى أى شيء انتهى أمرك ؟ قال : قال لى تعالى : آليتُ على نفسي أن لا أعذب  
أبناء الثمانين <sup>(٣)</sup> .

### الكلام على البسمة

نَبِيٌّ وَنَجِيعٌ وَالْأَمَّارُ تَنْدَرُسُ وَنَامِلُ اللَّبَثِ وَالْأَرْوَاحُ تُخْتَلِسُ  
ذَا اللَّبِّ فَكَرَّرَ فَا فِي الْخُلْدِ مِنْ طَعْمٍ لَا بُدَّ مَا يَنْتَهَى أَمْرُ وَيَنْعَكُسُ  
أَبْنُ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ وَمَنْ كَانُوا إِذَا النَّاسُ قَامُوا هَيَّيَّةً جَلَسُوا  
وَمَنْ سَيِّوْفُهُمْ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ تُخَشَى وَدُونَهُمُ الْحُجَابُ وَالْحَرَسُ  
أَضْحَوْا بِمَهْلِكَةٍ فِي وَسْطِ مَعْرَكَةٍ صَرَّحَى وَمَاثَى الْوَرَى مِنْ فَوْقِهِمْ يَطْلُسُ <sup>(٤)</sup>

(١) رواه الطبراني في الأوسط ، والبخاري وفيه سليمان بن زياد الواسطي . مجمع الزوائد ١٨٤/١ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمارة رقم ١٥٢ .

(٣) لا يصح مثل هذا الخبر ولا يتفق مع القواعد التي أعلنها الإسلام في الثواب والعقاب .

(٤) يعلس : يفتأ بصفة . والوطس : الضرب الشديد بالخط وغيره .

وَعَمَّهُمْ حَدَثَ وَضَمَّهُمْ جَدَثٌ      باتوا وهم جُثثٌ في الرُّمُسِ قد حُيِّسُوا  
كَانَهُمْ قَطْءٌ مَا كَانُوا وَمَا خُلِقُوا      ومات ذِكْرُهُم بَيْنَ الْوَرَى وَنُسُوا  
وَاللَّهُ لَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَكَ مَا صَنَعْتَ      بِدُ الْبِلَى بِهِمْ وَاللَّوْدُ يَفْقَرُ  
لَعَايَنْتُ مَنْظَرًا تَشْجَى النُّفُوسُ بِهِ      وَأَبْصَرْتُ نُكْرًا مِنْ دُونِهِ النَّكْسُ  
مَنْ أَوْجَعُ نَاطِرَاتِ حَارٍ نَاطِرَهَا      فِي رَوْنِقِ الْحُسْنِ كَيْفَ تَنْطَلِسُ  
وَأَعْظَمُ بَالِيَتٍ مَا بِهَا رَمَقٌ      وَلَيْسَ تَبْقَى وَهَذَا وَهِيَ تُنْهَسُ  
وَالسِّنُّ نَاطِقَاتٌ زَانِهًا أَدَبُ      مَا شَأْنُهَا شَأْنُهَا بِالْآلَةِ الْخُورِسُ  
نَكَّسَهُمُ السِّنُّ لِلدَّهْرِ فَاغْرَةً      فَلَمَّا قَالَهَا لَمْ إِذْ بِالرَّدَى وَكُورَا  
عَرَوْا عَنِ الْوُثَى لَمَّا أَلْبَسُوا حُلَلًا      مِنَ الرِّعَامِ عَلَى أَجْسَادِهِمْ وَكُورَا  
وَصَارَ لُبْسُ الصَّفَايَا مِنْ خَلَّائِهِمْ      جُونُ الثَّلَبِ وَقَدْ مَاتَ زَانَةُ الْوَرَمُسُ<sup>(١)</sup>  
حَتَّامٌ بِإِذَا التَّهَى لَا تَزْعَوِي سَقَا      وَدُمِعَ عَيْنُكَ لَا يَهْيِي وَيَنْبَجِسُ<sup>(٢)</sup>



بِإِغْفَالٍ عَنْ نَفْسِهِ أَمْرٌ عَجِيبٌ ، بِاقْتِيلِ الْهَوَى ذَاؤُكَ غَرِيبٌ ، بِإِطْوِيلِ الْأَمَلِ سُدْنِي  
فَتَجِيبُ ، وَهَذَا عَنْ قَلِيلٍ وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ ، هَلَّا تَذَكَّرْتَ لِحَدِّكَ كَيْفَ تَبَيَّتَ وَحَدِّكَ ،  
وَبَيَّأَشَرَ الثَّرَى خَدِّكَ ، وَتَقَسَّمَ الدِّيدَانُ جِلْدَكَ ، وَيَضْحَكُ الْحُبُّ بِمَدِّكَ نَاسِيًا عَنْهُ بِمَدِّكَ ،  
وَالْأَمَلُ مُذْ وَجِدُوا لِلَّالَ مَا وَجِدُوا قَدِّكَ ، إِلَى مَتَى وَحَتَّى مَتَى تَتْرَكَ رَشْدَكَ ، أَمَّا نَحْنُ  
أَنْ تَحْسَنَ إِلَيْنَا قَصْدَكَ ، الْأَمْرُ جَدُّ مُجْدٍ فَلَا زَمَّ جِدِّكَ .

ذَهَبَ الْأَحْبَةُ بِسَدِّ طُولِ تَوَدِّدٍ      وَنَأَى الزَّارُ فَاَسْلَمُوكَ وَأَقْسَمُوا  
خَذْلُوكَ أَهْرَ مَا تَكُونُ لِقُرْبَةٍ      لَمْ يُونُسُوكَ وَكَرْبَةٍ لَمْ يَدْفَعُوا

(١) الصَّفَايَا : كَذَا . والمعروف في جمع الصفاة ، وهي الحجر الصلد : صفا . وصفوات وجمع الجمع : أصفاء  
وصفى . والمجون : السود . والورس : نبات كالسم يصعب به ، لونه أصفر . (٢) يَنْبَجِسُ : يَنْجَسُ .

فُقِضَ القضاءَ وصَرَ صاحبَ حُفْرَةٍ عَنْكَ الأُجْبَةُ أَعْرَضُوا وَتَصَدَّعُوا  
ووجد على قبر مكتوب :

سُيْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْفَى مَوَدَّتِي وَيَتَحَدَّثُ بَمَدَى لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ  
إِذَا انْقَطَعَتْ يَوْمًا مِنَ الْعَيْشِ مُدَّتِي فَإِنْ غَنَاءَ الْبَاكِيَاتِ قَلِيلُ  
إِلَى مَتَى هَذَا التَّغْلِيظُ وَالْمَوْتُ بِكُمْ مُحِيطٌ ، أَيْنَ الْآنَ وَالْخَلِيلُ بِأَدْرَهِمَا مَوْتُ نَشِيطٌ ،  
كَيْفَ يَاهُو هَذَا الشَّمِيطُ ، وَلَهُ أَسَدٌ مُنْشَطٌ ، عَلَيْهِ وَسَخٌ وَمَا يُحِيطُ لِابِلِ دَمٍ عَبِيطُ <sup>(١)</sup> ،  
يَارَبِّمَا أَهْبِضِ النَّشِيطُ ، تَنْقِظْ فَكُمَ هَذَا الْفَطِيطُ ، أَقْبِلْ نَصْحِي وَاسْمَعْ مِنَ الْوَسِيطُ ، يَازَا  
التَّحَرُّكُ فِي الْهَوَى لِأَبْدَلِهِ مِنْ سَكُونٍ ، عَلَى هَذَا كَانَتِ الدُّنْيَا وَعَلَيْهِ تَكُونُ ، لَا يَفْرُتُكَ  
سَهْلُهَا فِيمَدِ السَّهْلِ حُزُونُ ، لَا تَنْظُرُ إِلَى فَرْحِهَا فَكُلَّ قَرِحِ حُزُونُ ، تَأْمَلُ فَلَهَا بَيْرُكَ  
فُتُبْضُ الْمُتَمَجِّحِ يَهُونُ ، إِنْ رَوْحُكَ دَيْنَ الْمَاتِ وَسُتَنْفَى الدُّيُونُ ، مَا فَرْحُهَا مُنْتَمٌ وَلَا تَرْحُهَا  
مَأْمُونُ ، مَا أَضْحَكَكَ السَّنُّ إِلَّا وَأَبَكَتِ الْمَيُونُ ، إِيَّاكَ وَإِلَّا الْمَوِيسَ الْخَثُونُ ، إِنَّمَا لِلْبَارِ  
الْفُرُورُ وَمَنْزِلُ الْفَتُونُ ، كَمْ نَلُومُ عَلَى الْفَتَنِ وَمَا يَقْتُلُ الْمَغْبُونُ ، مَهْلًا أَضْمَمَ لِلْوَاعِظِ قَلْبُ  
هَذَا مَفْتُونُ ، يَا لَأَمَّا لِي فِي الْهَوَى مَاذَا هَوَى هَذَا جَنُونُ .

أَيُّهَا الْغَافِلُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ لَا يَذْكُرُ الْمَوْتَ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، شَغْلُهُ عَنِ الْمَوَاقِبِ مَا لَدَيْهِ  
وَأَلْهَاهُ مَا لَهُ عَمَّا عَلَيْهِ :

يَا لَقُومِي لِلْآمَلِ الْمُرُورِ وَلِحَاجِ لَا يَنْقُضِي فِي الْمَدُورِ  
وَلَنْفِي غَدُوعَةٍ بِالْأَمَانِي وَلَهْمٍ مُوَكَّلٍ بِرُورِ  
وَاتَّقِبَاضِ الْحَيَاةِ عَمَّا يَرْجِي هَ الْفَتَى وَامْتِدَادِ حَبْلِ الْفُرُورِ  
يَلْتَحِجُّ الزَّمَانُ فِي كُلِّ يَوْمٍ دَائِبًا كَالْتَحَاءِ غُصْنٍ نَضِيرِ <sup>(٢)</sup>  
يَتَمَنَّى فِي الْعَيْشِ مَا لَيْسَ يَلْقَا هَ وَيَنْسَى حَزْمَ الزَّمَانِ الْغَيُورِ

(١) الشَّيْطَانُ : الطَّرِيقُ الَّذِي لَا يُجِيفُ . (٢) يَلْتَحِجُّ : يَغْشَاهُ .

وَلَمَّا غَفَّتْ عَنِ الْأَجْلِ الْيَقْظَا      نَ أَمْسَى بِهَا قَرِيبَ الْمَسِيرِ  
كُلَّ يَوْمٍ يَبْهِيضُ لِلْمَرْءِ عَظْمًا      وَهُوَ يَسْطُو فِيهِ بِعَظْمٍ كَسِيرِ  
يَحْمِلُ الْمَوْتَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ إِذْ يَنْ      لَوْ وَخْشَاهُ مِنْ وَرَاءِ الثُّغُورِ  
كُلُّ نَفْسٍ فِي مَسْتَقَرٍّ عَلَيْهَا      وَالْبَيْتُ مِنْ حِمَامِهَا الْمَقْدُورِ



بِأَمْنٍ يَجُوبُ شَرْقِي الْمَوَى ثُمَّ يَقْطَعُ غَرْبَهُ ، فَكَمْ لَهُ مِنْ طُلْعَةٍ فِي طَلَبِهِ وَغُرْبَةٍ ، كَأَنَّهُ  
بَسِيفُ الْأَسَفِ قَدْ سُلَّ مِنْ جَنْفِهِ <sup>(١)</sup> فَاسْأَلْ مِنْ جَنْفِهِ غَرْبَهُ .

قال بعض أصحاب الحسن : ليت ابن آدم لم يخلق . قال حبيب العجسى : قد  
وقعت فاحتالوا !

تالله ما اهتمم بالخلاص إلا أهل الثقي والإخلاص ، أيامهم بالصلاح زاهرة ، ودولهم  
للعدو فاهرة ، وأعينهم في الدُّجَى ساهرة ، يخافون العرض على أرض الساهرة ، والمقول  
للنفوس ناهية آمرة ، وأخلاق الثياب على أخلاق طاهرة ، والدنيا عليهم والقلوب صابرة ،  
وفي الجملة باعوا الدنيا فاشتروا بها الآخرة .

قال أبو يزيد : جمعت أسباب الدنيا فربطتها بحبل القنوع ، ووضعتها في منجنيق  
الصدق ، ورميت بها في جبل اليأس ، فاسترحت :

قَرَّبَ الْخِرَاصُ مَرْكَبًا لِشَقِيٍّ      إِنَّمَا الْخِرَاصُ مَرْكَبُ الْأَشْقِيَاءِ  
مَرْحَبًا بِالْكَفَافِ بِأَنِّي عَفِيًّا      وَعَلَى اللَّتَعِيَاتِ ذُبُلُ الْعَفَاءِ  
ضِلَّةٌ لَا مَرِيَّ يَشْمُرُ فِي الْجَا      حَ لَيْشٍ مَشْمُرٌ لِفَنَاءِ  
دَائِبًا يُكْثِرُ التَّنَاطِيرَ لِلْوَا      رِثَ وَالْعَمْرِ دَائِبًا لِاتِّقَاءِ  
حَيِّذَا كَثُرَ التَّنَاطِيرُ لَوْ كَا      نَ رَبِّ السَّكُونِزِ كَنْزُ بَقَاءِ  
يَنْتَدِي يَرْحَمُ الْأَسِيرُ أُسِيرَا      جَاهِلًا أَنَّهُ مِنَ الْأَسْرَاءِ

(١) الأصل : من جينته . محرفة .

بحسب الخطّ كلّ في يديه وهوحنه على مدى الجوزاء  
ذلك الخائب الشقي وإن كان يرى أنه من السعداء<sup>(١)</sup>

### الكلام على قوله تعالى

« فاليوم لا تظلم نفس شيئا »<sup>(٢)</sup>

ميزان العدل يوم القيامة مستقيم السان، تبين فيه الذرة فيجزى المبد على الكلمة  
قالها في الخير والنظرة نظرها في الشر، فإيا من زاده من الخير طفيف، احذر ميزان  
عدل<sup>(٣)</sup> لا يهين.

أخبرنا ابن المذهب بسنده عن أبي عبد الرحمن الحلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو  
ابن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله عز وجل يستخلص  
رجلاً من أمّتي على ردوس الخلائق يوم القيامة فيُنشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل  
سجل مد البصر؛ ثم يقول له: أنسرك من هذا شيئاً؟ أظلمت كتبتي المانظون؟ قال:  
لا يا رب فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فينهت الرجل فيقول: لا يا رب فيقول: بلى؛  
إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم<sup>(٤)</sup> اليوم عليك؛ فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن  
لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه. فيقول: يا رب ما هذه  
البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فوضع السجلات في كفة،  
والبطاقة في كفة. قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة<sup>(٥)</sup> ».

البطاقة: القطعة.

(١) الآيات لابن الرومي في ديوانه (٢) سورة يس ٥٤ .

(٣) الأصل: ميزان عبد . محرقة .

(٤) الأصل: لا ظلم . (٥) أخرجه الترمذي في صحيحه ١٤ / ٢

أخبرنا محمد بن أبي طاهر بسنده عن يونس بن عبيد عن الحسن قال : بينا عائشة رضي الله عنها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكّت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ قالت : يا رسول الله هل تذكر أهلكم يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً : عند الميزان حين يوضع حتى يعلم أنثُل موازينه أم تخفّ ، وعند الكتاب حين يقال « هاؤم اقرأوا كتابيه » حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أو في شماله أو وراء ظهره . وعند العرّاط حين يوضع بين ظهري جهنم حتى يعلم أينجو أم لا ينجو<sup>(١)</sup> .

( أخبرنا ) الكُروخي بسنده عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وعن أبي سعيد رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعيد يوم النيامة فيقول له : ألم أجعل لك سمما وبصرا ومالا وولدا وسخّرت لك الأنعام والحرث وتركك ترأس وترنّع أكنت تظن أنك ملاق يومك هذا ؟ فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتي<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا ابن الحُصَيْن بسنده عن شعبة عن قتادة عن أبي سعيد الخدري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون يوم القيامة من النار فيحبسون على قطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا أخذوا ويقفوا أدن لهم في دخول الجنة<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة .

(٢) صحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم ١٤٤٠ ، وسنن الترمذي كتاب القيامة ومسنده أحمد ٤٩٢/٢ .

(٣) صحيح البخاري كتاب المظالم وكتاب الرهق ومسنده أحمد ١٣ / ٣ .

قوله تعالى : « ولا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ »

أترك بأى عمل تُجْزَى ، أترك تُهَنَّى أو تُعْزَى ، قلبك عند الصلاة في غيبة ، ولبانك في الصوم في غيبة ، وما صَفَتْ لَكَ في العمر ركة ، وقد مرَّ أكثر الأجل بسرعة ، فانتبه قبل أن يفوت التدارك ، وفرِّغ قلبك قبل أن تفرغ دارك .

( أنبأنا ) أحمد بن الحسين بن عثمان المطار بسنده عن جعفر بن الحسن ، عن أبيه ، عن الحسن بن علي عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها ومن أسفلها خيل من ذهب مُنْرَجَةٌ ملجمة بلجم من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنعة خطوها مدَّ بصرها ، فيركبها أهل الجنة فطير بهم حيث شاءوا فيقول الذين أسفل منهم درجة : ياربِّ يَمِّ بلغ عبادك هذه الكرامة كلها ؟ قال فيقال لهم إنهم كانوا يصلُّون الليل وأنتم تنامون ، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون ، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون ، وكانوا يقاتلون وكنتم تَجْبُنُونَ .

قوله تعالى « إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون »

وقرأ نافع وأبو عمرو في شُغْل يَأْكُلَانِ الفين وقرأ ابن يصر في شُغْل يَفْتَحُ الشين وإسكان الفين . وقرأ أبو هريرة في شُغْل يَفْتَحُهَا .

وللمفسرين في المراد بذلك الشغل قولان : أحدهما : أنه اختفاض الأبقار . أخبرنا موهوب بن أحمد بسنده عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : « إن أصحاب الجنة اليوم في شغل » قال في اختفاض الأبقار . والثاني : النعمة . قاله مجاهد .

وقال الحسن : شغلهم نعيمهم مما فيه أهل النار من العذاب .

وفي قوله تعالى : فاكهون أربعة أقوال : أحدها : فَرِحُون . قاله ابن عباس .

والثاني : مُعْجِبُونَ . قاله الحسن . والثالث : ناعمون . قاله مقاتل . والرابع : ذوؤا فاكهة ، كما يقال لا يَنْ تامر<sup>(١)</sup> . قاله أبو عبيدة .

وقرأ أبو جعفر : فَكَيْهُونَ . وهل هي بمعنى القراءة الأولى ؟ فيه قولان : أحدهما : أنهما بمعنى واحد . كما يقال حاذِرٌ وحَذِرٌ . قاله الفراء . والثاني : أن الفكيه : الذى يتفككه ، يقال فلان يتفككه بالطعام . قاله أبو عبيدة .

### قوله تعالى : « م وَأزواجهم فى ظلال »

الأزواج : الحلائل . والظلال جمع ظل . وقرأ حمزة والكسافى فى ظلل . قاله الفراء وهى جمع ظل ، وقد تكون الظلال جمع ظلة أيضا .

قال المنسرون : المراد بالظلال كنا القصور . والقصور أن بناء الجنة محكم عال فلو كان هناك شمس كان فى ظلهم ما يرد .

أخبرنا عبد الأول أخبرنا الداودى ، أنبأنا ابن أعين حدثنا القزيرى ، حدثنا البخارى ، عن مَعْمَرٍ عن هَمَّامِ بْنِ مِنْبِهِ ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولُ زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا ييصقون فيها ولا يمتنعطون ولا يتفوطون ، آتيتهم فيها الذهب وأمشاطهم من الذهب والنفضة ومجاميرم الألوة<sup>(٢)</sup> ورشعهم السك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مع سَوْقِهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يستحون الله بكرة وعشيا<sup>(٣)</sup> » ( وقال كعب ) لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بدأ مغمصها لذهب ضوء الشمس ! .

(١) لا يَنْ تامر : أى ذولبن وذوتمر .

(٢) الألوة : عود يتغير به .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب بدء الخلق باب ما جاء فى صفه الجنة وأنها مخلوقة .



أخبرنا محمد بن منصور، عن عباد بن راشد، عن ثابت البناني، قال: كنت عند أنس بن مالك فقدم عليه ابن له من غزاة فساء له ثم قال ألا أخبرك عن صاحبنا فلان؟ قال: بينا نحن في غزاتنا قافلين إذ ثار وهو يقول: والأهلاء والأهلاء. فثَرْنَا إليه فظننا أن عارضا عرض له فقلنا: له ما شأنك؟ فقال: إني كنت أحدث نفسي أن لا أتزوج حتى أستمهد فيزوجني الله تعالى الحور العين، فلما طالت على الشهادة حدثت نفسي في سفي هذا إن أنا رجعت تزوجت، فأتاني آت في منامي فقال: أنت القاتل: إن أنا رجعت تزوجت؟ قم قد زوجك الله العتية. فانطلق بي إلى روضة خضراء مُعشبة فيها عَشْرَ جَوَارٍ في يد كل جارية صنعة تصنعها لم أر مثلهن في الحسن والجمال، قلت لمن: فيكن العتية؟ قلن: لا نحن من خدمها وهي أملك، فانطلقت فإذا أنا بروضة أعشَب من الأولى وأحسن فيها عشرون جارية في يد كل جارية صنعة تصنعها ليس العشر إلين بشيء من الحسن والجمال. قلت: فيكن العتية؟ قلن: لا نحن من خَدَمها وهي أملك. فضيت فإذا أنا بروضة أخرى أعشَب من الأولى والثانية وأحسن، فيها أربعون جارية في يد كل جارية صنعة تصنعها ليس العشر والعشرون إلين بشيء من الحسن والجمال قلت: فيمكن للعتية؟ قلن: لا نحن من خدمها وهي أملك. فانطلقت فإذا أنا بياقوتة مجوفة فيها سرير عليها امرأة قد فضلت السرير قلت: أنت العتية؟ قالت: نعم مرحبا فذهبت أضع يدي عليها فقالت: مه إن فيك شيئا من الروح بعد، ولكن فطرَكَ عندنا القيلة.

قال: فما فرغ الرجل من حديثه حتى نادى مناد: يا خيل الله ازرقي وأبشري بالجنة. قال: فجعلت أنظر إلى الرجل وأنظر إلى الشمس ونحن مصطفون الصدو، وأذكر حديثه فما أدري أيهما رأيته بدر أول؟ هو أو الشمس سقطت أول؟ قال أنس: رحمه الله تعالى.

(سجج)

يا هذا لقد بلغ القومُ الآمال ، ونالوا مُلكاً عظيماً لا يزال ، فأين ذاك النعب وتلك  
الأقال ، وبقي المدحُ والتَّرحُّ زال ، « هم وأزواجهم في ظلال » .

طالماً نصبوا في خدمة ذى الجلال ، فشغلهم عن اللذات أشغال ، وأزعجتهم عن  
الشهوات أوجال ، وقلقهم المرت إذا خطر بالقلب وجال ، فإذا وردوا تَلَقَّوْا بالنوال ،  
« هم وأزواجهم في ظلال » .

بالغ القوم في التعقيق ، وأخذوا بالأمر الوثيق ، وأنذرهم المِرتُ فما أَبْلَنَهم الرفيق  
فجَدُّوا حتى خرجوا من المضيق ، فأما البَطالُ فإنه لما تَلَحَّجَّ الطريق ، رآه قد طال .  
صام القومُ عن الشهوات ، وقاموا لله في الخِلوات ، وجَبَسُوا الألسنَ عن فُضُولِ  
الكلمات ، وتركوا في الجلة جُلة اللذات ، فانقضى رمضانُ صومِهِم ، وجاء شوال ،  
« هم وأزواجهم في ظلال » .

كم بينك وبينهم ، أسخَنُ الشرِّ عَيْنَكَ وأَقْرَبُ الغِيْرِ أَعْيُنَهُم ، نالوا الحظَّ ونِلَتْ  
الحَضِيضُ ، أين أنت وأين هم ، وإنما يَكُنالُ للعبد كما كال .  
سبعانَ مَنْ أصلحهم وساعهم ، وعاملهم فأَرْبَحَهُم ، وأثْنَى عليهم ومدحهم ،  
وأقال مُجْتَرَحَهُم وقال : « هُمُ وأزواجُهُم في ظلال » .  
قطموا اللهاية ففازوا ، وعبَّروا قناطر الخوف وجازوا ، ونالوا غاية المَنَى وحازوا ،  
فَسَلِمَ الرِّيحُ ورَأْسُ المَالِ « هم وأزواجهم في ظلال » .

قوله تعالى « على الأرائك متكئون »

قال ثعلب : لا تكون الأريكة إلا سريراً في قبة عليه شواره ومتاعه ، والشوار  
متاع البيت .

نمبوا فأربحوا ، وزهدوا فأبيحوا ، زال نصَبُهُم وارتفع تمبُهُم ، وحصل مقصودهم ،  
ورضى بمبودهم .

قوله تعالى : « ولهم ما يَدَّعون » أى ما يتمنون . قال ابن قتيبة : العرب تقول ادَّع ما شئت . أى تمنى ما شئت . وقال الزجاج : هو مأخوذ من الدعاء وللغنى : كل ما يدعو به أهل الجنة بأنهم .

وقوله : « سلام » يدل من ما . وللغنى : لهم ما يتمنون سلام أى هذا معنى أهل الجنة أن يسلم الله عز وجل عليهم . و « قولاً » منصوب على معنى : لهم سلام بقوله الله قولاً . وفى حديث جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يقول : السلام عليكم يا أهل الجنة . فذلك قوله عز وجل : « سلام قولاً من رب رحيم » فينظر إليهم وينظرون إليه ولا يلتفتون إلى شئ من النعم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم .

### (سجع)

أين السعدون لهذا الأمر الجسيم ، أين المخاطر فى طلب ذا الفضل العظيم ، أين للتأهب خِلاَعُ الفوز والتقديم « سلام قولاً من رب رحيم » .  
لو رأيتهم فى دار الإقامة ، حل غاية الفوز والسلامة ، وعلى القوم حُلل الكرامة ، وبِلالِك يُسمهم كلامه العزيز القديم ، « سلام قولاً من رب رحيم » .  
حلوا فى جوار الجبار ، غفوا بضائع الأسفار<sup>(١)</sup> ، فجوزوا أنت قيل لهم : جُوزوا بلا عثار ، وأشرِفُ من جناتِ بحرى من تحتها الأنهار ، أن أشرِف عليهم الكرم بكل شكرهم ، « سلام قولاً من رب رحيم » .  
طالما تَمَكَّنُوا تَمَكَّنَ السَّليم<sup>(٢)</sup> ، وبكروا فى الدُّجى بكاء البقيم ، فانتشع الأمر إلى أن سامحَ الغريم ، فأحلَّهم برضوانه جناتِ النعيم ، والعيون تجرى من دحيق وتسليم ، وواسطة ذلك العِقد المُنَمِّن النظيم ، « سلام قولاً من رب رحيم » .

(١) أى البضائع التى كانوا يؤدونها فى وقت الحرب . (٢) السليم : الديق .

## المجلس الثاني

### في ذكر الطهارة

الحمد لله مُحْكِمِ الخلق ومُتَمِّنِ الصنعة ، ومَالِكِ يوم الحشر والجزاء والرجفة ،  
المقدِّر ما شاء فن ذا الذي يستطيع دَفْعَهُ ، أراد فلم ينفع العبد إن بذل جُهدَهُ ووسعه ،  
وعلم إخلاص النية من مقصود السُّعة ، وتَمَيَّع فلم يَمْنَعِ اختلافُ اللغاتِ سَمَمَهُ ، وأبصر  
حقَّ جَوَفِ الجَوَفِ وجريانِ الدُّمعة ، وشرَّع فشهدت العتول بصحة الشريعة ، ومنع  
فن ذا الذي بهلى ما قدَّرَ منَعَهُ ، صفاته كذاته وما يُشَبِّهُ الصانعُ صنْعَهُ ، الاستواء  
معلوم والكَيْفُ مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

أحمده حمداً يَدوم ما دامت الأيام السبعة ، وأشهد أنه قالق الحب عن الطَّلعة ،  
وأصل على رسوخة محمد البعوث بأفضل شريعة ، وعلى أبي بكر أول من جمع هذه الرتبة ،  
وعلى عمر فتاح الأمصار فكَّم قلع ثلعة ، وعلى عثمان الصابر على مضيق تلك الصرعة ،  
وعلى علي الذي مداخمه أنفق من كل سلعة ، وعلى عمه العباس أبي الخلفاء وأكرم بهذا  
البيت رِفعة .



أخبرنا أبو الحسن الأنصاري بسنده عن يحيى أن زيدا حدثه أن أبا سلام حدثه ،  
عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطَّهَورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ،  
والحمد لله تَمَلُّاً لِلْإِزَانِ ، وسبحان الله والحمد لله تَمَلَّانِ أو تَمَلَّأ ما بين السماء والأرض ،  
والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل  
يَنْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَاقُهَا أو مُوبِقُهَا .

انفراد بإخراجه مسلم<sup>(١)</sup> .

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ١

اعلم أن الطهارة على أربعة أضرب :

الضرب الأول : تطهير البدن عن نجس أو حدث أو فضلة من البدن . فأما طهارة الانجاس ففي الصحيحين من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر بقبرين فقال : « إنهما ليدَّبان وما يدَّبان في كبر : أما أحدهما فكان لا يستتره من البول <sup>(١)</sup> » .

قال الخطابي : معناه أنهما لم يمدَّبا في أمر كان بكبير عليهما فله أو يثق .  
وروى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « استترَ هوا من البول فلن عامة عذاب القبر منه » .

وأما طهارة الأحداث ففي التفريط فيها وعيد شديد . ففي الصحيحين من حديث عبادة بن عمرو قال : تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فأدركنا ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا قال فنادى بأعلى صوته ، مرتين أو ثلاثاً : « ويلٌ للأعقاب من النار <sup>(٢)</sup> » .

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل أمر بعبد من عباده أن يضرب في قبره مائة جلدة ، فلم يزل يسأل ويسأل حتى صارت جلدة واحدة ، فامتلاً قبره عليه ناراً فلما أفاق قال : لم جلدتموني ؟ قالوا : إنك صليت صلاةً بقبر طهور ، ومررت على مظلوم فلم تنصره » .

\*\*\*

وقد مُدح إسباغ الوضوء . ( أخبرنا ) هبة الله بن محمد بسنده عن جامع بن شداد قال سمعت عمران بن أبان يحدث عن عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ١١١

(٢) صحيح البخاري كتاب الوضوء ، وصحيح مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ٢٠ - ٢٨ .

عليه وسلم : « من أتى الوضوء كما أمره الله عز وجل فالصلوات المكتوبات كفارة لما بينهن <sup>(١)</sup> » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا توضأ العبدُ للسلام أو للؤمن فقبل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء أو نحو هذا فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب » .  
انفراد بإخراج الحديثين مسلم <sup>(٢)</sup> .

وأما غسل الجنابة فروى أبو داود من حديث علي عليه السلام أنه قال : من ترك موضع شجرة من جنابة لم يسلها فقل به كذا وكذا من النار قال عليه السلام : فمن تمَّ عاديته رأسى . وكان يَجُزُّ رأسه .

وأما الفضلات فنوعان : أوساخ تبتري البراجم والأنسان . قال مجاهد : أبطأ للملك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه فقال لملئ أبطأت ؟ قال : قد فلتت . قال : وما لى لا أفعل وأنت لا تقسوكون ولا تقصون أغفاركم ولا تنفون برأجكم ا قال ابن الأنبارى : البراجم : النصوص التى فى فصول ظهور الأصابع تبدو إذا جمعت وتقص إذا بسطت . والرَّوَّاجِب : ما بين البراجم ، بين كل برجتين راجبة . أخبرنا عبد الأول بسنده عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتى ، أو على الناس ، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة .  
أخرجاه فى الصحيحين <sup>(٣)</sup> .

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ١١ (٢) صحيح مسلم كتاب الطهارة .  
(٣) صحيح البخارى كتاب الجمعة وكتاب الصوم وكتاب التيمم . وصحيح مسلم كتاب الطهارة . حديث رقم ٢٢٢ .

وأخرجنا من حديث حذيفة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشُوصُ  
فاه بالسواك<sup>(١)</sup> .

قال أبو عبيد : الشُوصُ وَالْوُوصُ : الفسل . وقال ابن الأعرابي : الشوص : الدلك  
والموص : القفل .

أخبرنا علي بن عبد الله وأحمد بن الحسين وعبد الرحمن بن محمد بسندهم عن  
معاوية بن يحيى عن الزهري عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه  
قال : « تفضل الصلاة التي يبتك لها على الصلاة التي لا يبتك لها سبعين ضعفا ،  
وبفضل الذكر الخلق على غيره من الذكر بسبعين ضعفا » .

وأما الأجزاء : قص الشارب ونشف الإبط وحلق العانة وتقليم الأظفار .

\* \* \*

والضرب الثاني : تطهير الجوارح عن الآثام . قال الله عز وجل : « إن السمع  
والبصر والنفوذ كل أولئك كان عنه مثولا »<sup>(٢)</sup> .

واعلم أن الجوارح كالسواق توصل إلى القلب الصافي والكدير ، فن كفها عن  
الشر جلت مدة القلب بما فيها من الأخلاط فأذا بنها وكفى بذلك رَحِيَةً ، فإذا جاء الدواء  
صادف محلا قابلا .

ومن أطلتها في الذنوب أوملت إلى القلب وسخ الخطايا وعُلم للعاصي ، فلو وضع  
الدواء كان بينه وبين القلب حجاب ، فلا تسكاد الجوارح تسلم من الخطايا إلا بالبرقة ،  
فن أمكنه فاحسنه ، ومن لم يمكنه تحفظ في مخالطته للخلق تحفظ المجاهد في الحرب .

\* \* \*

(١) صحيح البخارى كتاب الوضوء وكتاب التيمم . وصحيح مسلم كتاب الطهارة ، حديث

رلم ٤٦ و ٤٧ .

(٢) سورة الإسراء ٣٦ .

والضرب الثالث : تطهير القلب عن الأخلاق الذمومة من الحوص والحسد والكبر وغير ذلك ، ولا يمكن معالجته من أدوائه بدوائه حتى تقع الرحمة التي وصفناها في كفت الجوارح ، ثم يمالج كل داء بدوائه . وكم من مقعد يباليغ في كثرة الصلاة والصوم ولا يمانى صلاح القلب ، وقد يكون عنده الكبر والرياء والنفاق والجهل بالعلم ولا يحس بذلك ، وقد يكون تطلعه إلى تقبيل يده وإجابة دعائه ، وهذه آفات لا دواء لها إلا الرياضة بالعلم ليتع التهذيب بإصلاح دائه ، وإنما تنفع العيادة وتظهر آثارها وتبين لذاتها مع إصلاح أمراض القلب .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن عبد الرحيم بن يحيى الديلمي قال : حدثني عثمان بن عمار قال : وردت الحجرة<sup>(١)</sup> مرة فلذا أنا بمحمد بن ثوبان وإبراهيم بن آدم وعبد المقرئ وهم يتكلمون بكلام لا عقله ، قلت لهم : يرحمكم الله ؛ إني شاب كما ترون أصوم النهار وأقوم الليل وأحج سنة وأغزو سنة ، ما أرى في نفسي زيادة . فشغل القوم عني حتى ظننت أنهم لم يفهموا كلامي ثم حان من واحد منهم التفاتة فقال : يا غلام إن هم القوم لم يكن في كثرة الصلاة والصيام إنما كان هم القوم في نفاذ الأبصار حتى أبصروا .

• • •

الضرب الرابع : تطهير السر عما سوى الله عز وجل . وهذه المرتبة العليا ولم تحصل إلا لمن تجلت له أوصاف الحبيب فدخل في دائرة الحية .

أخبرنا عمر بن ظنر بسنده عن سعيد بن عبد العزيز قال : أخبرنا أحمد بن أبي الحواري قال : سألت محمود أبا سليمان وأنا حاضر : ما أقرب ما يقترب به إلى الله عز وجل فبيكي أبو سليمان ثم قال : مثل يسأل عن هذا أقرب ما يقترب به إليه أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو<sup>(٢)</sup> .

(١) كذا ، وحجرة : بدو باليمن كما في مجمع البلدان . (٢) ذم الهوى ٧٧ .



قال ابن جَهْضَم : وحدثنا عبد الجبار بن بشران قال : سمعت سهلاً يقول : من نظر إلى الله عز وجل قريباً منه بعدد عن قلبه كل شيء سوى الله عز وجل ومن طلب مرضاته أَرْضاه الله عز وجل ومن أسَلَمَ قلبه إليه تولى الله جوارحه <sup>(١)</sup> .

قال ابن جهضم : وحدثني أحمد بن عليّ قال حدثني عباس بن عبد الله الماشي قال : سمعت سهل بن عبد الله يقول : ما من ساعة إلا والله مُطَّلِعٌ على قلوب العباد ، فأَيَّ قلب رأى فيه غيره سلَّط عليه إبليس <sup>(٢)</sup> .

قال ابن جهضم : وحدثني عمر بن يحيى قال مثل الشُّبْلِي عن قوله عز وجل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » فقال : أبصار الرءوس مما حرم الله ، وأبصار القلوب مما سوى الله عز وجل <sup>(٣)</sup> .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن عليّ بن عبد العزيز قال سمعت أحمد بن أبي العوّارى يقول : بات أبو سليمان ذات ليلة فلما انتصف الليل قام ليتوضأ فلما أدخل يده في الإناء بقى على حاله حتى انفجر الصبح وكان وقت الإقامة فنخشت أن تفوت صلاته فقلت : الصلاة رحمتك الله فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال : يا أحمد أدخلت يدي في الإناء فمارضني عارض من سرّمي : هَبْ أَمَكْ غسلت بالماء ما ظهر منك ، فإذا تنسل قلبك ؟ فبقيت متفكراً حتى قلت : بالهموم والأحزان فيما يفوتني من الأنس بالله عز وجل .

• • •

يا هذا إذا تروضأت بغير نية قيل للماء : ابدل له البَلَل لا الطهارة ، فإذا نويت قيل له طهارة الظاهر ، فإذا صفا قلبك فقد حصلت طهارتك حقيقة !

(١) ذم الموى ٧٩ .

(٢) ذم الموى ٧٧ .

(٣) ذم الموى ٧٧ .

### (الكلام على البسمة)

أرى الناس سَفَرًا في طريق التشاغلِ      فَمِنْ بِالْفِرِّ أُخْرَى الْمَذَى وَمُشَارِفِ  
وما بَطْنُ هَذِي الْأَرْضِ إِلَّا قَرَارَةٌ      وأرواحنا مثلُ السيولِ الجوارِفِ  
وما الدهرُ إِلَّا جَسْوَةٌ ثُمَّ أَوَّلَةٌ      ونحن بِمِرْصَادِ الرِّقِيبِ الْمُشَارِفِ  
أيها المنفكر في القبور الدوَارِسِ ، الباكي على من كان به يستأنس ، اهلك مُطْلَقًا  
ما يَرْعَوِي بِتَنْقِلِ أَهْلِ الْحَايِسِ ، تَيْقِظُ لِلْخَلَّاصِ ، قَالِي كَمْ أَنْتَ نَاعِسٌ ، وَقُمْ مَبَادِرًا  
لِلْفَوْتِ قَالِي كَمْ أَنْتَ جَالِسٌ ، لَيْتَ شَعْرِي مَتَى تَنْزُودُ ، وَمَتَى تُبَيِّضُ الْقَلْبَ الْأَسْوَدَ ،  
أَيْنَ الْفِرَارِ وَالرَّقِيبِ بِالرَّصَدِ ، إِلَى مَتَى مَعَ الزَّلَلِ وَالْإِسْرَافِ ، إِلَى كَمْ مَعَ الْخَطَايَا وَالْإِقْرَافِ ،  
أَيْنَ النَّدَمِ وَأَيْنَ الْإِعْرَافِ ، لَقَدْ سَمِعْتَ مِنَ الْوَعْظِ كُلِّ شَافٍ كَافٍ ، أَنْتَ فِيهَا يَنْفَعُكَ  
قَاعِدٌ ، وَفِيهَا يَضُرُّ نَاهِضٌ ، تَتُوبُ بِلِسَانِكَ وَتُضِرُّ بِمِخْنَانِكَ ، أَنْتَاقِضُ ؟ الشَّرُّ فِي بَاطِلِكَ  
دَاخِلٌ فِي الْغَوَامِضِ ، أَسَدُ الشَّرِّ فِي الْبَيْعِ وَالشُّرَا ، فَإِذَا بَرَى الْخُدَيْمَةَ خِلَا الرِّابِضِ ،  
يَا غَانَا لَهَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ أَمْسَكَرُ هَذَا أَمَّ بَلَكْ ، مَا عُدُّرُ مِنْ تَدَثُّرٍ فِي ظِلْمَاتِ الْعَيْبِ ، بَعْدَ إِضَاءَةِ  
نُورِ الشَّيْبِ ، يَا أَسْفَى مِنَ الْمَحْتَضَرِّ ، إِذَا عَلِمَ مِنْ قَدْ حَصَرَ ، وَقَلَّبَ الطَّرْفَ مُتَعَبِرًا وَنَظَرَ ،  
وَرَأَى الْمَجَانِبَ وَقَلَّبَ الْبَصَرَ ، وَنَدِمَ عَلَى إِغْفَالِهِ زَادَ الْفَرَّ ، وَجَرَى دَمْعُ الْأَمْسِ ثُمَّ انْهَمَرَ  
وَاحْتِاجٌ إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الزَّادِ وَافْتَقَرُ ، وَلَمْ يَنْفَعِهِ كُلُّ مُسْتَوْرٍ مُدْخَرٍ ، وَتَقَطَّعَ فَوْزَاهُ أَصْفَا وَانْفَطَرَ ،  
إِنْ هَذَا لِمَعْرَةٍ لِمَنْ أَعْتَبِرَ ، إِنْ كَانَ قَدْ سَبَقَكَ الْغَيْرُ فَأَنْتَ عَلَى الْأَثَرِ ، يَا هَذَا الْحَسَابُ شَدِيدُ  
وَالطَّرِيقُ بَعِيدُ وَقَدْ خَافَ مِنْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ سَكَنَ مِنْ لَا أَمْنٍ لَهُ ؟

كَانَ أَبُو بَكْرٍ الْعَدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : وَدِدْتُ أَنْيَ شَفَرَةٌ فِي صَدْرِ مُؤْمِنٍ .

وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : وَدِدْتُ أَنْيَ أَفْلَكٌ كُنَانًا لَا عَلَى وَلَا لِي لَوْ أَنَّ لِي  
طِلَاحَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَفَضَّةً لَأَنْتَدَيْتُ بِهَا مِنْ هَوْلٍ لِلطَّلَعِ ، لَوْ أَنَّ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا  
لَأَنْتَدَيْتُ بِهَا مِنْ هَوْلٍ مَا أُمَامِي قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ مَا الْخَيْرُ .

لما طعن عمر رضى الله عنه قال له ابن عباس رضى الله عنهما: لَتَهْنِكَ الْجَنَّةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.  
فَقَالَ: غُرٌّ بِهَذَا غَيْرِي يَا بَنَ عَبَّاسٍ قَالَ: وَلَمْ لَا أَقُولُ لَكَ هَذَا؟ فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ إِسْلَامُكَ  
لَعَزًّا وَإِنْ كَانَتْ هِجْرَتُكَ لَمَقْتَعًا وَإِنْ كَانَتْ وَلَا يَتَكَ لَمَدَلًا وَلَقَدْ قُتِلْتَ مَقْلُومًا. فَقَالَ:  
تَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَكَأَنَّهُ تَلَكَّأَ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ جَانِبِهِ  
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

هذا خوف عمر رضى الله عنه وأين مثل عمر! كانت الصوامت تنطق بفضله وهو  
أسير خوفه وحزنه ولو رأيته لقلت له:

سَلْ مِنْ فَضَائِلِكَ الزَّمَانَ فَتُخَيَّرَا      فنظير مجدك لا أراه ولا يرى  
أَوْ لَا نَدْعُهُ وَادْعِي الشَّرَفَ الَّذِي      أعيان الأنام فلت تلتقى مُذَكِّرَا  
مَا احْتَاجُ يَوْمًا أَنْ يَظَامَ بِشَاهِدٍ      حق أزال الشك واجتاح للرا  
فَلَقَدْ جَعَلْتَ مَنَاقِبًا مَا اسْتَجِيبَتْ      مشهورة ما استجبت ففسرا  
فَضْلَ الْأَنَامِ وَأَنْتَ أَتْبَنُهُمْ قَرًّا<sup>(١)</sup>      في حل نائبة وأعجلهم قرأ  
بِوَلَمَ تَمْلِكْ الْأُمُورَ قِيَادَهَا      صفقت<sup>(٢)</sup> فرى عما عرى ووَهَتْ عَرَى  
فَتَقَدَّمَ الْأُمَرَاءُ غَيْرَ مُنَازِعٍ      فوراء زندك كل زند قد ودى  
مَا بَيْنَ مَجْدِكَ وَالْحَاوِلِ مِثْلُهُ      إلا كما بين الثريا والثرى  
وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَوْ أَنِّي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَا أُدْرَى إِلَى أَيِّهَا أُصِيرُ  
لَاخَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيِّهَا أُصِيرُ.

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ: أَمَّ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَبُؤْسِ السَّرِّ وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ!

وَإِعْجَابًا لَخُوفِهِمْ مَعَ التَّقْوَى وَأَمْنِكَ مَعَ اللَّامِ!

(١) الفراء: أظهر.

(٢) صفقت: ضقت أو اضطرت.

يا سكران الهوى متى تُفِيق ، رَحَلَ الأَحبابُ وما عرفتَ الطريق ، وانسعت  
 الرِّحَابُ وأنت في المضيق ، وقد بقي القليل ونفَسٌ بالريق ، وتماين زفير الموت وتمايلج  
 الشهيق ، ويبطل القوى ويخرس المنطيق ، وتُفَسِّس في بحر التلف ومن للفرق ، ويخلف  
 بيدك الدود للتقطيع والتمزيق ، وخرب الحصن وحطم الفُصن الوريق ، وخَلَوَت  
 بأعمالك وبجافك الصديق ، فإذا قت من قبلك فما تدرى في أى فريق ، يا مُعرضاً كلَّ  
 الإعراض عني ، كم رسولٍ قد أناكَ مني ، وبحك مني أمنية للتمني ، أنصرت على معصيتي  
 وتقول ظني ، أنتفض عزمك معي ومع العدو تبني ، أتترك كلامي وتختار أن تنفي ،  
 يا لهوى كم صار بشرّك ، كم عَقل عقلاً فدار في فلكك ، كم غيّر نورا من الهدى بملكك ،  
 كم بطل بطلا في حربيه ومُعتزك ، كم أبكى مغرورا بعدله وضحك ، كيف يفرح من  
 الموت بين يديه ، وكيف يلهو من ماله بلا عليه ، وكيف بغفل ورسل الموت تخلف  
 إليه ، كيف يلتذ بوطنه من يرى اللحد بيمينه :

إني أبشك من حديثي والحديث له شجون  
 غيرت موضع مرقدي ليلا فنافرتي السكر  
 قل لي فأول ليلة في القبر كيف ترى تكون؟

الكلام على قوله تعالى: « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء  
 فتُصْبِح الأرض مخضرة »<sup>(١)</sup>

المрад بالماء ها هنا المطر . وقد جعل الله عز وجل الريح سببا لإتارته فقال عز وجل:  
 « الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا »<sup>(٢)</sup> وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينزعج إذا  
 رأى الريح أو التيم .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي الأنضر ، عن سليمان بن يسار ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه فقلت يا رسول الله الناس إذا رأوا النعم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية . فقال : يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب ؟ قد عذب قوم بالريح ، وقد رأى قوم العذاب فقالوا : « هذا عارض مُطَرِّنا » .

أخرجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عباس : الرياح ثمان : أربع رحمة ، وأربع عذاب . الرحمة : الميثرات ، والمنشيرات ، والمرسلات ، والرؤخاء . والعذاب : العاصف ، والفاصف وهما في البحر ، والعقيم والعصرصر ، وهما في البر .

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به .

وروى ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بمذابك وعافنا قبل ذلك »<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عباس : الرعد صوت ملك يَزْجُر السحاب كما ينق الراعي بالضم . وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد يقول : إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض . وقال شهر

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الأحقاف .

وصحيح مسلم كتاب الاستسقاء حديث رقم ١٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات .

ابن حَرْشَب : الرعد ملكٌ موكل بالسحاب يسوقه كما يسوق الخادى الإبل يَبْجَحُ كلما خالفت سحابة صاح بها فإذا اشتد غضبه طار النار من فيه <sup>(١)</sup> .

وسمع سليمان بن هبـد الملك صوت الرعد فارتجح فقال عمر بن عبد العزيز : هذا صوت رحمة فكيف لو جاء بسخط ؟ !

وقال عليّ كرم الله وجهه : البرق مخاريق بأيدي اللاتسكة يسوقون بها السحاب .  
وقال أبو الجلد : البرق هو تلاقؤ الماء ، والصواعق مخاريق يُزَجَرُ بها السحاب .  
قال عطاء : الصّاعقة لا تصيب ذا كرم الله تعالى .

وقال ابن عباس : ما من عام أكثر مطرا من عام ولكن الله تعالى يصرفه في الأرضين .

قال عطاء بن أبي رباح : قال موسى عليه السلام : يا رب هذا الفيث لا ينزل ، وينزل فلا ينفع ؟ قال : لكثرة الزنا وظهور الرِّبَا .

وقال عمر رضي الله عنه : إن الرِّجَف من كثرة الزنا وإن تعرج المطر من قضاة السوء وأئمة الجور .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك بسنده ، عن محمد بن واسع ، عن سمير بن نهار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال ربكم عز وجل : لو أن عبادي أطاعوني لستقيهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد » <sup>(٢)</sup> .

قال هرون : وحدثنا عثمان بن مبارك ، عن فضالة قال سمعت الحسن يقول : كانوا

---

(١) هذه الأنوال لبس لها مستند صحيح ، وقد عرف المحققون من العلماء الأندلسيين الأسباب الملية لتلك الظاهرة ، ومنهم الشريف الرضي في كتابه « تلخيص البيان و عجرات القرآن » ص ١٢٦ ( تحقيق الأستاذ محمد عبد الفتى حسن ) .  
(٢) ذم الهوى ص ١٨٥ .

يقولون - معنى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - الحمد لله الذي لو جعل هذا الخلق خلقنا دائما لا يتصرف لنال الشاك في الله عز وجل : لو كان لهذا الخلق ربٌ لحادثه ، وإن الله تعالى قد حادث بما ترون من الآيات ، إنه قد جاء بضوء طبع ما بين الخافتين وجعل فيها معاشا وسراجا وهاجبا ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق ، وجاء بفلمة طبقت ما بين الخافتين وجعل فيها سكا ونجوما وقرا متيرا وإذا شاء بنى جعل فيه للطر والرعد والبرق والصواعق ، وإذا شاء صرف ذلك ، وإذا شاء جاء ببرد يُرقف الناس وإذا شاء جاء بحرٌ يأخذ بأنفاس الناس ليملم الناس أن لهذا الخلق ربا يحادثه بما يرون من الآيات كلها ، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استسقى يقول : اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، اللهم اسقنا غيثا هنيئا مريعا غدقا طبقا عاجلا غير راث نافعا غير ضار اللهم اسقنا سقيا وادعة نافعة .

قال أنس : أصابنا مطر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه حتى أصابه المطر وقال : إنه حديث عهد بربه .

وفي لفظ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي ثيابه أول مطرة تمطر .  
وقال عكرمة : كان ابن عباس إذا مطر يقول : يا عكرمة اخرج الرياح أخرج كذا حتى يصيبه المطر .

وقال عبيد بن عمير : يبعث الله ريحا تنقيم الأرض ثم يبعث للثيرة فتثير السحاب ثم يبعث المؤلفة فتؤلفه ثم يبعث اللواقيح فتلتح الشجر .

وقال عكرمة : ينزل الله عز وجل الماء من السماء السابعة فتقع القطرة منه على السحاب مثل البعير . قال كعب : والسحاب غربال المطر ولولا السحاب لأفسد ما يتبع عليه .

وقال ابن عباس : للطر مزاجه من الجنة فإذا كثر الزاج كثرت البركة وإذا جاء القطر من السماء فتحت الأصداف فكان لؤلؤا .

وفي حديث أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : عند نزول الغيث تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء .

قال المنسرون : إذا نزل القطر على الأرض اهتزت أى تحركت للنبات ، فإذا أراد الخروج ارتفعت عنه فهو معنى قوله عز وجل « وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ » أى من كل جنس « بَرِّيحٍ » أى أنه يُبهِج ويسر .

\* \* \*

يا من قد أجدبت أرض قلبه ، متى تهب ريح المواعظ فتثير سحابه ، فيه رعود تخويف وبروق خشية فتقع قطرة على صخر القلب فيتروى ويُنبت ؟  
يا من أجدبت أرض قلبه ، واشتغل عنها ولها ، أخرج إلى صحراء التيقظ واستنق لها ، هيهات أن تخضر أرض القلب حتى يتروى الخلد من عين العين . لا تياس من جَدَب الجَدَب فليس يستحيل أن يستحيل .

### سجع

سبحان المنفرد بالقدرة ، فلا تقدر الاطلاق قدره ، أنعم فمن يطيق شكره ، كلا إن الغافل في سكرة « أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة » .

جَلَّ صِفَةً وَعَزَّ اسْمًا ، وبسط أرضًا وزفح سما ، وأنزل من السماء ماء ، فحيى النبات فسموه جُزْء « فتصبح الأرض مخضرة »

نمرفه القلوب والألباب ، ويسبجه الصَّخْو والضباب ، انبعث الغيم فما توقف السحاب ، أقبل الرعد في صرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .

تأخر الغيث فتمسكن الضر ، ثم جاء المأومن بذلك سر ، فاستغاث النبات بما مر ، فجاء بعد أن كان قد مر ، كم كَرَّ كَرَّةً بعد كَرَّة « فتصبح الأرض مخضرة » .



أصبح الثرى عطشان ينادى واليُبْس عليه ظاهرٌ بَادِي ، فصاح الرعد بالسحاب  
صياح الحادى ، فترَوَى الوادى وسالت الجربة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
انبعث السحابُ فطَبَّقَ الأَرْجَا ، وصاح البدوى فى البَدْو : النَجَا ، والجرون متلعة  
بالنشا ، دب ثم نمش ثم قَطَطَ ثم أنرط ثم جاء بكرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
انكشفت سماء الأرض عن بُدورها ، وأذنت الغائبات النبات فى حضورها ،  
ولم تَخُنْ الأرضُ من بَذَرِ نباتها ذرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
أحضرت أمهات الزرع عن نباتها ، واجتمعت الأغصان بالقطر بعد شتائها ، وتزيّفت  
للناظرين بأنواع نباتها ، ولقد كانت عرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
فتت الزينة فى الصحارى والبرى ، وأظهرت عجائب القدرة فيما يرى ، وأشاع الثرى  
كما ترى من المكثوم سرّه « فتصبح الأرض مخضرة » .  
ماتت تحت الأرض كل البذور ، فإذا الرعد ينفخ فى الصور ، فضحك النور بالنور  
لما سرّه « فتصبح الأرض مخضرة » .  
قام ميت البذر من حُفْرته ، وقدم بعد طول سَفَرته ، ومنح النبات لكثرتة قانعة  
ومُعْتَرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
تكلمت الأطيّار والمعنى مفهوم ، وارتاحت بنطقها حتى البوم ، وتبدلت الأرضُ  
الفرح من الموم ، فانقلبَت تلك الغيوم كلها مَسْرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
جيدت الأرض فروّت التراب ، وأجيدت المواعظَ فهل أحضرت الأبواب ١٩ ،  
وما يؤثر اللومُ والمتاب ، إلا عند نفس حُرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

## المجلس الثالث

### في ذكر الصلاة

الحمد لله الذى أوضح سبيل هدايته لأرباب ولايته ، وأبهرج وحرّك أهل عبادته إلى معاملته وأزعج ، وأبدع بدائع قدرته فى محكم صنعه وأخرج ، وأوقد نيران محبته فى أفئدة أحبته وأحج ، من عرف لطفه ثنى عطفه إليه وأدّج ، ومن خاف عثبه ترك ذنبه وتحرّج ، يحب الإخلاص فى الأعمال ولا يخفى عليه البهرج ، حلّيم فإن غضب مكرّ بالعبد واستدرج ، لا يُفتزّ بحلمه فكم عقاب فى الحلم أدرج ، واعتبر بأبيك إذ فسّح لنفسه فى شهوة وأمورج ، وحام حولى النهى اغتراراً بالصفتح وعرج ، كيف أصبح لكرامه بمرير الهوان يُعزّج ، وأضحى بفسج الصوف إذ عرى عما يُندج ، وصار مغبرّ القدمين بعد قرص العزّ المُعزّج ، ولم تزل تجرى دموع عينيه إلى أن تاب عليه وفرج ، لا يخفى عليه ضمير القلب ، وإن تلوى اللسان ومَجْمَع<sup>(١)</sup> ، ولا يفيب عن بهمه فى سواد الليل طارف أدمع ، يُبهرج جرنى الثبن بسرّى فى العروق نحو الخرج ، وينزل إلى السماء الدنيا فأن الذى بالمناجاة بلمعج ، فيستعرض الحوائج إلى أن يلوح الفجر وبلمعج وما انتقل ومن عقل رأى الحق أبلمعج ، هذا مذهب من القرآن القديم والنقل القويم مُستخرج ، وهو للنهّاج العظيم فلا تُمرّج عن النهج .

أحمده على ماسرّ وما أزعج ، وأشهد بوحدانيته بغير تلجّج ، شهادة موقن ما تجلّج ، وأن عمدا عبده ورسوله الذى محاسن الشرائع فى شربته تُدرّج ، صلى الله عليه وعلى أبى بكر أول من أنفق من ماله وأخرج ، وعلى عمر الذى اضطر كسرى إلى الحرب وأخوَج ، وعلى عثمان المظالم وقد عُدل وما عدل ولا عرّج ، وعلى عليّ مبيد الطغاة وآخرهم المخدّج ، وعلى عمه العباس الذى قرن الله نبيه بنسب الرسول وأزوّج .

\* \* \*

(١) مجمع فى خبره : لم يبينه .

( أخبرنا ) هبة الله بن محمد ، قال : حدثنا الحسين بن علي التميمي ، أنبأنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، سمعت الأوزاعي يقول : حدثني الوليد بن هشام الميموني ، حدثنا معاذ بن بسندة إلى ابن أبي طلحة اليمري ، قال : لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : أخبرني بعمل أمهله يدخلني الجنة أو قال قلت بأحب الأعمال إلى الله فسكت ثم سأته الثانية فسكت ، ثم سأته الثالثة فقال : سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « عليك بكثرة السجود ، فإليك لا تسجد لله سجدة إلا رقتك الله بها درجة » وحطَّ عنك بها خطيئة » قال معاذ بن : ثم لقيت أبا الدرداء فآلته فقال لي مثل ما قال لي ثوبان .  
انفرد بإخراجه مسلم .

( اعلم ) أن الله عز وجل عظمَ قَدْرَ الصلاة لأنها أَوْفَى خدمة العبد ، والمراد من المعبود المعبود ، وهي جامعة بين خضوع بدنه ونطق لسانه وحضور قلبه ، وإن الله تعالى جعل عبادة ملائكته بين سجود وركوع وذكر ، وذلك مجموع في الصلاة ، وليس لنا فعل يدخل به الكافر في حكم الإسلام ويخرج بتركه السلم من الإسلام إلا الصلاة ، فإن عندنا<sup>(١)</sup> أن الكافر إذا صلى حُكِمَ بإسلامه سواء صلى مع جماعة أو منفردا فيُجَبَّرَ عندنا على الإسلام . وعن أبي حنيفة روايتان إحداهما كقولنا . والثانية : اشترط أن يكون في جماعة . وقال الشافعي : إذا صلى الخُرْبِيُّ في دار الإسلام حُكِمَ بإسلامه .

وأما تارك الصلاة فلا يختلف مذهبنا عن مذهب أحمد رضي الله عنه أنه يقتل حدًّا أو كفرا . فيه روايتان . إحداهما : يُقتل لكَفَرِهِ . وهو قول عمر وابن مسعود وابن عباس وجماعة وجابر والشَّعْبِيُّ والأوزاعي رضي الله عنهم . وقد دل على هذا ما أخرجه

(١) أي : عند المخابة .

مسلم في أفرادِهِ من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يَنْبَغُ الْعَبْدُ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ صَلَاةٍ » .

والرواية الثانية : يَقْتُلُ حَدًّا لَا أَنَّهُ يَكْفُرُ . وهو قول مالك والشافعي . وقال أبو حنيفة : يُحْبَسُ وَلَا يَسْتَنْابُ وَلَا يُقْتَلُ .

واعلم أن الشرع عَظَّمَ أَمْرَ الصَّلَاةِ وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ بِفَضْلِهَا .

أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم ، أنبأنا أبو عامر الأزدي وأبو بكر النُورَجِيُّ ، قالَا أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرَّاحِيُّ ، أنبأنا أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَبَوِيُّ ، أنبأنا الترمذی ، حدثنا قتيبة ، حدثنا الليث عن أبي الهادي عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَقْتُلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْءٌ قَالُوا : لَا . قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَاةِ الَّتِي يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا » .

أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

وفي أفراد مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الصَّلَاةُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، مَكْفَرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَايِرَ » .

وفي أفرادِهِ من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مِنْ أَمْرٍ سَلِمَ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيَحْسَنَ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلُهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةً ، وَذَلِكَ اللَّهُمَّ كَلَهُ » .

( أَخْبَرَنَا ) سَمِيعُ بْنُ أَحْمَدَ بَسْتَدَهْ إِلَى مُجَاهِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ فَضْلَ أَحْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ ، وَلَا يَحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ .

وقد فضّل الشرعُ تقديم الصلاة في أول الوقت .

ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة على وقتها » .

\* \* \*

وفضّلت الصلاة في الجماعة .

ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صلاة الجماعة تفضّل على الصلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة » <sup>(١)</sup> .

ودروى أس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى أربعين يوما في جماعة لم تنفقه ركعة واحدة كتب الله له براءتَيْن : براءة من النار ، وبراءة من النفاق » .

( أخبرنا ) محمد بن ناصر بسنده قال البغوى سمعت عبد الله بن عمر القواريرى يقول : لم تسكن تفوتنى صلاة العتمة في جماعة ، فنزل بى ضيف فشُكِلت به نفرجت أطلب الصلاة في قبائل اليصرة فإذا الناس قد صالوا وخَلَّت القبائل ، فقلت في نفسى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذِّ خمسا وعشرين درجة » . وروى « سبعا وعشرين » . فانتقلت إلى منزلى فصليت العتمة سبعا وعشرين مرة ، ثم رفدت فرايتنى مع قومٍ راكبي أفراس وأنا راكب فرسا كأفراسهم ونحن نتجارى فالتفت إلى أحدهم فقال لا تُجهد فرسكَ فلست بلاقتنا . فقلت : فلم ذلك ؟ قال : إنا صليّنا العتمةَ في جماعة .

\* \* \*

وورد الثوابُ لمنظر الصلاة .

فروى في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال: «لا يزال أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه لا يمنعه إلا انتظارها». وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يزال أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه لا يمنعه إلا انتظارها<sup>(١)</sup>.

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب فعمَّ من عقب ورجع من رجع، ف جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثهم فتابه عن ركبته فقال: «أبشروا يا معشر المسلمين، فهذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء يبأيكم بالملائكة يقول: «هؤلاء عبادي قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى»<sup>(٢)</sup>» وقد عظم الصف الأول فروى في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو يعلم الناس ما في الصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا»<sup>(٣)</sup>.

وفي أفراد مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو يعلم الناس ما في الصف المتقدم لكانت قرعة»<sup>(٤)</sup>.

وقد أمر المصلى بخفض رأسه استمالاً لأدب الخدمة فروى مسلم في أفراد من حديث جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَيْذِبَيْنِ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ أَوْ لَا تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ»<sup>(٥)</sup>.

وأمر المصلى بالتثبُّت في الركوع والسجود؛ حدثنا الكُروخي بسنده عن حميد عن أبي

(١) صحيح البخاري كتاب الأذان ١ / ٦٨ (ط الأبيرية) بالنظر آخر وصحيح مسلم كتاب المساجد والجمعة ٢٢٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب المساجد باب ١٩.

(٣) صحيح البيهقي ١ / ٨٤. وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٢٩.

(٤) صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٣١.

(٥) صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١١٧.

مَعْمَرٌ عَنْ أَبِي مَعْمُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُجْزَى صَلَاةٌ لَا يَقِيمُ فِيهَا الرَّجُلُ بِعَنْ صَلْبِهِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ <sup>(١)</sup> » .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ شَيْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَجُلٍ لَا يَقِيمُ صَلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ <sup>(٢)</sup> » .

\* \* \*

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَسُودَ بِالصَّلَاةِ إِنَّمَا هُوَ تَعْظِيمُ الْمُبُودِ ، وَتَعْظِيمُهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِحُضُورِ الْقَلْبِ فِي الْخِدْمَةِ . وَقَدْ كَانَ فِي السَّلَفِ مِنْ بَتْفِيرٍ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ وَيَقُولُ : ائْرُونْ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَرِيدُ أَنْ أَقْفَ ١٩

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَنْ حَضَرَ قَلْبُهُ فِي تَعْظِيمِ -لُحْطَانِهِ- حُضْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ إِمْرٍ مِنْ إِلَى جَانِبِهِ امْتِلَاءً بِهَيْبَةِ الْمُعْظَمِ ، فَإِذَا أُرِدْتَ اسْتِجْلَابَ حُضُورِ قَلْبِكَ الْغَائِبِ فَتَرَّغَهُ مِنَ الشَّوَاغِلِ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ .

وَقَدْ كَانَ أَرْبَابُ الْفَضْلِ مِنَ السَّلَفِ يَشَاعِدُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ عِبْرَةً ، فَيَسْذَكِرُونَ بِالْأَذَانِ نِدَاءَ الْعَرْضِ ، وَبِطَهَارَةِ الْبَدَنِ تَطْهِيرَ الْقَلْبِ ، وَبِسَرِّ الْعُورَةِ طَلَبَ سِرِّ الْقَبَاحِ مِنَ عِيُوبِ الْبَاطِنِ ، وَبِاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ صَرْفَ الْقَلْبِ إِلَى التَّلَبُّ ، فَمَنْ لَمْ تَكُنْ صَلَاتُهُ هَكَذَا قَلْبُهُ غَافِلٌ .

\* \* \*

يَا عِذَا إِذَا صَلَّيْتَ وَالْقَلْبُ غَائِبٌ وَجُودُهُ قَالِصَلَاةٌ كَالدَّمَ ، وَهُوَ بِالرُّؤْمِ مَتَبِّمٌ وَلَهُ بِالشَّامِ قَلْبٌ ، يَا ذَاهِلَ التَّلَبُّ فِي الصَّلَاةِ حَاضِرِ الذَّهْنِ فِي الْمَرْى ، جَدُّهُ فِي الْحَرَابِ وَقَلْبُهُ فِي بِلَادِ الْفَنَاءِ .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صَحِيحِهِ ١ / ٥٥٠ . ( ط الْأُمِيرِي )

(٢) قَالَ التِّرْمِذِيُّ : وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عِيَّانٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَرَفَاعَةَ الزُّرْقَانِ .

جاء مملوك إلى سيده فقال : ضاعت سِخْلَة الفرس ، فقام السيد يصلي ، فلما فرغ من الصلاة قال : هي في موضع كذا وكذا : فقال الغلام : ياسيدي أعد الصلاة فإنك كنت تفنّش على السخلة !

قال الحسن : يا بن آدم إذا هانت عليك صلاتك فما الذي يعزّ عليك ؟ ولما كان المطلوب حضور القلب جاء الوعد بالثواب الجزيل عليه . أخبرنا ابن الحصين بسنده عن زيد بن أسلم عن زيد بن خالد الجهني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى سجدة ن لا يسهو فيها غفر الله له ما تقدم من ذنبه » <sup>(١)</sup> . وفي حديث عباد بن الصامت رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من توضأ فأصبح الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأنم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت : حقّقتك الله كما حفظتني . ثم يضمّد بها إلى السماء ولما ضوء ونور فتفتح لها أبواب السماء حتى تنتهي إلى الله عز وجل فتشعّق لصاحبها . فإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت : ضيقتك الله كما ضيقتني . ثم أصعدت إلى السماء وعليها ذلّة فأغلقت دونها أبواب السماء فلأفت كايّلف الثوب الخلق ، فيضرب بها وجه صاحبها » <sup>(٢)</sup>

### ( الكلام على البسملة )

لا تأسفنَ لأمرٍ فاتٍ مَطْلَبُهُ هيهات ما فاتت الدنيا بمرود  
إذا اقتضت أخذتَ نقداً وإن سئلتَ فدأبها بالأمانى والمواعيد  
وما السرورُ بها للوروثِ آخره أن يُغْنِجَ الحرصُ إلا قلبُ مكْدودٍ  
وللتأسفِ يَبْقَى كلُّ مُدْخِرٍ وللعنّةِ يَنفُذُ كلُّ مولودٍ

• • •

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤ / ١١٧ ، ٥ / ١٩٤ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير والبخاري بنحوه ، وفيه الأحرص بن حكيم ، وثقه ابن اللبكي والحبلي

وضفه جماعة وبنيته رجاله ثقات . صحيح الزوائد ٢ / ١٢٢ .



يا مخلوقا من علق ، اكتف من الدنيا بالمكن<sup>(١)</sup> ، واحذر في رِيّ الهوى من  
شَرِّق ، وتذكّر يوم الرحيل ذاك القلق ، وتفكّر في هاجم يسوئ بين الملوك  
والسوق ؛ وتأهب له فرما بكر وربما طرق ، يا من شاب وماتاب ، استلب باقى الرمح ،  
أبعد الحلم جهل أم بعد الشيب نزع ، كان الشباب غصنا غصّا نعلّى عن ورق ، وأنت  
فى الشباب كالشيب تجرى على نسق ، يا غريقا فى الهوى صح من قبل الفرق ، كم  
طالب خلاصا لما فات ما اتفق .

ليأتينك من الموت ما لا يقبل رشوة ولا مالا ، إذا حال على القوى والتوبم مالا ،  
يا مختار الهوى جهلا وضللا ، لقد حلت أزرّك أوزارا نقلا ، إياك والى فكّم  
وعد الذى محالا ، كم قال لطالب نعم : نعم سأعطيك نوالا وقد نوى : لا .  
كم سقى اللوث من الحشرات كزوسا ، كم فرّغ رينا عامرا مانوسا ، كم طمس  
بدورا وثموسا واستلب نعيمًا ثم أعطى بوسا ، وأذل جبارة كانوا شوسا ، وأغض  
عيونا ونكس رهوسا وأبدل التراب عن الثياب مليوسا .

إذا كان ما فيه الفتى عنه زائلا      فتشأن فيه أدرك الحظ أو أخطا  
وليس بفى يوما سرور وغبطة      بحزن إذا المظى استرد الذى أعطى

• • •

ذهب الشباب الأسود ، وانقضى العيش الأرغد ، وقال الشيب : أنا الموت وما أبعد ،  
هذا وقلب الغافل كالجلد :

لا يدع إن ضحك القدير<sup>(٢)</sup>      فبكى لضحكته الكبير  
عاصى العزاه عن الشبا      ب وطاوع الدمع الفزير  
سقيما لأيام مضت      فطوبى لها عندى قصير

(١) القلق : جم علقه ومى ما يتلع به .

(٢) القدير : الشيب .

سَقَى الشَّبَابُ وَإِن عَقَى آتَارَ مَعْمُودِهِ الْقَتِيرُ  
مَا كَانَ إِلَّا لِلَّكَ أَوْ دَى بِلْ هَوَى وَهَوَى السَّرِيرُ  
هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّهَا خَلَعَ أَعَارَكَهَا مُسِيرُ  
وَالدهرُ يَنْقَسِمُ مَرَّةً نَفْلًا وَأَوْنَةً يُنِيرُ

\*\*\*

كلُّ راحات الدنيا هموم وكروب ، أما دوام العيش بالمشيب مشوب .  
نظر سلجان بن وهب وزير المهدي يوما في المرأة فرأى شيئا كثيرا فقال :  
عيبٌ لا عدمننا .

أنت كل يوم إلى القبر تقترب ، وسترحل إلى البلى وتغرب ، وسيا كل الحب  
بمدك وبشرب ، وكأنك إذا ذكرت أضرب ، فخذ المدة فخيّل الشدة تسرب ،  
واسمع نصحي فنصحي مجرب ، يا هذا احذر الأمل ، وبادر العمل ، فكأنك بالأجل  
هل مجل . أما الأعمار كل يوم ناقصة ، أما الفجائع واردة واقصة<sup>(١)</sup> ، أما النكبات  
لأهلها مافصة ، أما كف الموت قابضة فأنصة ، فأنى لساكن الدنيا لسلامة انماها ، كأنك  
بالموت قد تلّب وقدح<sup>(٢)</sup> ، وأوزى زناد الرحيل وقدح ، وخلت كفك يامن نيب  
وكدح ، وتساوى لديك من دم ومن مدح ، ماهذه المارة لدار خراب ، كلما عمرها  
فرم صاح بينهم للبين غراب ، آتئنى وأنت تنقض ، هذا العُجاب :

رُبَّ شريفٍ البشاء عاليه بالشيد<sup>(٣)</sup> والساج كان بانیه  
كأعما الشمس في جوانبه بالليل من حُسنه تُباهيه

(١) الواقعة : اللبسكة .

(٢) تلّب : لام وعاب . وقدح فيه : طعن .

(٣) الشيد : ما طلى به الماخط من جس ونحوه .

تَحَارُ فِي صَعْنَةِ الرِّيحِ كَمَا يَحَارُ سَارِي الظَّلَامِ فِي التَّيِّ  
 كَانَتْ صَعُونٌ فَيَحُ نَضِيقُ بِهِ فَالْشَّيْرُ فِي الْقَسْرِ صَارَ يَكْفِيهِ  
 الْجِدُّ الْجِدُّ قَبْلَ بَفَاتِ الْمَنَايَا ، الْبِدَارِ الْبِدَارِ قَبْلَ حُلُولِ الرِّزَايَا ، لِيَعْلَنَ بِكُمْ مِنَ الْمَوْتِ  
 يَوْمَ ذُو ظِلْمٍ بِنَسِيكُمْ مَعَاشِرَةَ الْذَاتِ وَالنَّعْمَ ، وَلَا يُبْقَى فِي الْأَنْوَاءِ إِلَّا طَعْمُ الْفَدَمِ :  
 سَلْ بِالزَّمَانِ خَبِيرًا إِلَى بِهِ لَعَلِمُ  
 وَاعِ الْأَمَانَةَ ظَاعِنٌ بِالْمَرْءِ وَهُوَ مَقِيمُ  
 لَا تُخْذَعْنَ بِمَنْيَةٍ أَمْ الْخُلُودَ عَقِيمُ  
 وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أُرْقَتْ فَرَجَاؤُكَ لِلْمَهْزُومِ  
 عَشِيقُ الْبَقَاءِ وَإِنَّمَا طَوْلُ الْحَيَاةِ هُمُومُ

\* \* \*

ما هذه الخصال المذمومة ، أيا أثر الفُؤُوم لَذَّةً مَسْمُومَةً ، إن هذه لمقول مرجومة ،  
 متى تيقظ هذه النفوس الملوثة ، إنها لظالمة وكأشها مظلومة ، تُعَاهِدُوا وَالْمَهْودُ كُلَّ يَوْمٍ  
 مهذومة ، لتتمنين أن تكون في غد معدومة ، لتعلمن أن اختياراتها كانت مشتومة ،  
 من لها إذا بدت لها خصال مكترمة ، كيف تصنع إذا نشرت الصحف مختومة ، ما هذا  
 الحرص الشديد والأرزاق مقسومة ، تصبح حزينة وتمسى مهمومة ، أنتدر على رد ما يُفْتَدَرُ  
 والأمور مختومة ، أسفا لما الموت يُطْلِبُهَا وَهُوَ نَوُومَةٌ ، محاربت جنده هَوًى إِلَّا وَعَادَتِ  
 مهزومة ، يا لها موعظة بين المواعظ كالأيام المعلومة أحسن من اللآلئ المنشرة . والمقود  
 للنظرمة .

الكلام على قوله تعالى : « إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون <sup>(١)</sup> » .

سبب نزولها أنه لما نزل : « إنكم وما تمبدون من دون الله حصب جهنم » شق ذلك على قريش وقالوا : شتم آلمتنا فجاء ابن الزبير فقال : ما لكم ؟ قالوا : شتم آلمتنا قال : وما قال ؟ فأخبروه فقال : ادعوه لى . فلما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا محمد هذا شىء لآلمتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله ؟ قال : بل لكل من عبد من دون الله عز وجل . قال ابن الزبير : خصيت ورب هذه البنية ! ألسنت تزعم أن الملائكة عباد صالحون وأن عيسى عبد صالح ، وأن عزيزاً عبد صالح ؟ فهذه بنو مليح يبعدون الملائكة ، وهذه النصارى تمبد عيسى ، وهذه اليهود تمبد عزيراً . فضج أهل مكة فزلت هذه الآية . قاله ابن عباس .

اسم ابن الزبيرى : عبد الله كان يهجو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [ والزبيرى ] بفتح الباء .

قال المفسرون : وإنما أراد بقوله « وما تمبدون » الأصنام ؛ لأنه لو أراد للملائكة والناس [ لقال ] ومن .

والحسنى عند العرب : كلمة توقع كل محبوب ومطلوب ؛ قال امرؤ القيس : -  
فَصِرْنَا <sup>(٢)</sup> إِلَى الْحَسَنِ وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةُ أَيْ إِذْلالِ

\*\*\*

وقوله تعالى : « أولئك عنها » أى عن جهنم « مُبْعَدُونَ » والبعد طول المسافة .  
والحسيس : الصوت تسمعه من الشئ إذا مر قريباً منك .

(١) سورة الأنبياء ١٠١

(٢) الأصل : نظرنا عرفة

وقال ابن عباس : لا يسمع أهل الجنة حيس أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة ، وهم فيما اشتبه أنفسهم خالدون .

أخبرنا عبد الأول بنده إلى عطاء بن يسار عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية فقال : إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له : أو لست فيما شئت ؟ قال : بلى ولكني أحب أن أزرع . فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستوازه واحتصاده ، فيقول الله عز وجل : دونك يا بن آدم لا يشبعك شيء . فقال الأعرابي : يا رسول الله لا نجد هذا إلا قوسيا أو أنصاريا فإنهم أصعب زرع فأما نحن فلسنا بأصعب زرع . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انفراد بإخراجه البخاري (١).

قوله تعالى « لا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ » فيه أربعة أقوال : أحدها : أنه النفخة الأخيرة رواه العوفي عن ابن عباس . والثاني : أنها إطباق النار على أهلها . رواه ابن جبير عن ابن عباس . والثالث : أنه ذبح الموت بين الجنة والنار . قاله ابن جرير . والرابع : أنه حين يؤمر بالمبدإ إلى النار . قاله الحسن .

قوله : وتلقاهم لللائكة « اختلفوا في محل التلقى على قولين : أحدهما : أنه إذا قاموا من قبورهم . قاله مقاتل . والثاني : على أبواب الجنة . قاله ابن السائب . قوله : « هذا يومكم الذي كنتم توعدون » فيه إضمار : يقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون فيه الجنة .

\*\*\*

(١) صحيح البخاري ٤ / ٢٤٦ (كتاب التوحيد باب كلام الرب مع أهل الجنة)

أبن من يعمل لذلك اليوم ، أين التفتُّظ من سِنَّة النوم ، أين من يلحق بأولئك اقوم ، جسدوا في الصلاة وأخروا في الصوم ، وعادوا على النفوس بالتوبيخ والالوم ، ليتك إن لم تقدر على الإشمام لطريقتهم حصلت الرِّؤم .

قوله تعالى : « يوم نطوى السماء » وذلك بمحو رسومها وتكدير نجومها وتكوير شمها « كطى السَّجَل » وفي السجل أربعة أقوال : أحدها أنه ملك . قاله علي بن أبي طالب ، وابن حجر ، والسُّدِّي .

والثاني : كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس .

والثالث : السجل بمعنى الرجل . روى عن ابن عباس . قال شيخنا أبو منصور اللُّدَوِيُّ : وقد قيل : السجل بمعنى لفة الحبشة : الرجل .

والرابع : أنها الصحيفة . رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس . وبه قال مجاهد والفرَّاء وابن قتيبة .

وقرأت على شيخنا أبي المنصور قال : قال أبو بكر بن دُرَيْد : السجل : الكتاب والله أعلم . ولا ألفت إلى قولهم أنه فارسي معرب .

والدعي : كما يَطْوَى السجل على ما فيه من الكتاب . واللام بمعنى على . وقال بعض العلماء : المراد بالكتاب المكتوب ؛ فلما كان المكتوب يَطْوَى بانطواء الصحيفة جُمِلَ السجل كأنه يَطْوَى الكتاب .

ثم استأنف فقال : « كما بدأنا أولَ خَلْقٍ نُمِيدُه » وفي معناه أربعة أقوال : أحدها كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاةً غُرَّةً غُرَّةً ، كذلك نُمِيدهم يوم القيامة .

أخبرنا عبد الأول بسنده عن سعيد بن جبَّير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال : « إنكم تُحشرون حفاة عراة غُرلاً كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين » .

أخرجاه في الصحيحين <sup>(١)</sup> .

والغُرْل : القَلَف ، يقال هو أَفْلَفَ وَأَغْرَلَ وَأَغْلَفَ بمعنى واحد .  
وفي بعض الأحاديث بهنًا . ومعناه : سالين من عاهات الدنيا وآفاتِها لا جُدَامَ بهم ولا بَرَصَ ولا حمى ولا غير ذلك من البلبا لكنهم يحشرون بأجساد مصححة خلود الأبد ، إما في الجنة وإما في النار ، والبهن من قول العرب : أسود بهم وكثبت بهم واشتر بهم : إذا كان لا يخالط لونه لون آخر ، فكذلك هؤلاء يبعثون مصافين عافية لا يخالطها سقم .

والثاني : أن المعنى : أنا نهلك كل شيء كما كان أول مرة ، رواه الترمذ عن ابن عباس .

والثالث : أن السماء تمطر أربعين يوماً كثي الرجال فينبتون بالمطر في قبورهم كما ينبتون في بطون أمهاتهم . رواه أبو صالح عن ابن عباس .  
والقول الرابع أن المعنى : قُدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء . قاله الزجاج .

\* \* \*

ياله من يوم ما أعجب أخواله وما أصعب أهواله وما أكثر أحواله ، مريض طَرَدَه لا بُرْجِي له ، ذِكر القيامة أزعج المتقين وخَوَفَ الرِّعْضَ أَفْلَقَ للذَّيْبِ ، ويومُ الحساب أبكى العابدين ، وأرى قلبك عند ذكره لا يلين .

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن عبد الرحمن بن محمد اللكَّارِي عن موسى الجُهَنِي قال : سمعت عوف بن عبد الله يقول : وَيَحْيِ كَيْفَ أَغْفَلَ وَلَا يُنْفَلُ عَنِّي ، أم كيف تَهْنِئُ

(١) صحيح البخاري ١٠٩ / ٤ وصحيح مسلم كتاب الجنة حديث رقم ٥٦ ، ٥٩ .

معيشتي واليوم الثقيل ورأى ، أم كيف لا يطول حزني ولا أدرى ما أقول في ذنبي ،  
 أم كيف أؤخر على ولا أعلم متى أجلى ، أم كيف يشتد عجبى بالدنيا وليست بدارى ،  
 أم كيف أجمع لها وفي غيرها قرارى ، أم كيف تعظم رغبتى فيها والتقليل منها يكفينى ،  
 أم كيف آمن فيها ولا بدوم فيها حالى ، أم كيف يشتد حرصى عليها ولا ينفعنى ما تركتُ  
 منها بمدى ، أم كيف أؤثرها وقد ضرت من أثرها قبل ، أم كيف لا أفك نفسى من  
 قبل أن يفلق رهنى .

قال عبد الله بن الحسن بن عبد العزيز الجروى ، قال : حدثنا عبد الله بن يوسف  
 الدمشقى ، قال : حدثنا محمد بن سليمان بن بلال ، أن أمه عثامة كُف بصرها فدخل عليها  
 ابنها يوماً وقد صلت فقالت : أصليتِ أى بنى ؟ فقال : نعم . فقالت :

عثام مالك لاهية	حلت بدارك داهية
ابكى الصلاة لوقتها	إن كنت يوماً باكية
وابكى القرآن إذا تلى	أن كنت يوماً تالیه
تتلى به بتفكير	ودموع عينك جارية
فالיום لا تتلى به	إلا وعندك تالیه
لحنى عليك صباية	ما عشت طول حياتیه <sup>(١)</sup>

\* \* \*

يا غافلاً عن القيامة ستدرى بمن تقع الندامة ، يا مُعرضاً عن الاستقامة أين وجه  
 السلامه ، يا مبنياً بالقدرة سينقض بناؤك ، ويا مستأناً بداره ستخلو أوطانك ،  
 يا كثير الخطايا سيخف ميزانك ، يا مشغولاً باللهو سينشر دنوانك ، يا أمجى الفهم  
 متى تفهم ، أنبأدى النصيح وتوالى الأرقم<sup>(٢)</sup> ، وتؤثر على طاعة الله كسب درهم ،

(١) الرواية في ذم الهوى لابن الجوزى أيضا . (٢) الأرقم : أُنبت الحيات وأطلمها للناس .



وتفرح بذنب عقوبته جهنم ، ستملم حالك غدا ستملم ، ستري من يبكى ومن يندم ،  
إذا جئنا الخليل وتزأزل ابنُ مريم ، يا عاشق الدنيا كم مات متيم ، يا من إذا  
خطرت له معصية صمم ، ما فطك فل من يريد أن يسلم ، ما لانفلاح علامة والله أعلم  
إن كان ثم عُذر قتل وتكلم .

أيها المثخن نفسه بجراحات الشباب ، حسبك ما قد مضى سوَدَتِ الكتاب ، أبعد  
الشيب وعظ أو زجر أو عتاب ، هيهات تفرقت وصل الوصل وتقطعت الأسباب .

حَسْبُكَ ما قد مضى من اللعب      فتب إلى الله فقل مرتقي  
طوالكم السنين فاطونياب الله      هو واخلع جلايب الطرب  
وتُب فإن الجحيم تنتظر الأشد      يب إن مات وهو لم يُب  
تظهر منها عليه أغلظ ما      تظهره لشباب من غضب  
السَّجْع على قوله تعالى « كما بدأنا أول خلق نعيده .

يا من لا يؤثّر عنده وعده وعيده ، ولا يزجه تخوفه وتهديده ، يا مطلقاً ستَمُتْله  
بِيدِهِ ، ثم يُفَنِّيه إِلَيْي وبُيُيدِهِ ، ثم ينفخ في الصور فيبتدأ بتجديده « كما بدأنا أول  
خَلْقٍ نعيده » .

فرقنا بالموت ما جمعنا ، ووزقنا بال تلف ما ضمنا ، فإذا نفخنا في الصور أُنْصَمْنَا ،  
بحكم اليماد في اليماد ونجيد « كما بدأنا أول خلق نعيده » .

كم حسرة في يوم الحسرة ، وكم سكرة من أجل سكرة ، يوماً قد جعل خمسين  
ألف سنة قَدَرَهُ ، كل ساعة فيه أشد من ساعة المسرة ، نَبْئِي فيه ما نفنضاه ونشيد  
« كما بدأنا أول خلق نعيده » .

قرَّبنا الصالحين منا وأبعدنا العاصين عنا ، أحببنا في القَدَم وأبغضنا ، فن قضينا  
عليه بالشقاء أهلكننا ، فهو أسير البعد وطريد ، ومن سبقت لهم منا الحسنى فنحن  
نُعم عليه ونفيده « كما بدأنا أول خلق نعيده » .

يومٌ كلُّه أهوال ، شُنْه لا كالأشغال ، بتقلقل فيه القلب والبال ، فتذهل عقول  
النساء والرجال ، ومن شدة ذلك الحال لا ينادى وليده .  
تجرى العيون وابلاً وحلاً ، وترى العاصي يعلق ويتلَّى ، ويتدى المَوَدَّ فيقال :  
كَلَّا . والويلُ كل الويل لمن لا يريد . تَخْشَع فيه الأملاك ، وتطير فيه الضحَّاك ، وبمز  
على المحبوس الفِكَالْكَ . فأما المؤمن التقي فذاك عبده .  
إخواني : ارجعوا بحسن الزوج والأوْبة ، واغسلوا ب مياه الدموع ماضى العَوْبَة ،  
وقد نصَبْنَا للمذنب شَرَك التوبة ، أفترى اليوم نصيده .  
يا من لا يزال مطالبًا مطلوبًا ، يا من أصبح كل فعله محسوبًا ، إن حرَّكَك الوعظُ  
إلى التوبة صرث محبوبًا ، وإن كان الشقا عليك مكتوبًا فما ينفع ترديده .

## المجلس الرابع

### في ذكر الزكاة

الحمد لله الذي لا واضح لما رفع ، ولا رافع لما وضع ، ولا واصل لما قطع ولا مفرق لما جمع ، سبحانه من مقدّر ضرّ ونفع ، وحكم الكل حكمه كيف وقع ، أمرض حتى أتى على شئنا ثم شئنا ثم شئ الوجع ، وواصل من شاء ومن شاء قطع ، جعل المعاة في خفارة الطائمين وفي كنف القوم وسع ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع » (١).

أحمد على ما أعطى ومنع ، وأشكره إذ كشف للبصائر سيرة الخلد ، وأشهد بأنه واحد أحكم ما صنع ، وأن عمداً عبده ورسوله أرسله والكفر قد علا وارتفع ، ففرق بمجاهدته من شرّه ما اجتمع ، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الذي نجم نجم سعادته يوم الردّة وطلع ، وعلى عمر الذي عزّ الإسلام به وامتنع ، وعلى عثمان للفتول ظلما وما ابتدع ، وعلى عليّ الذي دحض الكفر بمجاهده وقمع ، وعلى مه المباس الذي سئل به سئل السحاب فتمح . اللهم يا من إلى بابه كلُّ راجب رجس ، اجعلنا من المواعظ انتفع ، واحفظنا من موافقة الطبع والطبع وانفضى بما أقول وكل من استمع .



قال الله تبارك وتعالى : « والذين يَكْتُمُونَ الذهبَ والنفضة ولا يُنفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب آليم » (٢).

الكتن : ما لم يؤدّ زكاته . أخبرنا عبد الأول بسنده عن الأيثر بن سعد عن

(١) سورة الحج ٤٠ .

(٢) سورة التوبة ٣٤ .

نافع أن عبد الله بن عمر قال: ما كان من مال تؤدى زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفوناً، وما ليس مدفوناً لا تؤدى زكاته؛ فإنه الكنز الذى ذكره الله عز وجل في كتابه .

وفى قوله: « ولا يُنفقونها » قولان ، ذكرهما الزجاج : أحدهما : أن المني يرجع إلى الكنوز والثاني : إلى الفضة . وقال أبو عبيدة : العرب إذا أشركوا بين اثنين قصرَوا فأخبروا عن أحدهما استغناء بذلك وتخفيفاً بمعرفة السامع أن الآخر قد شاركه ودخل معه في ذلك الخبر :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقَّارٌ بها لغربُ

قوله تعالى : « فبشرم بمذابٍ أليم » . أى اجمل مكان الإشارة هذا .

قوله عز وجل : « يوم يحمى عليها في نار جهنم » . يعنى الأموال . قال ابن مسعود : ما من رجل يُسكوى بكنز فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ، ولكن يوسَّع في جلده فيوضع كل دينار على حديثه .

وقال ابن عباس : هى حية تُطوى على جنبيه وجهيته فقول : أنا مالك الذى نَحَلْت به .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن المحرور بن سُوَيْد عن أبي ذر رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل الكعبة فقال : هم الأُخسرون وربُّ الكعبة . قالما ثلاث مرات . قال : فأخذني غَمٌ وجعلت أتنفس ، قال : قلت هذا شر حدث في . قال : قلت : مَنْ هم فذاك أبى وأُمى قال : الأكثرون أموالاً إلا من قل في عباد الله ، هكذا وهكذا ، وقليل ما هم ، ما من رجل يموت فيترك غنماً أو إبلاً أو بقراً لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما تكون وأنتم حتى نطأه بأظلالها وتنطعه بقرونها حتى يقضى الله بين الناس ثم تعود أولاهها على أخراها .

آخر جهاه في الصحيحين<sup>(١)</sup> .

(١) صحيح البخارى ٤ / ١٢٣ ط الأميرية (كتاب الأيمان) وصحيح مسلم كتاب الزكاة حديث

وبالإسناد عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت به يوم القيامة أكثر ما كانت قط وقعد لها بقاع قرقر<sup>(١)</sup> تنطحه بقرونها وتطوؤه بقوائمها ، ولا صاحب غنم لا يفعل بها حقها إلا جاءت أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطوؤه بأغلانها ليس فيها جمل ولا منسكس قرنها ، ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فاغرا فاه فإذا آناه مر منه فيناديه ربه : خُذْ كنزك الذي خبأته فإني عنه أعمى منك فإذا رأى أن لا بد له منه سلك بيده في فيه فيفضمها فضم الفحل .  
انفرد بإخراجه مسلم<sup>(٢)</sup> .

وفي أفراد من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجنبه وظهره كلما تردت أعيدت إليه أولاها أعيدت أخرها أعيدت إليه في يوم كان مقداره : خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »<sup>(٣)</sup> .  
أخبرنا عبد الأول بسنده عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من آناه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زَبَبَتان يطوؤه يوم القيامة بأخذ يلهز متيه يعنى شذقيه يقول : أنا مالك أنا كنزك وتلا هذه الآية : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم » الآية .

انفرد بإخراجه البخارى<sup>(٤)</sup> .

(١) القرقر : القاع ، الألس . (٢) صحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٢٧ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٢٦ .

(٤) صحيح البخارى ١ / ١٨٣ ط الأميرية .

فإن قيل : لم خص الجلباء والجنب والظهور من بقية البدن ؟  
فجوابه من وجهين : أحدهما : أن هذه للواضع عبوة يفصل الحر إلى أجوافها ،  
بخلاف اليد والرجل ، وكان أبو ذر يقول : بشر الكنازين بكى في جلباء وكى في  
الجنب وكى في الظهر حتى يلتقى الحر في أجوافهم . والثاني : أن الغنى إذا رأى  
الفقر اضيق وإذا ضنه وإياه مجلس ازور عنه وولاه ظهره ، فكوبت تلك المواضع  
عنه . قاله أبو بكر الوراق .

قوله تعالى : « هذا ما كنزتم لأنفسكم » للبنى : هذا ما ادخرتم لأنفسكم « فذوقوا  
ما كنتم تكزون » أى عذاب ذلك اليوم .

• • •

واعلم أن الزكاة أحد أركان الإسلام . قال صلى الله عليه وسلم : « بُنى الإسلام  
على خمس » فذكر منهن الزكاة .

وينبى للتيقظ أن يفهم المراد من الزكاة ، وذلك ثلاثة أشياء :  
أحدها : الابتلاء بإخراج المحبوب . والثاني : التنزه عن صفة البخل للهالك . والثالث :  
شكر نعمة المال ، فليذكر إتمام الله عليه إذ هو المعطى لا المعطى .

وعليه ألا يؤخرها إذا حال الحول لأنها حق للفقير ، ويجوز تقديمها على الحول ،  
ولا يجوز إعطاء الموص باعتبار القيمة<sup>(١)</sup> . وينبى أن يتقيا الأجود للفقير ، فإن الذى  
يعطيه هو الذى يلقاه يوم القيامة ، فليخبر نفسه ما يصدق به ، وأن يقدم قراء أهله  
ويتحرى بها أهل الدين ، ولا يُبطل صدقته بالن والأذى ، فليعط الفقير بانسراح  
ولطف حتى كأل الفقير هو الذى يُنعم بما يأخذه ، وليستر عطاءه أهل الروء فإنهم

---

(١) هذا على مذنب أحد بن حنبل ، وقى بسن للفاصل الأخرى يجوز لإخراج القية .

لا يؤثرون كشفَ سِرِّ الحاجة ، فإن خطر له أن تشاع لثلاثتهم  
الإنسان ، ففى من لا يَسْتَحْيِ إذا أخذها كثرة ، فليُسْمَعْ عند أولئك وليترك أربابَ الألفة  
تحت ستر الله عز وجل .

### (الكلام على البسلة)

غَوَالِبُ راحَةِ الدنيا عَنَّا      وما نعطيه من هبة هباء  
وما دامت على عَهْدِ بخلق      ولا وعدتْ فكان لها وفاه  
تُدْبِقُ حلاوةً وتذيقُ مرًّا      وليس لذا ولا هذا بقاه  
وتجملو نفسها لك فى اللامى      وفى ذاك الجلاء لها الجلاء  
إذا نثرتْ لواءَ اللآلئ فيها      لوى قَلْبَ الغنى لها اللّواء  
فدَعَّها رَغْبًا فى ظل عيش      ومُلِكَ ماله أبداً ففاه

\*\*\*

عجبا لمن عرف الدنيا ثم اغتر ، أما يقىس ما بقى بما مر ، أبؤثر لبيب على  
الخير الشر ، أيمتار القطن على النفع الضر ، كم نعمة عليك قد سلَّفتها وما قت بقرضة  
كُلَّتها ، إذا دعيت إلى التوبة سوَّقتها ، وإن جاءت الصلاة ضيَّمتها ، وإذا قت فى العبادة  
خَفَّفَتْها ، وإذا لاح لك وجه الدنيا ترشَّفتها ، لقد آتاك آفةُ الدنيا وما أوتها ، إنها لدار  
قُلْمَةٌ نَضِيَّتْها أو ليس قد شِيتْ وما عرفتْها ، كم حيلة فى مكاسبها تلطَّفَتْها ، ولو شفلتك عنها  
آيات تأفَّفَتْها ، كم بادية فى أرباحها تمسَّفتها ، كم قفَّار فى طلبها طُفَّتْها ، كم كذبات  
من أجل الدنيا زخرَّتْها ، لقد استشعرت محبتها إى والله والتَّحَفَّتْها ، تحضر المسجد  
وقلبك مع التى ألفتها ، أو ما يكفيك أموالك وقد ألفتها ، تا الله لو علت ما عجى  
عَفَّتْها . أنيت تلك الذنوب التى أسلَّمتها ، أنت الذى تذكرتها ثم خَفَّتْها ،

آه لمراحل أيام قطعتها وحلقتها ، آه لبضائع عمر بذرت فيها وأتلفتها ، لو أردت خيرا  
وبجتها وعيقتها ، لو قبلتها بالوفاق قبلها خالقتها .

\* \* \*

إخواني : قولوا للمفرط الجاني ، قال لك الشيب : أما تراني ، أنا كتاب اللؤون  
والضعف عنواني ، وايس في السطور إلا أنك قاني :

أفكرت سلمى مшибاً عراني	ورأتني غير ما قد تراني
أشرف الشيب على لمتي <sup>(١)</sup>	وشباب المراء غلغل للزمان <sup>(٢)</sup>
إنما أنت ليا قد ترى	لا يفسر لك ضمان للأمان <sup>(٣)</sup>
هل ترى من عائش خالير	كم ترى من هالك قد صار قاني
لو أعنت العين إذا أبصرت	واعطاني بفؤادي لكفاني <sup>(٤)</sup>
أى شيء أنقى والردى	بين جنبي بعين يداي
كل يوم ناقص دولة	من بقاي جاذب مني عياني
والأفقه بلا جنة فإذا	شاء أن يذمي لحنني رماي
تابع يتبع ماضى كما	يتبع العامل جرأ لسان <sup>(٥)</sup>
لذة الدنيا إذا ما حضروا	فإذا غابوا فشغل للأمان
ما اطأن الدهر حتى تقضوا	فكان لم أرهم في مكان

\* \* \*

(١) اللغة بالكسر : الشعر المتجاوز حصة الأذن .

(٢) الأصل : ظل الزماني . معرفة .

(٣) الأصل : ضمان .

(٤) الأصل : كمان .

(٥) كذا بالأصل .



أين أهل العزائم رحلوا وماتوا ، أين أهل اليقظة ذهبوا وفاتوا ، فف على قبورهم  
تجد ريح العزيم ، تنفّس عندها تحب روح الحزيم ، أقبّلوا بالقلوب على مقتلها ، وأقاموا  
النفوس لدى مؤذّبها ومذوّا الباع من باع القسليم إلى صاحبها ، وأحضروا الأخرى  
فنظروا إلى غايّتها وسهروا الليالي كأنهم قد وكّلوا برعى كواكبها ، ونادوا نفوسهم  
صبرا على نار البلاء لمن كواكبها ، ومقّتوا الدنيا فما مال اللأ إلى ملأعها ، واشتاقوا  
إلى الحبيب فاستطالوا مدة اللقاه بها .

أنتم على البُعْد هموى إذا غِيبْتُمْ وأشجاني على القُرْبِ  
لا أتبع القلب إلى غيركم عيني لكم عيني على قلبي  
إن لم تكن معهم في السّحر فتلح آثار الحبيب عليهم وقت الضحى ، واقرأ في  
صحائف الوجوه سطور القول بمداد الأنوار ، وجوه بينها الحسن أن تتنمّأ .  
أين أنت من القوم ، كم بين اليقظة والنوم ، يا بيد السلامة قد قرّبت منك  
النّعمة<sup>(١)</sup> يا عديم الاستقامة ، ما أرى لنجاتك علامة ، أعمالك لا تصلح للجنة وخصالك  
الباطنة أوصاف .

إلى متى إلى متى جدّ في غير الجد والنكاش ، إلى كم في الظلام وقد نُسخت  
الأغباش ، تمكّن حبّ الدنيا من القلب فما يخرج منقّاش ، ولاح نور الفلاح وكيف  
يبصر خفّاش ، أمّا النهار فأسير الهوى في العاش ، وأما الليل فتقيل للنّام في الفراش ،  
كيف يصعب الصلحاء من همته صُعبَةُ الأوباش ، وهل يبارز في صف الحرب خوّار  
ضعيف الجاش ، دخل حب الدنيا فاستبطّن بطن المُشاش<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

---

(١) النّعمة من معانيها : الصّحراء ، والنفس . ولله يريد الإشارة إلى البيت الجمالي : قربا مربط  
النّعمة منى . وهى إذا كناية عن التّهوّل للرحيل .  
(٢) اللّاش . رهوس الظلام .

مِثْلَ الشَّيْبَةِ كَالرَّيِّعِ إِذَا مَا جِيَدَ فَأَخْضَرَتْ لَهُ الْأَرْضُ  
فَالثَّيْبُ كَالْحُلِّ الْجَادِ لَهُ لَوْنَانِ مُقَابِرٌ وَمُبَيِّنٌ  
سَعَتْ لَهُ دَهْيَاءُ مِنْ كَثَبٍ دَانَتْ خُطَاهُ وَمَا بِهِ أَيْضٌ (١)  
تَرَكَ الْجَدِيدُ جَدِيدَهُ هَمَلًا لَا لُصُونَ يُرْجِعُهُ وَلَا الرَّحْضُ (٢)  
وَنَمَاقِبُ التَّفَنُّيْشِ يَفْدَحُ فِي مُمْ الصَّفَا فَيُظَالُّ يَرْفُضُ (٣)

السلام على قوله عز وجل : « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا مَحَبُوبٌ » (٤)

المعنى : لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ الْكَامِلَ وَبِمَعْصُومِي الْمَفْسَرِينَ يَقُولُ : لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ هَاهُنَا الْجَنَّةُ ، وَلَنْ يَدْرَكَ الْفَضْلُ الْكَامِلُ إِلَّا بِبَذْلِ مَحْبُوبِ النَّفْسِ .

أَخْبَرَنَا عَيْدُ الْأَوَّلِ بِسَنَدِهِ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَلْحَةَ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : « كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَحْلٍ وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَرَحَاءُ وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٌ . قَالَ أَنَسُ : فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ » قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ » وَإِنْ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَى بَرَحَاءَ وَإِنْهَا صَدَقَ اللَّهُ أَرْجُو بَرَّهَا وَذُخْرُهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعُهَا حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَخٍ ذَاكَ مَالٌ رَابِعٌ أَوْ رَائِحٌ - شَكَّ ابْنُ مَسْلَمَةَ - وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْمِلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ » . قَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفْضَلَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ .

(٢) الرِّحْضُ : الضَّيْفَةُ وَالزَّادَةُ الْمُخْلَقُ .

(٤) سُورَةُ آلِ مَرَّانِ ٩٢ .

(١) الْأَيْضُ : الرَّجُوعُ .

(٣) يَرْفُضُ : يَتَكَبَّرُ وَيُخْرِقُ .

أخرجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup>. ورواه حُميد عن أس قال فيه: لو استبطت أن أسيرها لم أعلنها. قال: اجعله في قراء أهلك.

وقال مجاهد: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى أن يتنازع له جارية من سُبَى جلولا ففعل فدعاها عمر فأعتقها ثم تلا هذه الآية: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون».

وقال ابن عمر: خطرت هذه الآية ببالي: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» ففكرت فيما أعطاني الله عز وجل فإ وجدت شيئا أحب إلى من جاريقي رميته قتل: هي حُرّة لوجه الله فلولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها. فأنكحها نائفا فهي أم ولده.

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن عبد العزيز بن رواد عن نافع، قال: كان ابن عمر إذا اشتد عَجْبُهُ بشيء من ماله قربه لربه عز وجل. قال نافع: كان بعض رقيقته قد عرفوا ذلك منه، فربما شتم أحدهم فزلم للسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم إلا أن يمدعوك فيقول ابن عمر: فن خدعنا بالله المخذعنا له!

قال نافع: فلقد رأيتنا ذات عشية وراح ابن عمر على نَجِيب له قد أحذه بمال، فلما أحبه سَيره أناخه مكانه ثم نزل عنه وقال: يا نافع انزعوا زِمَامَهُ وَرَحْلَهُ وَجَلِّوهُ وَأُشْمِرُوهُ وَأَدْخُلُوهُ فِي الْبُدْنِ.

وروى بشر بن دعولف عن الربيع بن خثيم أنه وقف سائل على بابه فقال: أطمعوه سكرًا فإن الربيع يحب السكر.

• • •

(١) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب رقم ٤٤ وكتاب الوصايا باب ١٧ وهو كذلك في كتاب الزكاة وكتاب التفسير وكتاب الأشربة.

وصحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٤٣. وصند أحمد ١٤١ / ٣.

واعلم أن الإنفاق يقع على الزكاة المفروضة وعلى الصدقة النافذة، وعلى الإيثار والمواساة للإخوان، فمن أخرج الله عز وجل شيئاً فليكن من أطيب ماله وليوقن المضاعفة .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن سعيد بن يسار عن ابن هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل »<sup>(١)</sup> .

وفي أفراد مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناقطة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لك بها يوم القيامة سبعائة ناقة كلها مخطومة »<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا يحيى بن علي بسنده عن يونس بن عبيد عن الحسن بن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الصدقة لتطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء »<sup>(٣)</sup> .

أخبرنا موهوب بن أحمد بسنده عن يزيد الرقاشي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تصدقوا فإن الصدقة فكالك من النار والصدقة تمنع سبعين نوعاً من البلاء أهونها الجذام والبرص »<sup>(٤)</sup> .

وفي حديث بريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما يخرج أحد شيئاً من الصدقة حتى يفيك ليحيى سبعين شيطانا<sup>(٥)</sup> .

(١) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب رقم ٨ وسنن الترمذي كتاب الزكاة باب ١٢ وسنن ابن ماجه كتاب الزكاة باب ٢٨ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمامة حديث رقم ١٣٢ .

(٣) سنن الترمذي كتاب الزكاة باب ٢٨ .

(٤) ذكر نحوه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ / ١٠٩ عن رافع بن خديج وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف .

(٥) رواه أحمد والبخاري والطبراني في الأوسط ورجاله نفقات . مجمع الزوائد ٣ / ١٠٩ .

وينبى للمتصدق أن يصلح نيته فيقصد بالصدقة وجه الله عز وجل ، فإن لم يقصد وجه الله لم تُقبل منه . وينبى أن يتخير الحلال . ففي أفراد مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يقبل الله صدقةً من غُلُول . وكان الحسن يقول : أيها المتصدق على المسكين برحمة ارحم من ظلمت .

وأن يتخير الأجود فقد قال الله تعالى : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » . وقال عروة بن الزبير : إذا جعل أحدكم لله شيئاً فلا يعمل له ما يستحى أن يعمل لكرهه ؛ فإن الله تعالى أكرم الكرماء وأحق من اختيار له .

ثم ينبى أن يكون إخراج المهبوب في زمان صحة للمعطي وزمان فاقدة المعطى ، وليقدم الأقرباء ويقدم من الأقارب من لا يعمل إليه بالطبع . ففي حديث أبي أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح <sup>(١)</sup> » .

وليخرج للمعطي ما سهل وإن قل . فقد روى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أي الصدقة أفضل ؟ فقال : جهداً المذل <sup>(٢)</sup> .

وقال الحسن : أدركنا أقواماً كانوا لا يردون سائلاً إلا بشيء ، ولقد كان الرجل منهم يخرج من بيته فيأمر أهله ألا يردوا سائلاً .

ومن آداب المعطاء أن يكون سراً ؛ فإن صدقة السر تطفى غضب الرب عز وجل . قال عبد العزيز بن حمير : الصلاة تُبَلِّغك نصف الطريق واليوم يبلك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه .

(١) مسند أحمد ٣ / ٢٠٢ ، ٥ / ٤١٦ وسنن الدارمي كتاب الزكاة باب رقم ٣٨ .

(٢) سنن أبي داود كتاب الزكاة باب ٤٠ وسنن الدارمي كتاب الصلاة باب ١٣٥ .

الكرم حر لأنه يملك ماله ، والبنخيل عبْدٌ لأن ماله يملكه ، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طُبع على أشرف الأخلاق وقد وصف نفسه عليه الصلاة والسلام فقال : « يَا بَنِي آدَمَ لِيَ الْبَخْلُ <sup>(١)</sup> » وَأَعْطَى غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَتَعَبَّرَ الَّذِي أَعْطَاهُ فِي صِفَةِ جُودِهِ فَقَالَ : هَذَا عَطَاءٌ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ ، فَلَمَّا سَارَ فِي فَيَافَى الْكَرَمِ تَبِعَهُ صِدِّيقُهُ فَمَاءَ بِكُلِّ مَالِهِ فَقَالَ : مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ قَالَ : أَبْقَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ :

سَبَقَ النَّاسَ إِلَيْهَا صَفْقَةً      لَمْ يَمُدَّ رِائِدُهَا عَنْهَا بَغْبَنَ  
هَرَّةً لِلْجُبُودِ صَالَتْ نَشْوَةً      لَمْ يَكْدُرْ عَنْدهَا الْمُرْفُ بَمَنْ  
طَلَبُوا الشَّاءَ فَوَافَى سَابِقًا      جَذَعَتْ غَبْرٌ فِي وَجْهِهِ الْمَسْنِ  
نَزَعَ أَبُو بَكْرٍ تَحِيْطَ الْهَوَى فَرَزَقَهُ عَلَى ، رَمَى الصَّدِيقُ جِهَازَ الْمَطْلُوقَةِ فَوَافَقَهُ عَلَى حَتَّى رَمَى الْخِلَافَ :-

حَبَّبَ الْفَقْرَ إِلَيْهِ أَنَّهُ      سُوَادٌ وَهُوَ بِذَلِكَ الْفَقْرَ يَنْفَى  
وَشَرِيفُ الْقَوْمِ مِنْ بَقَى لَهُمْ      شَرَفَ الذِّكْرِ وَخَلَّى الْمَالَ يَنْفَى  
مَا أَمَانٌ الْوَقْرَ فِي بَحْبُوحَةٍ      فَرَأَيْتَ الْجَدَّ فِيهَا مُطْمَئِنًّا  
تُهْدَمُ الْأَمْوَالُ مِنْ آسَاسِهَا      أَبَدًا مَا دَامَتِ الْعِلْيَاءُ تُنْفَى

كَانَ السَّلَفُ يُؤْتِرُونَ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَيَقْدُمُونَ الْأَجُودَ الْمَحْبُوبَ .

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْأَوَّلِ بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِعَثَ إِلَى نِسَائِهِ قَفْلَيْنِ مَا عِنْدَنَا إِلَّا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ يَعْصُ هَذَا أَوْ يُضَيِّفُ هَذَا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ : أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا قَوْتُ الصَّبِيَّانِ ، قَالَ : هَيْيَ طَعَامَكَ وَأَصْلِحِي سِرَاجَكَ وَنَوِّمِي صَبِيَّانَكَ

إذا آزادوا عشاء ففعلت ثم قامت كأنها تُصلح سراجها فأطفأته فجعلها يُريانه أنها  
ياكلان ، فبانا طاديين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :  
ضحك الله الليلة ، أو عجب ، من فمالكما . فأنزل الله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم  
ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون <sup>(١)</sup> » .

أخبرنا عبد الوهاب بسنده إلى محمد بن عبيد ، عن ابن الأعرابي قال استشهد  
بالرموك عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن أبي جهل وسهيل بن عمرو بن الحارث بن  
هشام وجاعة من بني النيرة ، فأتوا بماء وهم صرعى ، فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه !  
أتى عكرمة بالماء فنظر إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال : ابدأوا بهذا فنظر سهيل  
إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال : ابدأوا بهذا فأتوا كلهم قبل أن يشربوا ، فر  
بهم خاله بن الوليد فقال : بنفسى أنتم !

فَقَّ ابنُ عمر من مرض فاشتبهى سمكة ، فلما قدَّمت إليه جاء سائل فناوله إياها .  
واشتهى الربيعُ بنُ خُثَيْم حَلْواء فلما صُنعت دعا بالفقراء فأكلوا ، فقال أهله :  
أنعيتنا ولم تأكل فقال : وهل أكل غيري !

كم يهلك بين الموصوفين كما بين الجاهولين والمعرفين ، آثرت الدنيا وآثروا  
الدُّنْيَا ، فلهج نفاوت الأمر يامسكين ، أما الفقير فما يخطر ببالك ، فإذا جاء سائل  
أغلظت له في مقالك ، فإن أعطيته فحقيقا بيرا من ردى مالك . إلى كم تَعَب في جمع  
الْعُطَام ونشقى ، وتؤثر ما يَفْنَى على ما يَبْقَى : -

يُحْمَى الفتى ما كان من نفاقه      ويُضَيِّع من أنفاسه ما أضغاث  
لم يتمم ملك بشئ مُلكه      حصنا يصرُّ به ويخفر خندقا  
وكأما دنيا ابن آدم عِرْسُه      أخذت جميع ترائه إذ طلقا

(١) صحيح البخارى كتاب منابر الأضواء باب رقم ١٠ .

السجع على قوله تعالى : « لن تناولوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تحبون »

عباد الله : إلى متى تجمعون ما لا تأكلون ، وتبنون ما لا تسكنون والجبد في بيوتكم تدخرون ، والردى إلى الفقير تحرجون « لن تناولوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تحبون » .  
حرَّكوا همكم إلى الخير وأزجوا ، وحثوا عزائمكم إلى الجِدِّ وأدجلوا ، والفتنوا عن الحرص على المال وعرَّجوا ، وآثروا الفقير بما تؤثرون .

وَيْحَكُمْ ! السيرُ حثيث ، ولا مُنجد لكم ولا مُنيث ، فبادروا بالصدقة الموارث ، « ولا تَيْمَمُوا الخبيث منه تُنفِقون » كم قطعت الأملُ بقاً<sup>(١)</sup> . كم مُصيف ما أُرْبَح ولا شَقٍّ ، كم عازم على إخراج المال ما تأتى ، سبقته للنون « لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » بأحرص ما يستقر ، بإطالبا للدنيا ما يقرّ ، إن كنت بُصدِّق بالثواب فنصدِّق في السر بالمحبوب المصون « لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » .

يا بخيلاً بالفتيل<sup>(٢)</sup> شحيحاً بالفقير ، يا صريماً بالهوى إلى متى عَفير ، تختار لنفسك الأجودَ ولربك الحقيق ، ما لا يصلح لك من الشيء تُعطيه الفقير ، فما تختار لنا كذا يَكُون .  
اكتسابك على أغراضك أنفقت ، أمرجت نفسك في الشهوات وأطلقت ، ونيت الحساب غداً وما شفقت ، فإذا رحمت الفقير وتصدقت أعطيت الردى الدون .  
أما السكينُ أخوك من الوالدَيْن فكيف كففت عن إعطائه اليدين ، كيف نحثُ على النفل والزكاة عليك دين ، وأنتم فيها تتأولون .

يا وحيداً عن قليل في رَمْسِه ، يا مستوحشاً في قبره بعد طول أَنْسِه ، لو قدّم خيراً فعه في حَبْسِه . « ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون » .

تجمع الدينار على الدينار لغيرك ، وينسأك من أخذ كلَّ خيرك ، ولا تزودت منه شيئاً لسِرِّك ، هذا هو الجنون « لن تناولوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تحبون » .

(١) البت : الفتح لكل أمر لارجعة فيه . (٢) : بالتليل .



## المجلس الخامس

### في ذكر الصيام

الحمد لله خالق الدُّجَى والصباح ومسبب الهدى والصلاح، ومقدّر النُوم والأفراح،  
الجائد بالفضل الزائد والسَّحَاب، مالك الملك المنجي من الهُلك ومسبب الفُلك والنُّفُك  
مسبب الجفاح<sup>(١)</sup>، عزّ فارتفع، وفرّق وجمع، ووصل وقطع، وحرّم وأباح، ملك  
وقدّر، وطوى ونشّر، وخلق البشر وفطر الأشباح، رفع السماء وأنزل الماء، وعلم آدم  
الأسماء وذرّى الرياح، أعطى ومنع، وأنعم ومدح وعفا عن اجترح وداوى الجراح،  
علم ما كان ويكون، وخلق الحركة والسكون، وإليه الرجوع والركون في الفد  
والرَّوَّاح، يتصرّف في الطول والعرض، وينصب ميزان العدل يوم العرض  
« الله نور السموات والأرض مثل نوريه كمشكاة فيها مصباح<sup>(٢)</sup> » .

أحمده واستعينه، وأتوكل عليه وأسأله التوفيق لعملٍ يقرب إليّه، وأشهد  
بوحدايته عن أدلة صِحاح، وأن محمداً عبده المقدم ورسوله المعظم، وحييّه المكرّم،  
تقدّبه الأرواح، صلى الله عليه وعلى أبي بكر رفيقه في الفار، وعلى عمر فتاح الأمصار،  
وعلى عثمان شهيد الدار وعلى عليّ الذي يفتك<sup>(٣)</sup> رُعبه قبل لبس السلاح وعلى العباس  
العباس عمه صينو أبيه أقرب من في نسبه يليه .

\*\*\*

اعلموا أن الصوم من أشرف المبادات وله فضيلة ينفرد بها عن جميع التعميدات وهي  
إضافته إلى الله عز وجل بقوله عز وجل : « الصوم لى وأنا أجزي به » .

(١) كذا بالأسول . ول تلخيص التيمرة : وصير الرياح .

(٢) سورة النور ٣٥ .

(٣) ١ : يقتل .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن الأعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلُّ عمل ابن آدم يضاعف بضاعف الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله ، يقول الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي بدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، وللهائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، وآخولف فيه<sup>(١)</sup> أطيب عند الله من ريح للك ، الصوم جنة .

قال أحمد : وحدنا أحمد بن عبد الملك ، عن سهل بن سعد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن للجنة باباً يقال له الريان يقال يوم القيامة : أين الصائمون؟ هلموا إلى باب الريان . فإذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب . وفى لفظ : فلم يدخل منه أحدٌ غيرهم .

هذان الحديثان فى الصحيحين<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن رجاء بن حيوة عن أبي أمامة قال: أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم غزواً فأتيته فقلت : يا رسول الله ادع لى بالشهادة . فقال : اللهم سلمهم وغنمهم . قال : ففزوننا فسلمنا وغنمنا . قال : ثم أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم غزواً ثانياً فأتيته فقلت : يا رسول الله ادع لى بالشهادة . فقال : اللهم سلمهم وغنمهم . قال : ففزوننا فسلمنا وغنمنا ، ثم أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم غزواً ثالثاً فقلت : يا رسول الله قد أنتك مرتين أسألك أن تدعو الله لى بالشهادة فقلت : اللهم سلمهم وغنمهم ، يا رسول الله فادع الله لى بالشهادة . فقال : اللهم سلمهم وغنمهم . قال : ففزوننا فسلمنا وغنمنا ثم أتيته بعد ذلك فقلت : يا رسول الله مرئى بعمل آخذك عنك بنفعى الله به . قال : « عليك بالصوم لأنه لا مثل له » .

(١) فم الصائم .

(٢) صحيح البخارى كتاب الصوم باب ٢ .

وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٦٤ ، ١٦٥ .

وكان أبو امامة وامراته وخادمه لا يُلْقُونَ إِلَّا صِيَامًا ، فإِذَا رَأَوْا [عندهم] (١)  
ناراً أو دخاناً بالنهار في منزلهم عرفوا أن قد اعتراهم ضيف . قال : ثم أنيته بعد ذلك  
فقلت : يا رسول الله إنك قد أمرتني بأمر وأرجو أن يكون الله عز وجل قد نفعني به ،  
فمرني بأمر آخر ينفعني الله به ، قال : « اعلم أنك لا تسجد لله سجدةً إلا رفع الله لك  
بها درجة أو حطَّ أو حطَّ أو قال وحطَّ - شك مهدي - عنك بها خطيئة » (٢) .

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ بسنده عن أبي بُرْدَةَ عن أبي موسى قال : خرجنا  
غازين في البحر فيمنا نحن والريح لنا طيئة والشرع لنا مرفوع ، فسمعنا منادياً ينادي :  
يا أهل السفينة قفوا أخبركم حق وآل (٣) بين صبعة أصوات . قال أبو موسى :  
قفمت على صدر السفينة فقلت : من أنت ومن أين أنت ؟ أو ما ترى ما نحن فيه وهل  
نستطيع وقوفاً ؟ فأجابني الصوت : ألا أخبركم بقضاء قضاء الله عز وجل على نفسه ؟  
قال : قلت : بلى أخبرنا . قال : فإن الله سبحانه قضى على نفسه أنه من عطش نفسه  
لله في يوم حار كان حقاً على الله أن يُرْوِيه يوم القيامة . قال : فكان أبو موسى  
يتوخى ذلك اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسان فيصومه !

\* \* \*

واعلم أن للصوم آداباً منها : كَفُّ النظر واللسان عن الفضول ، والإفطار على  
الحلال وتمجيله ، وأن يفطر على تمر . قال وهب بن منبه : إذا صام الإنسان زاعج  
بصره فإذا أفطر على حلالة عاد بصره .  
ويقول إذا أفطر : اللهم لك صُمت وعلى رزقك أفطرت وعليك توكلت .  
ويستحب السجود وتأخيرهُ .

(١) من ١ .

(٢) أخرجه - لم نل كتاب الصلاة حديث رقم ١٦٩ وابن ماجه في كتاب الإمامة باب ٢٠١  
وأحد في مسنده ٥ / ١٦٤ . (٣) ١ : قاضي صبعة أصوات .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كانت أحدكم يوماً صائماً فلا يجهل ولا يرقت فإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل : إني صائم » <sup>(١)</sup>.

وقد لا يتخلص النية ولا يتحصل الأجر : أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي بسنده عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر » <sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

فأما ما يستحب صيامه فقد كان جماعة من السلف يصومون الحرم . وقد أخرج مسلم في أفراد من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم » <sup>(٣)</sup>. وفي أفراد من حديث أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في صوم يوم عاشوراء : « يكفر السنة الماضية » <sup>(٤)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم في شهر من السنة أكثر من صيامه من شعبان كان يصومه كله <sup>(٥)</sup>. وفي أفراد من حديث أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فذلك صيام الدهر » <sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح البخاري كتاب الصوم باب رقم ٢

وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٥٩

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢ / ٣٧٣ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٤) سبق تخريجه هذا الحديث في أول هذا الجزء .

(٥) انظر تخريجه هذا الحديث في أول هذا الجزء .

(٦) صحيح مسلم كتاب الصوم حديث رقم ٢٠٣ .

وفي أفراد من حديث أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفّر السنّة التي قبله والسنّة التي بعده » <sup>(١)</sup> .  
وفي أفراد من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أبواب الجنة تُفتح في يوم الاثنين والخميس » <sup>(٢)</sup> .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن أبي سعيد المقبري قال : حدثني أسامة بن زيد قال : قلت يا رسول الله إنك تصوم لا تكاد تُفطر ، وتُفطر لا تكاد تصوم إلا يومين إن دخلًا في صيامك وإلا صُمتما . قال : أي يومين ؟ قلت : يوم ، الاثنين والخميس . قال : ذاك يومان تُعرض فيهما الأعمال على رب العالمين فأحب أن يُعرض على وأنا صائم » <sup>(٣)</sup> .

ويستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر . ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : « أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام » <sup>(٤)</sup> .

وفي حديث أبي ذر رضى الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلث عشر ورابع عشر وخامس عشر <sup>(٥)</sup> .  
وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحب الصيام إلى الله صيام داود عليه السلام : كان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام

(١) انظر تخرّيج هذا الحديث في أول هذا الجزء .

(٢) صحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٣٤ .

(٣) أخرجه الترمذى في كتاب الصوم باب رقم ٤٤ والنسائي في كتاب الصيام باب رقم ٧٠ .

(٤) صحيح البخارى كتاب الصوم باب رقم ٦٠ وكتاب التهجّد باب رقم ٣٣ . وصحيح مسلم

كتاب المسافرين حديث رقم ٨٥ ، ٨٦ .

(٥) أخرجه الترمذى في كتاب الصوم باب رقم ٥٣ . والنسائي في كتاب الصيام باب رقم ٨٤ .

سُدَّ سَهْ<sup>(١)</sup> » وقد كان جماعة من السلف يَتَقَنُّونَ العَمْرَ فَيَسْرُدُونَ الصَّوْمَ وَلَا يَفْطَرُونَ إِلَّا الْأَيَّامَ الْحَرَمَةَ. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَسْرُدُ الصَّوْمَ، وسرده أبو طلحة أربعين سنة وأبو أمامة. وسردته عائشة وعروة وسعيد بن المسيب.

أخبرنا الحميدان: ابن عبد الملك وابن ناصر قالوا: أنبأنا أحمد بن الحسن بن خيرون قال: قرئ على أبي علي بن شاذان: أخبركم أبو بكر الأرموي القاري، حدثنا أحمد بن عبيد، حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا عبد العزيز قال: قال نافع: خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضعا سَفَرَةً لهم فمر بهم رافع فقال له عبد الله: هلم يا راعي فأصيب من هذه السفرة فقال: إني صائم. فقال له عبد الله: في مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت بين هذه الشَّعَابِ في آثار هذه الفم وبين هذه الجبال ترمى هذه الفم وأنت صائم؟ فقال الراعي: أبأدر أياهم الغالية. فمجب ابن عمر وقال: هل لك أن تبيننا شاة من غنمك نجبرها نُطْعَمُكَ من لحمها ما تُفْطِرُ عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: إنها ليست لي إنها لمولاي. قال: فاعصيت أن يقول لك مولاك إن قلت: أكلمها الذئب؟ فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟

قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي: فأين الله! فإعداداً أن قدم المدينة فبعث إلى سيده فاشترى منه الراعي والنم فاعتق الراعي ووهب له الفم. وقد كان بعض السلف يبكي عند الموت فتبيل: ما يبكيك أ قال: أبكى على يوم ما صُفِّتْهُ ولبق ما قُتِّها!

فاغتنموا إخواني زمنكم، وبادروا بالصحة سقمكم، واحفظوا أمانة التكليف لمن أمينكم، وكانكم بالجسيم وقد دفنكم، وبالعَمَلِ في القبر قد ارتهنكم.

(١) صحيح البخاري كتاب الصوم وكتاب التهجد وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٨٩٠،

( الكلام على البسلة )

ألم يأن تركي ماعلي<sup>(١)</sup> ولا ليأ وعزّمي على ما فيه إصلاح حاليأ  
وقد نال مني الدهر وابيض<sup>(٢)</sup> مفرقي بكر<sup>(٣)</sup> الليالي والليالي كما هيأ  
أصوت بالدنيا وليست نجيني أحاول أن أبقي وكيف بقائيأ  
وما تهرج الأيام تحذف مدتي بعد<sup>(٤)</sup> حساب لا كعد<sup>(٥)</sup> حيايأ  
أليس الليالي غاصباتي مهجتي كما غصبت<sup>(٦)</sup> قبل القرون الخواليأ  
وتسكنني لحدا<sup>(٧)</sup> لذي حفرة بها يطول إلى أخرى الليالي ثوائيأ  
فياليتني من بعد موتي وميتي أكون ترابا لا علي<sup>(٨)</sup> ولا ليأ

\*\*\*

يامن ذنوبه كثيرة لا تمّد وجهه صغيته بمخالفته قد اسود<sup>(٩)</sup> ، كم ندعوك إلى الوصال  
وتأبى إلا الصّد ، أما الموت قد سعى نحوك وجد<sup>(١٠)</sup> ، أما عزّم أن يُلحقك<sup>(١١)</sup> بالأب والجد .  
أما ترى مُنعمًا أن ربّ الثرى منه الخلد ، كم عابنت متعجّرا كفت<sup>(١٢)</sup> الموت كفته الممدد ،  
فاحذر أن يأتي على العاصي فإنه إذا أتى أبي الرد<sup>(١٣)</sup> ، إلى كم ذا الصّبا والمرّاح ، أبقى  
الشيب موضعا للمزاح ، لقد أغى الصباح عن الصباح ، وقام حرب النون من غير  
صلاح ، اعرجت القناة بلا قنأ ولا صفّاح ، فماد ذو الشيبة بالضعف نخين الجراح ،  
ونطقت ألسن الفناء بالوعظ الصّراح ، وأسفا صمّت السامع والواعتظ فصّاح ، لقد  
صاح لسان التحذير يا صاح يا صاح ، وأنى بالفهم لخمور غبير صاح ، لقد أشكرك  
الموى سكرًا شديدًا لا يزّاح ، وما تفيق حتى يقول الموت : لا يراح .

ألا تبصر<sup>(١٤)</sup> الآجال كيف مخزمت<sup>(١٥)</sup> وكل امرئ للهلك وللوت صائر<sup>(١٦)</sup>  
وأنت بكأس القوم لا بد شارب<sup>(١٧)</sup> فهل أنت فيا يصلح النفس ناظر<sup>(١٨)</sup>

\*\*\*

(١) في تلخيص البصرة : أبي إلا الرد . (٢) ت : أما تبصر . (٣) ا : تصومت .

لقد وعظ الزمن بالآفات والمحن ، ولقد حدث بالظن كل من قد ظن ، ولقد أذّر المطلق في أغراضه<sup>(١)</sup> المرتين ، تالله لو صفت الفتن أبصرت ما بطن .  
إخواني : أمر الموت قد علن ، كم طحطح الردى وكم طعن ، يا بائعاً لليتين  
مشترياً للظن ، يا مؤثراً للردائل في اختيار الفتن ، إن الشرور والشرور في قرن ،  
أنت في المعاصي مطلق الرسن وفي الطاعة كذبي وسن<sup>(٢)</sup> ، يا رضيع الدنيا وقد آن  
فطامه ، يا طالب الهوى وقد حان حطامه .

قال وهب بن منبه : إن في مناديا ينادي كل ليلة : أبناء الخمين : هلموا للحساب ،  
أبناء السنين ماذا قد تم وماذا أخرتم ؟ أبناء السمين غدوا أنفسكم في الوقي :  
كبرت وقاربت نصف المائة      وبذلت يا شيخ بالقسمة  
وقد نشر الشيب في عسكر لا      شباب على رأسك الألوية  
تحول إلى توبة لا تحور      عساها تكون هي المنجية  
ولا تطلق اللحظ في ريبة      ولا تسألن فتنة ماهية  
وهل غيرها قد تذوقته      فكم تمتد الإنم والعصية

\* \* \*

إلى كم ياذا الشيب ، أما الأمر<sup>(٣)</sup> منك قريب ، كم تم في وعظك خطيب ،  
كم عاجلك طبيب . إنه لارض عجيب ، إنه لءاء غريب عظم واهن وقلب صليب ،  
يا هذا لا شيء أقل من الدنيا ولا أعز من نفسك ، وها أنت تنفق<sup>(٤)</sup> أنفاس النفس  
النفيسة على تحصيل الدنيا الخسيسة ، متى ينفك الكفاف ، متى يردك المفاف متى

(١) في تلخيص البصرة : في إغراضه .

(٢) وفي الطاعة ما تقدم على السن .

(٣) التلخيص : أما الموت .

(٤) في التلخيص : ويحك أنتفق . وفي ١ : تنفق أنفاساً هوية .



يقوُّمُكَ التَّنَافُ ، لِمَنكَ لَتَابِي إِلَّا الْخِلَافُ ، مَقَالِيدُكَ تَمُكِّلُ وَرَكَامَتُهُ خِفَافُ ، يَا قَبِيحَ  
الْخِلَافِ يَا سَيِّئَ الْأَوْصَافِ ، يَا مُشْتَرِبًا بَيْنِي الْخِصْبَ السِّنِينَ الْعِجَافُ ، قَفْ مَقْدِرًا  
لِحَالِكَ فَالْمُؤْمِنُ وَقَّافُ ، وَتَذَكَّرْ وَعِيدَ الْعَصَا وَبِحُكِّ أَمَّا تَخَافُ :

مَاضٍ الْحَزْمُ أَنْ تَقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبُعْدَ عَنْهُ بَعْدَ قَلِيلٍ  
وَإِذَا مَا هَمَّتَ بِالشَّيْءِ فَانْظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجُ قَبْلَ الدَّخُولِ  
لَا مَقَرًّا مِنَ الْقَادِرِ لَكِنْ لِلْعَازِيزِ عِنْدَ أَهْلِ الْعُقُولِ  
وَبِحُكِّ إِنْ الدُّنْيَا فِتْنَةٌ ، وَكَمْ فِيهَا مِنْ مِحْنَةٍ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا تَمُحِّقُ عَلَى أَهْلِ الْفِطْنَةِ ،  
لَا يَمِزُّ ذَلِيلُهَا وَلَا يُودِي قَتِيلُهَا ، مِنْ سَكَنِهَا خَرَجَ ، وَسَاكِنُهَا مَزْعَجُ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا بَلَاءٌ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا ثُبُوتُ  
إِنَّمَا الدُّنْيَا كِبَيْتٌ نَسَجَتْهُ الْمَكْبُوتُ  
كُلُّ مَنْ فِيهَا لَمَعَرَى عَنْ قَرِيبٍ سَيَمُوتُ  
إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْهَا أَيُّهَا الرَّاعِبُ قُوَّةُ

يَا هَذَا انْتَقِمْ مِنْ حِرْصِكَ بِالْقَنَاعَةِ ، فَنَ مَاتَ حِرْصُهُ عَاشَتْ مَرُودَتُهُ . خَلَّ فَضُولُ  
الدُّنْيَا وَقَدْ سَلَّتْ ، إِنْ لَمْ تَقْبَلْ نَصِيحِي نَدِمْتَ ، الْبُلْغَةُ مِنْهَا مَا يَقُوتُ <sup>(١)</sup> وَالزَّاهِدُ فِيهَا  
مَا يَمُوتُ ، فَأَعْرِضْ عَنْهَا جَانِبًا ، وَكُنْ لِأَهْلِهَا مُجَانِبًا وَإِذَا أَقَاتَكَ : هَجِيرُ الْجَمَاعَةِ فَلَدُ  
بِالصَّبْرِ فِي ظِلِّ الْقَنَاعَةِ .

(١) التَّطَفُّيسُ : مَا يَخُوتُ .

السلام على قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَ مَا تَوْسُوسُ بِهِ نَفْسَهُ»<sup>(١)</sup>  
 الإنسان : ابنُ آدمَ ، وما تَوْسُوسُ به نفسه : ما تُحَدِّثُهُ بِهِ وَيُكَلِّمُهُ فِي قَلْبِهِ . وهذا  
 بحث على تطهير القلب من مُسَاكِنَةِ الوساوسِ الرديئة تعظيماً لمن يعلم .  
 قال بعضُ السلف : إذا نطقتَ فاذكر من يَسْمَعُ ، وإذا نظرتَ فاذكر من يَرَى ،  
 وإذا عزمْتَ فاذكر من يعلم .

قوله تعالى : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » الوريد : عِرْقٌ فِي بَاطِنِ الْعُنُقِ  
 وَهَا وَرِيدَانِ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْمَلَأَيَيْنِ ، وَالْمَلَأَيَانُ : الْقَصَبَتَانِ الصَّغِيرَتَانِ فِي مَتْنِ الْعُنُقِ  
 وَحَبْلِ الْوَرِيدِ هُوَ الْوَرِيدُ ، فَاضِيفَ إِلَى نَفْسِهِ لِاخْتِلَافِ لَفْظِي اسْمِهِ<sup>(٢)</sup> .

سجع على قوله تعالى : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ »  
 يَا مُطْلِقًا نَفْسَهُ فِيمَا يَشْتَبِي وَيُرِيدُ ، إِذْ كَرَّ عِنْدَ خَطَوَاتِكَ الْمَبْدَى الْعَمِيدُ ، وَخَفَتْ  
 قُبْحُ مَا جَرَى فَالْمَلِكُ يَرَى وَالْمَلِكُ شَهِيدٌ « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » .  
 هَلَّا اسْتَحْيَيْتَ مِنْ يَرَاكَ إِذْ رَكِبْتَ مِنْ هَوَاكَ مَا نَهَاكَ ، سَبَّحَكَ وَاللَّهُ عَيْنَاكَ بِمَا جَفَّتْ  
 بِدَاكُ ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ بِالرَّصَادِ فَقُلْ لِي أَيْنَ تَحِيدُ « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » .  
 لَوْ صَدَّقَ عِلْمُكَ بِهِ لَرَأَيْتَهُ ، وَلَوْ خِفْتَ وَعِيدَهُ فِي الْحَرَامِ مَا قَارَبْتَهُ ، وَلَوْ عَلِمْتَ  
 سُحْرَ الْجَزَاءِ فِي كَأْسِ الْهَوَى مَا شَرِبْتَهُ ، لَقَدْ أَضَعْنَا الْحَدِيثَ عِنْدَ سَكْرَانٍ بِمِيدِ ، وَنَحْنُ  
 أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » .

\*\*\*

قال بعضُ السلف : مررتُ برجلٍ منفردٍ قُتِلَ لَهُ : أَنْتَ وَحْدَكَ ؟ قَالَ : مَعَ رَبِّي  
 وَمَلَكَائِي . قُلْتُ : أَيْنَ الطَّرِيقُ ؟ فَأَشَارَ نَحْوَ السَّمَاءِ ثُمَّ مَضَى وَهُوَ يَقُولُ : أَكْثَرُ خَلْقِكَ  
 شَاغِلٌ عَنْكَ .

راود رجل امرأة فقالت: ألا تستحي؟ قال: ما يرانا إلا الكواكب. قالت:  
وأيُنْ مُسْكُو كُها!

كَأَنَّ رَقِيْبًا مِنْكَ يَرَى خَوَاطِرِي وَأَخْرَ يَرَى فَاظِرِي وَلَإِنِّي  
فَمَا نَظَرْتُ عَيْنَايَ بِمَدِّكَ نَظْرَةً لِمَبْرُكٍ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي  
وَلَا بَدَرْتُ مِنْ فِيْ بِمَدِّكَ لَفْظَةً لِمَبْرُكٍ إِلَّا قُلْتُ قَدْ تَمَيَّنَانِي  
وَلَا خَطَرْتُ فِيْ غَيْرِ ذِكْرِكَ خَطْرَةً عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا عَوَّجْتُ بَعْنَانِي

\*\*\*

قوله تعالى: «إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ» وَهِيَ الْمَلَكَانِ، تَلَقِيَانِ الْقَوْلَ بِكِتَابَانِهِ، عَنْ  
الْبَيْهَقِيِّ كَاتِبِ الْحَسَنَاتِ وَعَنِ الشَّامَلِ كَاتِبِ السَّيِّئَاتِ «قَعِيدٌ» أَيْ قَاعِدٌ. وَلِلْحَفِيِّ: عَنْ  
الْبَيْهَقِيِّ قَعِيدٌ وَعَنِ الشَّامَلِ قَعِيدٌ.

وَرَوَى أَبُو أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ عَلَى  
يَمِينِ الرَّجُلِ وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ عَلَى شِمَالِهِ، وَكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ أَمِينٌ عَلَى كَاتِبِ السَّيِّئَاتِ،  
فَإِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَهَا لَهُ صَاحِبُ الْيَمِينِ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً قَالَ لَصَاحِبِ الشَّامَلِ:  
أَمْسِكْ. فَيَمْسِكُ عَنْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ، فَإِنْ اسْتَغْفَرَ مِنْهَا لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْءًا، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ  
كَتَبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»<sup>(١)</sup>

وَفِي حَدِيثٍ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَقْعَدُ مَلِكِكَ  
عَلَى يَمِينِكَ، فَلَسَانُكَ قَلْبُهَا وَرِيقُكَ مِذَادُهَا»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) لَمْ أَجِدْهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنْعَدَةِ.

(٢) لَمْ أَجِدْهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ.

سجع على قوله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال قعيد »

ما ظنك بمن يحصى جميع كائناتك، وبضبط كل حركاتك، وبشهادة عليك بحسناتك تُرفع الصغائر وهي مود وعمل المنافق مردود، يحضره الملكان لدى العبود، يشرع العبيد « عن اليمين وعن الشمال قعيد » .

بضبطان على العبد ما يجري من حركاته، وما يكون من نظراته وكلماته واختلاف أموره وحالاته، لا ينقص ولا يزيد « عن اليمين وعن الشمال قعيد » .

قال سفيان الثوري يوما لأصحابه : أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء ؟ قالوا : لا . قال : فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله عز وجل .

\* \* \*

قوله تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » أي : ما يتكلم من كلام فينقله أي يرميه من فيه إلا لديه رقيب عتيد، أي حافظ وهو الملك الموكل به، والعتيد الحاضر معه أينما كان .

السجع على قوله تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

يا كثير الكلام حسابك شديد ، يا عظيم الإجرام عذابك جديد ، يا مؤثرا ما بضره ما رأبك شديد ، يا ناطقا بما لا يُجدي ولا يُفيد « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

كلامك مكتوب وقولك محسوب ، وأنت يا هذا مطلوب، ولك ذنوب وماتقوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب ، فما أقسي قلبك من بين القلوب ، وقد أتاه ما يصدع الحديد « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

أَنْظِنُ أَنْتَ مَتْرُوكٌ مَهْمَلٌ ، أَمْ نَحْسَبُ أَنَّهُ يَنْسَى مَا نَعْمَلُ ، أَوْ نَعْتَقِدُ أَنَّ الْكَاتِبَ يَنْفَلُ<sup>(١)</sup> ، هَذَا صَائِحٌ النَّصَائِحُ قَدْ أَقْبَلَ ، يَا قَاتِلَا نَفْسَهُ بِكَفِّهِ لَا تَفْعَلْ ، يَا مَنْ أَجَلُهُ يَنْقُصُ وَأَمَلُهُ يَزِيدُ ، « مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » .

\* \* \*

أَنَا مِنْ خَوْفِ الْوَعِيدِ فِي قِيَامٍ وَقُعُودِ  
كَيْفَ لَا أَزْدَادُ خَوْفًا وَعَلَى النَّارِ وَرُودِ  
كَيْفَ جَعَدَى مَا تَجَرَّمُ تِ وَأَعْضَاى شُهُودِ  
كَيْفَ إِنْكَارِى ذُنُوبِ أَمْ تُرْى كَيْفَ جُودِ  
وَعَلَى الْقَوْلِ يُجْمَعِ بِرَقِيبٍ وَعَتِيدِ

■ ■ ■

قوله تعالى: « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ » وهى غمّرتها وشدة التى تَنْفَسُ الإنسان وتغلب على عقله . وفى قوله : « بِالْحَقِّ » . قولان ذكرهما النّزّاء: أحدهما : بحقيقة الموت . والثانى : بالحق من أمر الآخرة .

قوله تعالى : « ذَلِكَ » أى ذلك الموت . « مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيدٌ » . أى جُهرِب وتفرّج .

قوله تعالى : « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ » . وهى نفخة البعث « ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ » أى يوم وقوع الوعيد .

قوله تعالى : وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . . وفيه قولان : أحدهما : أنه مَلَكٌ يسوقها إلى عِشْرَها . قاله أبو هريرة . والثانى : أنه قَرِيبُهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ سَمِى سَائِقًا لِأَنَّهُ يَبْقِىهَا وَإِنْ لَمْ يَحْتِهَا .

(١) فى ١ ، والتخفيس : يَنْفَلُ .

وفي الشهيد ثلاثة أقوال : أحدها : أنه ملك يشهد عليها بعملها . قاله عثمان بن عفان والحسن . وقال مجاهد : الملك كان سائق وشهيد . وقال ابن السائب السائي : الذي يكتب عليه السيئات . والشهيد : هو الذي كان يكتب له الحسنات .  
والثاني : أنه العمل يشهد على الإنسان . قاله أبو هريرة .  
والثالث : الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله . قاله الضعّاك .

\*\*\*

إخواني احذروا من الرّض على مالك الطول والرّض ، وأعيذوا الجواب إذا سئلت من الرّض ، أين الحياة من قُبْح المضمرات ، أين البكاء على سالف الخطرات ، أين الخوف من الجزاء على خطوات الخطيئات .

كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة الرّضعي<sup>(١)</sup> : أما بعد : فإني أوصيك بقوى الله سبحانه والعمل بما علمك الله تعالى ، وللمراقبة حيث لا يراك إلا الله عز وجل ، والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة ولا يُنتفع بالندم عند نزوله ، فاحسّر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه من رَقْدَة الموتى وثمر للسّباق غداً ، فإن الدنيا ميدان السّابقين ، ولا تنقر بمن أظهر النّسك وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف ، واعلم يا أخي أنه لا بدّ لي ولك من المقام بين يدي الله تعالى ، بسألنا عن الدقيق الخفي وعن الجليل الخافي ، ولست آمن أن يسألني وإياك من وسواس<sup>(٢)</sup> الصدور ولحظات العميون والإصغاء للاستماع ، واعلم أنه لا يُجزى من العمل القول ولا من البذل العِدّة ولا من التوقّي التّلاوم .

\*\*\*

(١) الرّضعي : نسبة إلى بلدة بالشام يقال لها مرعش . انظر من نسب إليها في الباب ٣ / ١٢٠ -

(٢) التّغصيص : من وسواس .

يا من معاصيه كثيرة مشهورة ، يا من نفسه بمن يحفى عليها مـ مرورة ، أفي المين  
 كه أم عشي أم الأمر إليك يحوى كائنات ، أعلى القلب حجاب أم غشا ، أيا من إذا قعد  
 عصى وكذا إذا مشى ، كل فعلك غلط ، كل عملك سقط ، أترى هذا العقل اختلط ،  
 أما قوم بهذا السقط ، أما علم الشيب على حروف الموت ونقط ، لقد عزم الأجل على  
 التهبوس ، وطال ما أقام والدنيا قروض<sup>(١)</sup> ، قصر بئني وجسم منقوض ، شيب  
 وميب يزحلق القروض :

إلى متى أنت في ذنوبِ قلبك<sup>(٢)</sup> من أجلها مريض  
 أترضت عُمرًا فرًّا خلفًا وأنَّ أن تُطلب القروض  
 فأحذر مجيء الحُكَّام بئنا وأنت في باطلٍ منقوض

• • •

سجع على قوله تعالى : « لقد كنت في غفلة من هذا »

كأنك بالمر قد انقضى ، وهم عليك المرض ، وفات كل مراد وغرض ، وإذا  
 بالتلف قد عرض أخاذا « لقد كنت في غفلة من هذا » .  
 شخص البصر وسكن الصوت ، ولم يمكن التدارك للوقت ، ونزل بك ملك الموت  
 فامت الروح وحازى « لقد كنت في غفلة من هذا » .  
 عاجلت أشد الشدائد ، فبأعجاب ما تُكابِد ، كأنك قد سقيت سُمَّ الأسود فتعلم  
 أفلاذا « لقد كنت في غفلة من هذا » .

بلت الروح إلى التراقى ، ولم تعرف الراقى من الساقى ، ولم تدرك عند الرحيل  
 ما تلاقى ، عياذا بالله عياذا « لقد كنت في غفلة من هذا » .

(١) : وهذا قروض . (٢) : أنت من أجلها .

ثم درجوك في السكن وحلوك إلى بيت العفن ، على الميب القبيح والأفن ، وإذا  
الحبيب من التراب قد حنّ ، وصرت في القبر جذّاذاً « لقد كنت في غفلة من هذا » .  
وتسرّبت منك الأقارب نسرى ، تقدّ في مالك وتقرّى ، وغاية أمرهم أن تجرى  
دموعهم رذاذاً « لقد كنت في غفلة من هذا » .

قفلوا الأفعال وبضموا البضاعة ، ونسوا ذكرك يا حبيبهم بعد ساعة ، وبقيت هناك  
إلى أن تقوم الساعة ، لا نحمد وزراً ولا معاذاً « لقد كنت في غفلة من هذا » .

ثم قمت من قبرك فقيرا ، لا تملك من المال <sup>(١)</sup> فقيرا ، وأصبحت بالذنوب عقيرا ،  
فلو قدّمت من الخير فقيرا صار ملجأ وملأذا ، « لقد كنت في غفلة من هذا » .  
ونُصب الصراط والميزان ، وتغيّرت الوجوه والألوان ، ونودي : شقي فلان بن فلان ،  
وما ترى للمُذّر نفاذاً « لقد كنت في غفلة من هذا » .

كم بالغ هذولك في اللّام ، وكم قعد في زجرِكَ وقام ، فإذا قلبك ما استقام ، قطع  
الكلام على ذا « لقد كنت في غفلة من هذا » .

وصلّى الله على محمد وآله وصحبه .



## المجلس السادس

### في ذكر الحج

الحمد لله الملك القديم، الواحد العزيز العظيم، الشاهد سامع ذكر الذاكر وتخذ الحامد وعالم ضمير المريد ونية القاصد، لمعلمته خضع الراكع وذلل الساجد، وبهدها اهتدى الطالب وأدرك الواجد، رفع السماء فملأها ولم يحتج إلى مساعد، وألقى في الأرض رواسي راسخات القواعد، تنزه عن شريك مشاقتي أو ندم معاندي، ومز عن ولد وجل عن والد، وأحاط علماً بالأسرار والمقائد، وأبصر حتى ديب النمل في الجلامد، وسعاً فالت لحيته صماب الجوامد، وبقول في الليل: «هل من سائل» فأنقه باراقد. بنى بيتاً أمر بقصده وتلقى الوافد، وأقسم على وحنانيته وما ينكر إلا معاندي «والصافات صفاً فازاجرات زجراً ثلثالياتٍ ذكرنا إن إلهكم لواحد».

أحمد على الرخاء والشدائد، وأقر بتوحيده إقرار عابد، وأصل على رسوله الذي كان لا يخيب السائل القاصد<sup>(١)</sup>، وعلى صاحبه أبي بكر التقي النقي الزاهد، وعلى عمر العادل فلا يراقب الولد ولا الوالد، وعلى عثمان المقتول ظمناً بكف الحاسد، وعلى علي البحر الخضم والبطل المجاهد، وعلى عمه المباس أقرب الأقارب والأبعد.

\*\*\*

قال الله تعالى: «وقه على الناس حج البيت<sup>(٢)</sup>» فرض الله عز وجل حج البيت بهذه الآية.

وقوله: «من استطاع إليه سبيلاً». قال النحويون: «من» بدل من الناس، وهذا بدل اليمض كما تقول: ضربت زيداً رأسه.

(١) في ب والنهض: وأصل على رسوله بيت الصائد.

(٢) سورة آل عمران ٩٧.

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد الله التقي بسنده عن محمد بن عبيد بن جعفر ، عن عبد الله بن عمر قال : قيل يا رسول الله ما الاستطاعة إلى الحج ؟ قال : « الزاد والراحلة <sup>(١)</sup> » .

واعلم أن الحبيب قد يجيب عن المشكل ويترك الظاهر ثقةً بعلم السامع ، وإلا فقد يكون له زاد وراحلة فإذا خرج إلى الحج لم يكن له ما يترك لعياله أو لم يكن له ما يدبره في معاشه .

واعلم أن وجوب الحج موقوف على وجود البلوغ والعقل والحرية والإسلام والازاد والراحلة . ويشترط في وجود الراحلة أن تكون صالحة لثقله ورَّحلتها وآلتها ، لأنه قد يكون كبير السن فلا يمكنه الركوب على القتب <sup>(٢)</sup> ، وأن يكون وجود الزاد والراحلة فاضلاً عما يحتاج إليه من مسكن وخادم إن احتاج إليه ، ونفقة لعياله إلى أن يعود وقضاء دين إن كان عليه ، وأن يكون له إذا رجع ما يقوم بكفائته من عقار أو بضاعة أو صناعة ثم ينبغي أن ينظر في أمن الطريق وسمة الوقت . إلى غير ذلك .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قدر على الحج ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً <sup>(٣)</sup> » .

وقال ابن مسعود في قوله تعالى : « لأقمن لكم صراطك المستقيم <sup>(٤)</sup> » قال : طريق مكة يمنهم من الحج .

وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب بناء البيت وفضائله وفضل الحجر الأسود <sup>(٥)</sup> .

(١) أخرج نحوه الترمذي في سننه كتاب التفسير تفسير سورة آل عمران وابن ماجه في كتاب للناسك باب رقم ٦

(٢) القتب : الإكاف الصغير على قدر ستام الجير .

(٣) أخرجه أحمد والترمذي . (٤) سورة الأعراف ١٦ .

(٥) سبق ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١١٩ وما بعدها .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الركن اليماني :  
« وكَّلَ الله عز وجل به سبعين ألف ملك ، فمن قال : أسألك العفو والعافية ربنا آتينا  
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا : آمين <sup>(١)</sup> » .

وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من طاف بالبيت  
سبعًا وصلى خلف المقام ركعتين فهو عدلٌ مُحَرَّرٌ <sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا يحيى بن علي بسنده عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله عز وجل في كل يوم وليقة عشرين ومائة رحمة  
تنزل على هذا البيت : ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين <sup>(٣)</sup> » .

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من طاف  
بالبيت لم يرفع قدما ولم يضع أخرى إلا كتب الله عز وجل له بها حسنة وحطَّ عنه  
بها خطيئة ورفع له بها درجة <sup>(٤)</sup> » .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه <sup>(٥)</sup> » .

وفي حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النفقة  
في الحج نُسَاعَفَ كالنفقة في سبيل الله تعالى : الدرهم بسبعائة <sup>(٦)</sup> درهم » .

\*\*\*

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب التماسك باب رقم ٣٢ .

(٢) أخرجه النسائي في سننه كتاب التماسك .

(٣) الحديث ضعيف ، فيه سميد بن سالم القداح وهو ضعيف ، تذكرة الموضوعات للحافظ للقدس م ٣٣ .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الحج .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الحج .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٥ / ٣٥٥ .

فأما حج المائى : فأخبرنا أبو منصور وعبد الرحمن بن محمد ، بسندهما عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن زاذان قال : مرض ابن عباس مرضا شديدا فدعا ولده فجمعهم فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حجَّ من مكة ماشيا حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم . فقيل له : وما حسنات الحرم ؟ قال : بكل حسنة مائة ألف حسنة »<sup>(١)</sup>.

وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن لللائكة أعضافح رُكبان الحج وتَمْتَنِقن للشاة »<sup>(٢)</sup>.

• • •

وأما فضيلة الحج : فأخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحج للبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، والعمرتان - أو العمرة - إلى العمرة تكفر ما بينهما »<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا محمد بن محمد الوراق بسنده عن أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حجَّ هذا البيت فلم يَرَفْث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه »<sup>(٤)</sup>.

الحدثان في الصحيحين .

وروى عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت ، ما أتاه عبدٌ يأل الله تعالى دنيا إلا أعطاه منها ولا آخرة »<sup>(٥)</sup> إلا أذخر له منها .

• • •

(١) لم أجده في شيء من الكتب المتقدمة .

(٢) صحيح البخارى كتاب الحج حديث باب رقم ٤ ، ٣٤ . وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٢٠٤ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الحج باب رقم ٤ . وصحيح مسلم كتاب الحج رقم ٤٣٨ .

(٤) ١ : ولا سأل الآخرة .

وينبغي لمن أراد الحج أن يفهم معنى الحج ، فإنه يشار به إلى التجرد لله عز وجل ومفارقة الحيويات .

وليتذكر بأحوال الطريق الأحوال بعد الموت وفي القيامة ، وبالإحرام السكفن ، وبالتلبية إجابة الداعي ، وليحضّر قلبه لتعظيم البيت ، وليتذكر بالانتحاء إليه التجاء المذنب ، وبالطواف الطواف حول دار السيد ليرضى ، وبالسعى بين الصفا والمروة التردد إلى فيناء الدار ، ويرمى الحجار رمى المذنب .



وكأن للأبدان حجاً فلقلوب حج ؛ فإنها تنهض بأقدام الزائم وتمتلي غوارب الشوق ، وتتوارق كل محبوب للنفس ، وتصير في الطريق شدة الجهد ، وترد مناهل الوفاء لا غدّران الغدر ، فإذا وصلت إلى ميقات الوصل نزعت مخيط الأمال الدنيوية ، واغتمت من عين العين ، ونزلت برقات العرقان ، ولبت إذ لبت من لباب اللب ، ثم طافت حول الإجلال ، وسعت بين صفاً صفاً ومروة المروة ، فرمت حجار الهوى بأحجار ، فوصلت إلى غرب الحبيب فلو ترّمت بشرح حالها لقلت :

لا والذي قصد الحبيجُ لبنته	من بين ناه طارقٍ وقريب
والحجرُ والحجرُ للقبَل تلتقي	فيه الشَّقاء وركنِه المحبوب
لا كان موضِعك الذي ملكته	من قلب عبدك بعد ذا الحبيب
لأنّ الشاكّي إذا بُعد الذي	ما بيننا ونفس الكروب

ولما عبر الغليل هذه الحالة قيل له : قد بقي عيك ذِبح يجانس هذا الحج ليس له إلا الولد وما المراد بإراقة دمه بل فراغ قلبك عنه ، يا خليلي من السنون استبان الإبل وألا يكون في المذبوح عيب ، فاختبر ذِبحك هل فيه عيب أو هو سليم مُسلم ؟ فقال له : « إنى أرى في النام أنى أذبحك » فأجابته : « اقل ما تؤمر » . فليعلم حصول السكال وعدم العيوب ثم قال له : استعدّ مذبتك وأسرع مرّ السكين على حلقى

وإذا عُدْتُ إلى أمي فسَلِّم عليها عني . هذا قولُ من لم يَلَمْ بقلبه خوفُ ألم !  
مِحنَتِي فيكَ أنِّي لا أَبَالِي بِمِحنَتِي  
يَا شِفَانِي مِنَ السَّعَا م وَإِنْ كُنْتُ عِلَّتِي

\* \* \*

وإذا وصل الحاج إلى المدينة المشرفة فيجعل على فكره<sup>(١)</sup> تعظيم من يقصده ،  
وليتخايل في مساجدها وطرقاتها نقل أقدام الصلطين هناك وأصحابه ، وليتأدب  
في الوقوف وليستنفع بالحبيب وليأسف إذ لم يحظ برؤيته ولم يكن في صحابته .  
وما رُمْتُ من بعد الأحيّة سلوةً ولكنني للنائبات سَحوْلُ  
وما شَرَقِي بالماء إلا تذكُّراً لماء به أهل الحبيب نزولُ  
وينبئ لمن عاد من الحج أن يَقْوَى رجاؤه للقبول ونحو ما سلف ، وليعذر من  
تجديد زَلَل<sup>(٢)</sup> .

وقد سئل الحسن البصري : ما الحج للبرور؟ فقال : أن تعود زاهدا في الدنيا راغبا  
في الآخرة .

أخبرنا أبو منصور القزّاز بسنده عن عبد الرحمن بن عبد الباقي قال : سمعت بعض  
شايخنا يقول : قال علي بن الموفق : لما تمّ لي ستون حجة خرجت من الطواف وجلست  
بعذاء الميزاب وجعلت أفكر لا أدرى أي شيء حالي عند الله عز وجل وقد كثرت  
تودّدي إلى هذا المكان؟ فقلبتني عيني فكأن قائلا يقول لي : يا علي أتدعو إلى بيتك  
إلا من تحبه ؟ قال : فانتبهت وقد سرّني عني ما كنت فيه .

---

(١) : على قلبه .

(٢) في التلخيص : من تجديد ما زال .

### (الكلام على البسلة)

غفلتُ وليس الموتُ في غفلةٍ عني      وما أحدهُ ينجي عليَّ كما أجنِّي  
أشيدُ بُنياني وأعلمُ أنني      أزلُّ، لمن شدته ولن أبنِّي  
كفاني بالموتِ للنفسِ واعظاً      ما أبصرتُ عيني وما سمعتُ أذني  
وكم للساي من فنون كثيرةٍ      تميّتُ وقد وطئتُ نسي على قنٍ  
ولو طرقتُ ما استأذنتُ من يحبي      كما أقدتني من أحبُّ بلا إذنٍ  
وقد كنتُ أفدي ناظره من القذى      فطليتُ ما قد كنتُ أفديه بالعينِ  
ستجني ياربُّ في القبرِ برهةً      فلا تجمل الذيران من بعده سيجني  
ولي عند ربِّي سيئات كثيرةٍ      ولكنني عبدٌ به حسن الظنِّ

• • •

من المعاصي إذا دُعِيَ لحضر، ونشر كتابه ونظر، لم يُسمع عذره وقد اعتذر،  
وناقشه المولى فسا غفر، آه لراحلٍ لم يتزود للقر، وناسر إذا ربح المتقون افتقر،  
ولحروم جنة الفردوس حلّ في سقر، ولعاجر فضحه فجوره فاشهر، ولتكبر بالذل بين  
الكل قد ظهر، وإلى محول إلى جهنم فلا ملجأ له ولا وزر، آه من يوم تكوّر فيه  
الشمس والقمر، يا كثير الرياء قل إلى متى تُخلص، يا ناصي الأنكال إن كالت  
فخلص، ما بتخلص من معازل ولا هو عند الله مُخلص، الدهر حريص على تملك  
يا من يحرس، تفكر فيمن أصبح مسروراً فأسمى وهو متفئس، ومتى أردت قلة  
فاذكر قبلها المنفس، وتعلم أن الهوى ظلّ والظل متخلص، وخذ على نفسك لانساعها  
ولا ترخص، حائط الباطل خرابٌ فإلى كم تُبخص، أين الهمّ المجتمع تفرق فما يفتنع،  
بدعوك الهوى فتخب، وتحدثك ألني فتسمع، كم زجرك ناصح فلم قطع، سار الصالحون  
يا منقطع، ما الذي عاقلك لهوٌ مُختدع، شرّاً ما يبق بما يقني وأنت لم تنسّر

ولم تَسِحْ ، أين نعيمهم ؟ نَسَحَ بالروح ولم يَضَعْ ، تَلَخَّ المواقبَ فَلَيْلَتْهُمَا العقل وضِع ،  
كأنه ما جاع قط من شبع .

جَزُ على الشونيزية<sup>(١)</sup> أو على قبر أحمد ، وميَّز من أطاع من أضاع فمن أخذ ؟  
قبور الصالحين تؤنس الزائر ، وقبور الظلمة عليها غلام متوافر ، جُذُّ على قبور العباد  
ونادٍ في ذلك النادِ : أيتها الأودية والوهاد ، ما فعلت تلك الأوراد :

تعاهدتك العباد يا طَلَلُ	خبر عن الطاعنين ما فعلوا
قال لم أذر غير أنهم	صاح غرابُ البين فاحتملوا
لا طابَ ليلى ولا النهار لمن	يَسْكُنِي أو يردُّهم فَقَلَّ <sup>(٢)</sup>
ولا تحليت بالرياض وبالتنو	ر وَمَغْنَى منهم عَطَلُ
خلّ هذا فما عليك لهم	قلت أين وأدْمِغْ هُطَلُ
وأنتي مُقَقِّل الضمار عن	حُبِّ سيوام ما حنَّ الإبلُ
فقال هلا اتبتمهم أبدا	إن نزلوا مَنَزَلًا وإن رحلوا

\*\*\*

سبعان من قَسَم الأقسام ، فلقوم يَفْقَظُ ولقوم منام .

قال وهب بن منبه : كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما أن  
مشيا على الماء ، فبينما هما يمشيان في البحر إذا هما برجل يمشي في الهواء فقالا له : يا عبدا لله  
بأى شيء أدركت هذه المنزلة ؟ فقال : يسير من الدنيا : فطمت نفسي عن الشهوات  
وكففت لاني عما لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني ، ولزمت الصمت . فإن أقسمت  
على الله أبرّ قسى ، وإن سأله أعطاني .

(١) الشونيزية : موضع ينداد به مقبرة مشهورة بها مشايخ الزهاد : سري الفطلي وجنيد بن محمد  
وفيهما .

(٢) القل : اسم الجمع للقالل بمعنى رابح .



يا بعيدا عن الصالحين ، بامطردا عن الفلحين ، لقد نصب الشيطانُ الأشرار وجعل  
حَبَّ الفخِّ هوالك ، وكم رأيت مأسورا وسط ذاك ، وليس المراد الآن إلَّاك ، احذر  
فَخَّه فهو بعيد الفسَّاك ، كم يوم غابت شمسه وقلبك غائب ، وكم ظلام أسبل ستره  
وأنت في عجائب ، كم ليلة بالخطايا قطعتمها ، وكم من أعمال قبيحة رفعتها ، وكم من  
ذنوب جمعتها والصحف أودعتها ، كم نظرة ما تحلُّ ما خِفْتُ ولا منعتمها ، كم من  
موعظة نعيمها وكأنك ما سمعتمها ، وكم من ذنوب تميب غيرك بها أنت صنعتها ، وكم  
أمرتكَ النفس بما يؤذي فأطعتمها ، يا موافقا لنفسه آذيتها ، خالفها وقد نفعتمها :

طوى نفسه عنك<sup>(١)</sup> الشبابُ الزايلُ وأُسَلِّتْ للشَّيْبِ الذي لا يزائلُ  
نسِر إلى الآجال في كل ساعةٍ وأيامنا تُطَوَّى وهُنَّ مَراحِلُ  
ولم أرَ مثلَ الموت حَقًّا كأنه إذا ما نَحَطَّتْهُ الأُمَامُ باطلُ  
وما أقبِحَ التفريطُ في زمن الصِّبَا فكيف به والشَّيْبُ في الرأسِ شاملُ<sup>(٢)</sup>  
ترَحَّلُ عن الدنيا بزادٍ من التَّفَقُّي فَعُمُرُكَ أبايَ وهن قلائِلُ

الكلام على قوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ »<sup>(٣)</sup>

كان مطرّف بن عبد الله يقول : هذه آية القراء .

ومعنى يتلون يقرءون .

وفي أفراد البخارى من حديث عمار رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه  
قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »<sup>(٤)</sup> .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن عبد الرحمن بن زيد المظلي عن أبيه عن أنس ،

(٢) التلخيص : شاتل .

(١) التلخيص : عني .

(٤) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب ٢١ .

(٣) سورة فاطر ٢٩ .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل أهلّين من الناس . قيل : مَنْ أهلّ الله منهم ؟ قال : أهلّ القرآن هم أهلّ الله وخاصته <sup>(١)</sup> » .

أخبرنا هلى بن عبيد الله وأحمد بن الحسن وعبد الرحمن بن محمد بإسنادهم ، عن عُبَيْدِ بْنِ عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يمسّذ الله قلباً وعى القرآن <sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا الكركُوشى بسنده عن محمد بن كعب القرشى قال : سمعت عبد الله بن مسمود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنةٌ والحسنةُ بمِثْرُ أمثالها ، لا أقول الـم حرف ، ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف » .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقال لصاحب القرآن يوم القيامة : اقرأ وارتنّ ورتلّ فى الدنيا فإنّ من ذلك عند آخر آية تقرأها <sup>(٣)</sup> » .

\*\*\*

واعلم أن تلاوة القرآن آداباً : منها : أن يقرأ وهو على وضوء متأدّباً مطوّفاً مرتلاً بتّحزين وبكاء مُبِيراً معظماً للكلام والقلم به مُحضراً لقلبه ، متدبّراً لما يتلوهُ .

وقد كان فى السلف من يَحْتَمُّ فى كل يوم وليلة . وقد كان عثمان رضى الله عنه يَحْتَمُّ فى الوتر . ومنهم من كان يَحْتَمُّ خَمَتَيْنِ .

وقد كان الشافعى رضى الله عنه يَحْتَمُّ فى رمضان ستين ختمةً ومنهم من يَحْتَمُّ ثلاث ختمات <sup>(٤)</sup> ، وهؤلاء الذين غلب عليهم انتهاب العمر ، ومنهم من كان يَحْتَمُّ فى كل

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ٣ / ١٢٨ ، ٢٤٢ .

(٢) أخرجه الدارمى فى صفته كتاب فضائل القرآن .

(٣) أخرجه الترمذى فى كتاب ثواب القرآن ، وأحمد فى مسنده ٣ / ٤٠ .

(٤) ب : ومنهم من ختمه ثلاث مرات .

أسبوع اشتغلاً بنشر العلم ، ومنهم من كان يحتم كل شهر لإقبالاً على التدبر .  
وقد روى أبو ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام ليلة بآية  
يردّها : « إِنْ تَذَبُّهُمْ فَلَهُمْ عِبَادُكَ <sup>(١)</sup> » .

وقام تميم الدارى بآية : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ <sup>(٢)</sup> » . وكذلك قام  
بها الربيع بن خثم .

وقال أبو سليمان الداراني : إني لأقيم في الآية أربع ليال أو خمس ليال .  
وقد بقي بعض السلف سفتين في ختمة .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : من ختم القرآن فله دعوة : مستجابة .  
وقال عبد الرحمن بن الأسود : من ختم القرآن نهاراً غُفر له ذلك اليوم ، ومن  
ختمه ليلاً غُفر له تلك الليلة .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال : أنبأنا ابن التَّوَّور ، أنبأنا ابن حباب ، حدثنا البُهي  
حدثنا هُدْبَةُ ، حدثنا حماد بن مسلة عن أبي مسكين عن طلحة بن معمر قال : من  
ختم القرآن في أي ساعة من النهار كانت صَلَّتْ عليه الملائكةُ حتى يُنسى أو أي ساعة  
من الليل كانت صَلَّتْ عليه الملائكةُ حتى يُصبح .

وقد روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنْ رَجُلٌ قَامَ  
لَيْسَ فِي جَوْفِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ كَالْبَيْتِ الْغَرَبِ <sup>(٣)</sup> » .

وروى سعد بن عُبَادَةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَا مِنْ أَمْرٍ يُقْرَأُ  
الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ أَجْدَمٌ <sup>(٤)</sup> »

(١) سورة الثامنة ١١٨ . والمحدث ذكره ابن الجوزي أيضاً في الرواس ٥٠٤ .

(٢) سورة المجاثية ٢١ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب نواب القرآن .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الزمر وأحمد في مسنده ٥ / ٢١٢ ، ٢١٣ . والدارمي في مسنده

كتاب فضائل القرآن .

وفي حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« اقرءوا القرآن وابتغوا به الله عز وجل من قبل أن يأتى قومٌ يقيمونه مقامَ القِدْحِ  
يتمجّلونه ولا يتأجلونه » .

قال ابن مسعود : ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بلبله إذ الناس نائمون وبهّاره  
إذ الناس مفترطون، وبمجزّئه إذ الناس يفرحون، وببيكائه إذ الناس يضحكون، وبسمته  
إذ الناس يحنّون .

أخبرنا ابن ناصر قال حدثنا عبد القادر ، أنبأنا يوسف ، أنبأنا الحسن بن علي  
القمي ، حدثنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا علي بن مسلم ، حدثنا  
صيار ، حدثنا جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : باحثة القرآن ماذا زرع القرآنُ  
في قلوبكم ؟ فإن القرآن ربيعٌ للمؤمنين كما أن الفيت ربيع الأرض ، وقد ينزل الفيت من  
السماء إلى الأرض فيصيب الحش<sup>(١)</sup> فتكون فيه الحية فلا يمنعها نتن موضعها أن تخضر  
وتهمز وتحمسن ، فيا حلة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم ؟ .

قال الفضيل رحمه الله : حامل القرآن حاملُ راية الإسلام ، لا ينبغي أن يلهو مع  
من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ، ولا ينبغي أن يكون له إلى أحد حاجة ، « إلى الخلفاء  
إلى من دونهم »<sup>(٢)</sup> ، وينبغي أن تكون حوائج الناس إليه .

وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : رأيت ربّ العزة عز وجل في المنام فقلت يارب :  
ما أفضل ما يقترب به المقربون إليك ؟ قال : بكلامي يا أحمد . فقلت : يا رب بفهم  
أو بفير فهم ؟ فقال : بفهم وبفير فهم .

\* \* \*

(١) الحش : موضع قضاء الحاجة .

(٢) ليست لـ ١ .

قوله تعالى : « وأقاموا الصلاة » المعنى : وبقيوم الصلاة وهو إتمامها بحدودها  
وفي مراقبتها .

قال بعض السلف : رأيت يجبل الأكام<sup>(١)</sup> شاباً مُصَفَّراً يصلي المشاء الآخرة ثم  
يصف قدميه فيختم القرآن في ركعتين ، ثم يبكي إلى الفجر .

\*\*\*

قوله تعالى : « وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً » كانوا إذا فندوا على السر لم  
يُخْزَ جوا الصدقة علانية ، لأن صدقة السر تزيد على العلانية سبعين ضعفا .  
وفي الصحيحين أن أبا طلحة قال : أحب أموالى إلىّ بَرَحَاءُ وهى صدقة لله تعالى  
لو قدرت أن أُسِرَّه لم أعلنه .

\*\*\*

يا مُصَفَّراً فى أحواله بخيلا بماله ، لا تسألوا عن حاله يوم تزحاله ، يا دائم الخسران  
فا بريح ، يا مقيما على المعاصى ما يبرح ، متى رأيت من فعل فلك أفلح ، تقبل من العدو  
ولا تقبل ممن ينصح ، قم على قدم الطلب فاقرع الباب بالأدب يفتح ، صاحب أهل  
الخير تسكن منهم ، واستفد خصالهم وخذ عنهم .

\*\*\*

قوله تعالى : « يَرْجُونَ تِجَارَةً » أى يرجون بفعلهم تجارة « لن تبور » أى لن  
تفسد ولن تتكسد . وهذا جواب قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ » .

لما سموا مضاعفة الأجر فى قوله تعالى : « مَثَلُ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَ سَبْعُ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةُ حَبَّةٍ<sup>(٢)</sup> » . ثم سمعوا قوله تعالى :  
« فَيُضَاعَفُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً<sup>(٣)</sup> » . قال ابن عباس : لا ينقص عددها .

(١) الأكام : جبل بسات حماء وهجر وأغابية ويحد شمالا إلى صهيون وينتهي عند أنطاكية .

(٢) سورة البقرة ٢٦١ . (٣) سورة البقرة ٢٤٥ .

( البصرة ١٩ / ٢ )

وقال ابو هريرة : إن الله تعالى يكتب للمؤمن بالחסنة الواحدة ألف حسنة ولما سمعوا لفظ « القرض في ذمة الله »<sup>(١)</sup> . بادروا بالأموال .  
 أخبرنا يحيى بن هل المدير بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزل قوله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » . قال أبو الدحداح يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وإن الله تعالى يريد منا القرض ؟ قال : نعم : قال : أرى يدك يا رسول الله . قال فناوله يده فقال : إني قد أقرضتُ ربِّي حائطي . قال وحائطه فيه ستمائة نخلة ، وأم الدحداح فيه وبعيها فجاء أبو الدحداح فنادى : يأم الدحداح . قالت : لبيك . قال : اخرجي من الحائط فقد أقرضته ربِّي عز وجل وفي رواية أخرى أنها لما سمعت ذلك حمدت إلى صبياتها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كم من عذق ردّاح<sup>(٢)</sup> في الجنة لأبي الدحداح » .

\*\*\*

صبعات من خلق تلك النفوس واختارها ، وصفاها بالتقى ورفع أكدارها ، وجعل حِمِّي معرفته وجَنَّتْ دارها ، فإذا مرّت على النار أطفأ نورها نارها ، قوم تيقظوا في أمورهم وعقلوا ، وحاسبوا أنفسهم فما أضاعوا ولا غفلوا ، وحاربوا جنود الهوى فأنسروا وقتلوا ، وتدابروا منازل اليقين مع سادة المتقين ونزلوا ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا .

إخواني : رحل من أحيفه وبقي من لا أعرفه<sup>(٣)</sup> ، سلّ عنهم الشعث الغبور ، وزر إذا اشتقتهم القبور .

(١) في قرّة الميون : في ذمة الكريم .

(٢) الملقب : القنن من النخلة . والرداح : اللتل باخول .

(٣) ب : نرفقه .

لَمَن الطُّولُ كَانَهُن (م) يَجْزَعُ ذِي سَلَمٍ سَطُورُ  
تَطَاوَى مَعَالِمَهَا الصَّبَا طَوْرًا وَتَنْشُرُهَا الذُّبُورُ  
وَكُنْتُ بِهَا مِنْ أَدْمَعَى فِي الرِّكْبِ غَادِيَةً دُرُورُ<sup>(١)</sup>  
وَنَقَلَ مَا يُجَدَى الدَّمُوعُ وَيَنْفَعُ الصَّبَّ الرَّفِيرُ  
أَفُوتُ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْحَيِّ الدِّيَا رُفَا لَهَا فِي التَّيْنِ نَوْرُ

سجع على قوله تعالى : « يرجون تجارة لن تبور »

كانوا يقومون الذي تجور ، ببقاء مطروح مهجور ، ورغد قلوبهم مُنْقَلَقُ زُجُور ،  
فامتلأت بالظلمات الحُجُور « يرجون تجارة لن تبور » .

رفضوا الدنيا شغلا عن الزينة ، وأذلوا نفوسهم فمادت مسكينة ، وعلموا أن  
الدنيا سفينة قتيلاً أو للعبور « يرجون تجارة لن تبور » .

يؤثرون بالطعام ويؤثرون الصيام ، ويأملون فضل الإنعام ، فما كانت إلا أيام حتى  
اخضرت الهُدُور « يرجون تجارة لن تبور » بعثوا الأموال الجببية إلى بلاد البعث القريبة ،  
فإذا الأرباح عن قريب قريبة ، وعلى هذا التجارة تدور « يرجون تجارة لن تبور » .  
الليل عليل ، والأنين طويل ، والميون تسيل ، وما مضى إلا القليل حتى فرح  
الصُّبُور « يرجون تجارة لن تبور » .

يقفون وقوف مسكين ، ويدلون ذلٌ مُستكين ، فنالوا المقام الأمين ، وانشب<sup>(٣)</sup>  
قلوبُ الحزين بأكل الحُبُور « يرجون تجارة لن تبور » سليمهم كالسليم<sup>(٤)</sup> ، وحزنهم  
مقيم ، يحذرون الجميع ويرجون النعيم في كمال العبور « يرجون تجارة لن تبور » .

(١) الغادية : الحابة تنشأ غدوة . والدور : الفزيرة المطر ، يريد أنه بكى بدموع غزيرة .

(٢) أفوت : انصب ،

(٣) أفوت : خلت .

(٤) السليم الأول بمعنى الصحيح الجسم . والثانية بمعنى القديح ، وإنما ههنا ذلك تناوُلاً .

للقلب مع الدنيا نبا<sup>(١)</sup> ، كلما عارضه الهوى نبا<sup>(٢)</sup> ، يندبون نَدْب الأسرى القُرَبَا ،  
والزفراتُ على ذنوب الصَّبَا تزيد على الصَّبَا والدُّبُور « يرجون تجارة لن تبور » .  
يا من يدفن ماله تحت الأرض ولا يفهم معنى القَرْض ، سينخرج الوارث بالقَرْض  
إلى الدرهم والدُّور . « يرجون تجارة لن تبور » .  
سبحان من قصى لقوم سرورا ، وعلى آخرين بُورا فإلهم من نور « يرجون  
تجارة لن تبور » .  
والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) نبا : أصلها نَبَأ مهوَّذاً بمعنى الحُب ، ولأنها سهلها رعاية الجمع .

(٢) نبا : بعد .



## المجلس السابع في الأخوة والصداقة

الحمد لله الذي لطف بالبرايا إذ برّاهم وبرّهم، وروّح أرواح أهل الصلاح براح الفلاح وسرّهم، وأطلع على ضمير من نوى وسرّهم<sup>(١)</sup> من أسرّهم، وقدر الأشياء ففقد الخبير وقضى الشر، وأمات وأحيأ وأفقر وأغنى ونفع وضرّ، جفّ القلم بتقديره ففنى الأمر واستقرّ، بقدرته تقطع للراكب البحر والركوب البرّ، لطفه عظيم وجوده هيم قد استمر «رُبّ أشعث أغبر لو أنسى على الله لأبرّ»<sup>(٢)</sup> «سميع يسمع الدّنّف الضّمار، بصير يرى في دُجى الليل الذّرّ، عليم بانكسار من ندّم وإصرار من أصرّ، حلّيم فإن سطأ رأيت الأمر الأمّر»، ما أطفئه بعبده يدعوه لرفع ماعر<sup>(٣)</sup> «فإذا كشفنا عنه ضره مرّ»<sup>(٤)</sup>.  
يعدّ رواق الظلام فإذا لاح الصباح قرّ، وينير النهار فإذا انقضى عاد الليل وكرّ، فالتقرّ آية الليل والشمس تجرى مستقرّ.

أحمد على إنعام كلا احتلب دّرّ، وأقرّ بوحدايته عن دليل قد استقرّ، وأصلّى على رسوله محمد الذي عمّت رسالته البحر والبرّ، وعلى صاحبه أبي بكر المنيف حتى تخلّل وزرّ<sup>(٥)</sup>، وعلى عمر الزاهد فاغرّه ما غرّ، وعلى عثمان الذي ارتفع بالكرم فبرّ وأبرّ، وعلى عليّ الذي ما أقدم قط فقرّ، وعلى همه المباس للقدم نسباً والنخز قد استقرّ.

\*\*\*

قال الله تعالى: «هو الذي أبدلك بنصره وبالمؤمنين»<sup>(٦)</sup> «أيدك بمعنى قواك بنصره

(١) ١، والتلخيص: وعزم.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر حديث رقم ١٣٨ وكتاب الجنة حديث رقم ٤٨، ٦٠.

(٣) ١: ماضر. (٤) سورة يونس ١٢.

(٥) تخال: عدد كاهن بخلاف لأنه تصدق بجميع ماله ولم يبق له شيء.

(٦) سورة الأنفال ٦٢.

وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم. التأليف : الجمع على ما يشاكل<sup>(١)</sup>. والمراد بالآية الأوس والخزرج وهم الأنصار ، وكانت بينهم عداوة في الجاهلية فألف الله عز وجل بينهم ، وهذا من أعجب الآيات ، لأنهم كانوا ذَوِي<sup>(٢)</sup> أُنْفَةٍ شديدة ، فلو أن رجلا لطم رجلا لقاتلت عنه قبيلته حتى تُدْرِك نأره ، قال لهم الإسلام إلى أن يقتل الرجلُ ابنه وأباه في طاعة الله عز وجل .

وقد روى أبو الأخرس ، عن ابن مسعود في قوله تعالى « لو أنْفَقْتُ ما في الأرض جميعا ما أَلَّفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ » قال : هم المتعابون في الله تعالى .

\* \* \*

اعلم أن المعنى الجامع بين المسلمين الإسلام ، فقد اكتسبوا به أخوة أصلية ، ووجب عليهم بذلك حقوق لبعضهم على بعض .

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »<sup>(٣)</sup> .

وفيها من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا « وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ »<sup>(٤)</sup> .

وفيها من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »<sup>(٥)</sup> .  
وفي حديث مسلم : جَارِهِ أَوْ لِأَخِيهِ .

(١) : ١ على ما يشاء .

(٢) صحيح البخارى كتاب الأدب وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٦٦ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الأدب وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٦٥ .

(٤) صحيح البخارى كتاب الإيمان وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٧١ ، ٧٢ .

وفيهما من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« حق المسلم على المسلم خمسٌ : يسلم عليه إذا لقىه ، ويشتمه إذا عطس ، ويموده إذا مرض ،  
ويشهد جنازته إذا مات ، ويحييه إذا دعاه <sup>(١)</sup> » .

وإذا ثبتت هذه الحقوق للاشتراك في الإسلام فكلما زادت المحاطة وصفاً زادت  
الحقوق ، مثل القرابة والمجاورة والضيافة والصعبة والصدقة والأخوة الخاصة في الله  
عز وجل .

فأما حق القرابة : فملومٌ : وجوب بر الوالدين وتقديم الأم في البر ووجوب صلة  
الرحم .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَوْسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ وَيَنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ <sup>(٢)</sup> .  
وأما حق الجار في الصحيحين من حديث ابن عمر وعائشة عن النبي صلى الله عليه  
وسلم . أنه قال : « ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه <sup>(٣)</sup> » .

وأما حق الضيف في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه <sup>(٤)</sup> » .

وأما حق الصعبة فقال مجاهد : صعبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان  
يخدمني أكثر .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الجنائز وصحيح مسلم كتاب السلام حديث رقم ٤ - ٦ .

(٢) صحيح البخارى كتاب البيوع وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٢٠ ، ٢١ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الأدب وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ١٤٠ . وسنن الترمذى

كتاب البر وسنن ابن ماجه كتاب الأدب وسند أحمد ٢ / ٨٥ .

(٤) صحيح البخارى كتاب الأدب وكتاب الرقاق وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٤٧٤ .

وأما حق الصداقة فإنها تطلق على ما دون الأخوة، فالأخوة هي المرتبة العليا، وإنما تقع الأخوة الصداقة إذا حصل التشاكل بين الأخوين في أصل الوضع. وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأرواح جنود مجنونة فما تارفت منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»<sup>(١)</sup>.

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: ومعنى هذا الحديث: الإخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها الأجساد، على ما روى أن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بكذا وكذا، فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنها خلقت على ائتلاف واختلاف فتألف الأجساد في الدنيا وتختلف على حسب ما وقع في مبدأ الخلقة.

وفي هذا الحديث دليل على أن الأرواح ليست بأعراض وأنها كانت موجودة قبل الأجساد، وأنها تبقى بعد الأجساد. ويؤيد هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تملق في ثمر الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأخوة الخاصة هي التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، وقد علم أن الأخوة العامة في قوله تعالى: «إنما للؤمنون إخوة»<sup>(٣)</sup> واقعة قبل عقده، غير أنه أراد الأمر الخاص.

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الزبيع<sup>(٤)</sup>. وقد آخى بين خلق كثير ذكرتهم في كتاب التلقيح<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري كتاب الأنبياء وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ١٥٩، ١٦٠.

(٢) الحديث ورد بروايات مختلفة في صحيح مسلم كتاب الإمارة حديث رقم ١٢١ والترمذي في كتاب التفسير سورة ٣، ١٩ ومسنود أحمد ٦ / ٣٨٦. (٣) سورة الحجرات.

(٤) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار وكتاب الأدب وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٠٣.

(٥) هو كتاب تلقيح نفوس أهل الأمر لابن الجوزي للطبوع في حيدرآباد.

وهذه الأخوة هي التي توجب المحبة في الله عز وجل ، وهي أوثق عرى الإيمان -  
كذلك روى البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوثق عرى الإيمان  
أن تحب في الله وتُبغِضَ في الله » <sup>(١)</sup> .

ومن جملة ثواب المتعابين ما روى في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله » فذكر منهم  
رجلين تحابَّيا في الله عز وجل اجتمعا عليه وتفرقا عليه <sup>(٢)</sup> .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي الحباب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : أين المتعابون بمجلاي ؟  
اليوم أظلهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلي » .  
انفراد بإخراجه مسلم <sup>(٣)</sup> .

وإلى سناد عن أبي مسلم الخولاني قال : أتيت مسجد أهل دمشق فإذا حلقة فيها  
كهول من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا شاب فيهم أكحل العين براق الشهاب  
كلما اختلفوا في شيء ردُّوه إلى الفقي ، قلت لجليس لي : من هذا ؟ قال : هذا مماذ  
ابن جبيل فجئت من المشي فلم يحضر ، فعدوت من الغد فلم يجئ ، فخرجت فإذا أنا  
بالشاب يصلي إلى سارية فركمت ثم تحولت إليه ، قال : فلم فدنوت منه قلت : إني  
أحبك في الله تعالى قال : فدنتي إليه وقال : كيف قلت ؟ قلت : إني أحبك في الله .  
قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المتعابون في الله على منابر من نور  
في ظل العرش يوم لا ظلَّ إلا ظله » <sup>(٤)</sup> .

(١) في سنن أبي داود وكتاب السنة : « أفضل الأعمال الحب في الله » .

(٢) صحيح البخاري كتاب الزكاة وكتاب المداود وصحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٩١ .

(٣) صحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٣٨ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٧ / ٥ .

قال : فخرجت حتى لقيت عبادة بن الصامت فذكرت حديثَ معاذ بن جبل فقال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربه عز وجل يقول : « حَقَّتْ محبتي للمتحابين في » ، وحقت محبتي للمتبازلين في » ، وحقت محبتي للمتزاودين في » ، والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله <sup>(١)</sup> .

وفي حديث عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل يقول : حقت محبتي للذين يتعابون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتصافون من أجلي » .

وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل عباداً على منابر من نور في ظل العرش يَبْطِطُهم الشهداء . قيل : من هم ؟ قال : المتعابون في جلال الله عز وجل » .

\* \* \*

واعلم أن هذا الثواب في هذه المحبة إنما يكون إذا كانت لله تعالى خالصة لا بشوبها شيء من الكدَر ، ومضى قويت محبة الله سبحانه وتعالى في القلب قَوِيَّت محبة أوليائه والصالحين من عباده ، فليُنظر الإنسان من بؤاخي ومن يحب ، ولا ينبغي أن يتغير إلا من قد سلم عقله ودينه . وقد قال عليه السلام : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من مُخَالِل <sup>(٢)</sup> » .

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« المرء مع من أحب » <sup>(٣)</sup> .

(١) أخرج نحوه مالك في الموطأ . (٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ١٦٥ .

فإذا أحبَّ شخصاً فليُعمَله. وروى المقدم بن مَعْدِي كَرَب عن النبی صلی الله علیه وسلم أنه قال : إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فليُعمَله إياه<sup>(١)</sup>.

وقال عِمران بن حَظَّان : لقد أحببتُ في الله عز وجل ألفَ أخٍ كلهم أعرف اسمَهُ واسمَ أبيه وقبيلته ومكان داره .

وقال أبو زُرْعَة بن عمرو بن جرير : ما تحاب رجلان في الله عز وجل إلا كان أحدهما أشدَّهما حباً لصاحبه .

وكان يقول : اصحب من إذا صعبتَه زانَكَ ، وإن خدمته صانَكَ ، وإذا أصابتَكَ خصاصةً مانَكَ ، وإن رأى منك حسنةً سرَّ بها ، وإن رأى منك سَفْطَةً سترها ، ومن إذا قلتَ صدقَ قولكَ ، ومن هو فوقكَ في الدِّينِ ودونكَ في الدنيا ، وكلُّ أخٍ وجليسٍ وصاحبٍ لا تستفيد منه في دينكَ خيراً فأنبذَ عنكَ مُحِبَّتَهُ .

\*\*\*

فإذا صفتَ المحبةَ وخلصتَ وقعَ الشوقُ والتزاورُ وصارَ بذلُ المالِ أحقرَ الأشياءِ .  
فأما التزاورُ فقد ذكرنا فضيلته .

وقد كان عمر بن الخطاب يذكُر الأَخَّ من إخوانه في بعض الليل فيقول : يا طُومًا من ليلة ! فإذا صُلِّي المكتوبة غداً إليه فاعتنقه .

وقال مجاهد : إذا مشى أحدُ للتعايُنِ إلى الآخر فأخذَ بيده فضحك إليه تحانَّتْ خطاياهما كما يتحانَّتْ ورق الشجر .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد ، قال أنبأنا أبو بكر الخطيب ، أخبرني عبد العزيز لأزجي ، حدثنا عبد الله بن محمد بن سليم العلاف [ عن معروف الكرخي ]<sup>(٢)</sup> قال :  
امشِ ميلاً صلاً جماعةً ، امشِ ميلينَ حلَّ جماعةً ، امشِ ثلاثةَ أميالٍ عُدَّ مريضاً ،

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد . . . (٢) من فرة الميود للبصرة . .

امش أربعة أميال شُيع جنازةً ، امش خمسة أميال شُيع حاجاً أو معتمراً ، امش ستة أميال شُيع غازياً في سبيل الله ، امش سبعة أميال بصدقة من رجل إلى رجل ، امش ثمانية أميال أصْلَحَ بَيْنَ الناس ، امش تسعة أميال صِلَ رَحِمًا وقِرابَةً ، امش عشرة أميال في حاجة عِيَالِكَ ، امش أحد عشر ميلاً في معاونة أخيك ، امش بَرِيدًا والسَّـبْرِيْدُ اثنا عشر ميلاً - رُزِّحَا في الله عز وجل !

وأما بَذْلُ المال فله ثلاث مراتب : أهونها : السَّاهِمَةُ في المال ، وأوسطها المِوَاسَاةُ ، وأعلىها تَقْدِيمُ الأَخِ في المال على النفس .

وقد رويْنَا أَنَا : « حَقَّتْ محبتي للمتباذِلِينَ في » .

قال ابن عمر : لقد رأبْنَا وما أَحَدُنَا بِأَحَقَّ بِديناره ودرهمه من أخيه المسلم .

وقال الحسن : كنا نمدُّ البَيْضِيلَ الذي يُقْرَضُ أخاه .

وقال : ليس من الروءة أن يريح الرجلُ على صديقه .

وقال أبو جعفر الباقر لأصحابه : هل يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ بَدَهَ في كُفْمِ صاحبه فيأخذ منه ما يريد ؟ قالوا : لا . قال : فليَسَمَّ بِإِخوان .

وقد كان بعضهم يتلَطَّفُ في إيصال البرِّ إلى إِخوانه فيأتى بالصرَّةَ فيها الأربعمئة والخمسمائة فيودِعُها أَحَدَهُمْ ثم يلقاه بعد فيقول : انتفعوا بها فهي لكم .

وعلى هذا لا ينبغي للأخ أن يُخْجِفَ بِأَخِيهِ فيما يأخذ منه وإن عَلِمَ أَنَّهُ لا كُفَّةَ عليه في ذلك ، فإن النبی صلی الله علیه وسلم قال له أبو بكرٍ زمن الهجرة : قد عُلِّقَتْ ناقَتین فنخذ إحداهما فقال : باليمن .

• • •

هيئات رَحَلِ الإِخوان وَأَقَامِ الضُّوَّانَ ، وقلْ أن ترى في الزمان إلا من إذا دُحِيَ مانٌ<sup>(١)</sup> .

(١) مان : كذَّب ، فهو مانن .



(الكلام على البسلة)

أجدُ الدبارَ كما عهدتُ وإعما      شكواي أني أضدُ الجيرانا  
ياؤخذني ما أكثر الإحوان لي      نظرا وأكثر فيهم الضوانا  
في كل مطرح نظرة حولي أخ      صنو إذا هز الفنى الأفتانا  
راعٍ مني أبدا فإن هي أعجفت      إلى قلب أو يمدن سنانا  
أشربه من خفف الميشة غالبا      ويبيني في صنكها معاننا  
أقاهم عدد الكواكب كثرة      حولي وألقي وحدي الحدنانا

إخواني : إن البخل والجهل للقلب قد خالط ، فما يُعرف من يُخالط .

كان السلف يتماشرون بزخ الفل على مناصحة النفوس ، فصارت عشرة العشرة على موافقة الهوى بدخن الضمير ، كانوا يميلون على الدنيا بالتم فصار الليل إليها بالقلب ، تاملثوا على حبها ومالوا ، فإذا فرغت من صديقهم أعرضوا ومالوا ، فافتتح بصرة البصيرة فعلى هذا تراهم ، ثم التفت عنهم وإياك وإياهم :

اسمى مني أبك شاني      إنما يئدي ضميري لاني  
كم أخ لي كان مني فلنا      أن رأى الدهر جفاني قد جفاني  
لم يرعني غير خيل غادي      موثر تحري لقوس الزمان  
مستعد لي بهم عندما      أن رأى الدهر رماني قد رماني

\*\*\*

كان الأخ في الله يتخلف أخاه في أهله إذا مات أربعين سنة ! وكان الرجل إذا أراد شئ أخيه طلب حاجته من غيره .

خرج إبراهيم بن آدم رحمه الله في سفر ومعه ثلاثة نفر ، فدخلوا مسجدا في بعض المقاوز والبرد شديد وليس للمسجد باب ، فلما ناموا قام إبراهيم فوقف على الباب إلى

الصباح ، فقيل له : لم تنم ؟ فقال : خشيت أن يصيبكم البرد فقممت مقام الباب !  
وجاء رجل من السلف إلى بيت صديق له فخرج إليه فقال : ما جاء بك ؟ قال : على  
أربعمائة درهم فدخل الدار فوزنها ثم خرج فأعطاه ثم عاد إلى الدار باكياً فقالت زوجته :  
هلاً تعلّلت عليه إذا كان إعطاؤه يشق عليك ؟ فقال : إنما أبكي لأنى لم أفقد حاله فاحتاج<sup>(١)</sup>  
أن يقول لى ذلك !

هل تحسان لى رفيقاً رفيقاً      أو نصيبان لى صديقاً صدوقاً  
قد قسا المَدْرُ والخيانة فى الناس      سفا إن أرى رفيقاً شقيقاً

\* \* \*

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك بسنده عن رباح بن الجراح قال : جاء فتّح اللوصلى  
إلى منزل صديق له يقال له عيسى التمار فلم يجدّه فى المنزل ، فقال للخدام : أخرجنى لى  
كيس أخى . فأخرجته ففتحه فأخذ منه درهمين . وجاء عيسى فأخبرته الخدام فقال :  
إن كنت صادقة فأنت حرة . فنظر فإذا هى صادقة . فمقتت !  
أخبرنا أبو بكر بن حبيب قال أبو سليمان الداراني : كان لى أخ فى الله عز وجل  
فقلت له يوماً : أعطنى دراهم . فقال : كم تريد ؟ فسقط من عيني وخرجت أخوته من  
قلبي بقوله : كم تريد .

واعلم أنه إذا علّت مرتبة الأخوة وقع فداء الأخ بالنفس .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بسنده عن محمد بن داود قال : سمعت أبا بكر الترمذى  
وأبا عمرو الأدمى يقولان وكانا يتآخيان فى الله تعالى : خرجنا من بغداد نريد  
الكوفة ، فلما سرنا فى بعض الطريق إذا نحن بسبعين رابضين على الطريق ، فقال  
أبو بكر لأبى عمرو : أنا أكبر منك سنّاً فدعنى أتقدمك فإن كان حادثة اشتغلا بى

عك وجُزّت أنت فقال له أبو عمرو نفسى ما تساعنى بهذا ، ولكن نكون جميعا  
في مكان واحد فإن كانت حادثة كتنا جميعا . لجازا جميعا بين السبعين فلم يتحركا  
ومرّا سالمين .

وركب أخوان في الله تعالى في البحر فكثير بهما المركب فجعلا يسبحان ويتعلق  
أحدهما بالآخر فقال أحدهما للآخر : إن تعلقت بي هلكتنا جميعا فدعى فربما سلم أحده  
فقال : ظننتُ أني أنا أنت فإذا وقع الفراق فنعم . فتنعّى عنه ، قدّرت لها السلامة فلم  
يصعبه ذلك باقى عمره .

\* \* \*

إخوانى : نُسخ في هذا الزمان رَسْمُ الأخوة وحُكْمه : فلم يبق إلا الحديث عن  
الاندهاء ، فإن سمعت بإخوان صِدْقٍ فلا تصدّق .

ما هذه الألفُ التي قدِ زِدْتُمُ فسدَعَوْتُمُ لِنُفُوسٍ بِالْإِخْوَانِ  
مَاصِحٍ لى أَحَدٍ أَصِيرُهُ أَخًا في الله حَقًّا ، لا ولا الشيطانِ  
إِذَا مَوْلٍ عن وِدَادِي مَالَهُ وَجْهٌ وَإِذَا من له وَجْهَانِ

الكلام على قوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم »<sup>(١)</sup>

في المراد بهذا الذكر ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الذكر في الصلاة ، يصل الإنسان قائماً ، فإن لم يستطع قاعداً ، فإن  
لم يستطع فعلى جَنْبٍ . هذا قول على وابن مسعود وابن عباس وقاعدة .  
والثاني : أنه ذكر في الصلاة وغيرها .  
والثالث : أنه الخوف . فالمنى يخافون الله في جميع تصرفاتهم .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي صالح قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، ومن تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعاً ، ومن جاءني بمشي جئتته هرولة » .  
أخرجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup> .

وفي أفراد مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ قَالُوا : وما المفردون ؟ قال لذاكرون الله كثيراً والذاكرات » .  
وفي أفراد من حديث أبي هريرة أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يقعد قومٌ يذكرون الله إلا حَقَّتْهم الملائكةُ وغَشِيَتْهم الرحمةُ ونَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ وذكرهم الله فيمن عنده<sup>(٢)</sup> .

وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وَجْهَ الله إلا ناداهم من السماء : قوموا مغفوراً لكم قد بَدَّلْتُ سيئاتكم حسنات<sup>(٣)</sup> » .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار بسنده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى ملائكة بطوفون في الطرق يلتصون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تَنَادَوْا : هلموا إلى حاجتكم . فيعْقُبُونهم بأجنحتهم إلى السماء قال : فيسألهم ربهم تبارك وتعالى - وهو أعلم بهم : ما يقول عبادي ؟ قالوا : يَذْكُرُونَكَ وَيَسُبِّحُونَكَ وَيُحْمَدُونَكَ . قال : وهل رأوني ؟ فيقولون : لا والله

(١) صحيح البخاري كتاب التوحيد وصحيح مسلم كتاب الذكر حديث رقم ١٩١١٨٠٢ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الذكر حديث رقم ٣٩٠٣٨ .

(٣) سنن أحمد ٢ / ١٤٢ .

يأرب ما رأوك . قال : فيقول : فكيف لو رأوني ؟ قال : فيقولون : لو أنهم رأوك لكانوا أشدَّ لك عبادةً وأشدَّ لك تمجيذاً وأكثر تسيباً قال : فيقول : وما بألوني ؟ قالوا : يسألونك الجنة قال : فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يارب ما رأوها . فيقول : فكيف لو رأوها فيقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً وأشدَّ لها طلباً وأعظم فيها رغبة فيقول : فم يتعوذون ! قال : يقولون : من النار قال : يقول : فهل رأوها ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوها . قال يقول : كيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافة قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة فيقول : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم .  
أخبرناه في الصحيحين<sup>(١)</sup> .

وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه<sup>(٢)</sup> » .  
وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تعالى : أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام<sup>(٣)</sup> » .  
وفي حديثه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا مررت برياض الجنة فارتعوا » .  
قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : « مجالس الذكر<sup>(٤)</sup> » .  
وكان داود عليه الصلاة والسلام يقول : إلهي إذا مررت على ملاء يدك وركبك فجاوزتهم فأكسر الرجل التي تليهم .

• • •

(١) صحيح البخاري الدعوات . (٢) صحيح البخاري كتاب التوحيد ، ومسنده أحمد ٢/٤٠٠ .

(٣) صحيح الترمذي كتاب جهنم باب رقم ٩ (٤) صحيح الترمذي كتاب الدعوات باب رقم ٨٢ .

( القصة ٢٠ / ٢ )

واعلم أن الذاكرين يختلف أحوالهم .

فمنهم من يؤثر قراءة القرآن ويقدّمه على كل ذكر . وقد كان فيهم من يختم كل يوم ومنهم من يختم ختمتين .

ومنهم من أكثر ذكره التهليل والتسبيح والتحميد .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك . ومن قال في يومه مائة مرة : سبحان الله وبحمده سطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر <sup>(١)</sup> .

وقال سعيد بن عبد العزيز قلت لعمر بن هاني : أرى لسانك لا يفتّر من ذكر الله عز وجل فكيف تسبح كل يوم ؟ قال : مائة ألف إلا أن تخطف الأصابع .

وقال محمد بن ثابت البنانى : ذهبت ألقيت أبى وهو فى الموت فقلت : يا أبت قل :

لا إله إلا الله . فقال : يا بنى خلّ عني فإني في وردي السادس أو السابع !

ذِكْرُكَ لِي مُؤْنَسٌ بِمَا رَضَيْتُ      يَبِيدُنِي عَنْكَ مِنْكَ بِالظَّنِّ  
وَكَيْفَ أَنَاكَ يَا مَدَى هِمِّي      وَأَنْتَ مَتَى بِمَوْضِعِ النَّظَرِ

\*\*\*

ومن الذاكرين من غلب على قلبه حبُّ اللذكور فلا يزال في الذكر والتعبّد .

أخبرنا ابن حبيب بسنده قال : سمعت فاطمة أخت أبى حنبل الروذبارى تقول :

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق ، وكتاب الدعوات

وصحيح مسلم كتاب الذكر حديث رقم ٢٧ .

سمعت أخى يقول : سمعت الجُنَيْد يقول : ما رأيت أُعْبَدَ الله من سِرِّ السَّقَطَى ، أنت عليه ثمان وسبعون سنة ما رُئِيَ مُضْطَجِعاً إلا فى علة للوت .  
ومن اذا كرين من صار الذكر له إلقاً لا عن كلفة ، فإله هم غيره ، فهو يذكر أبداً على جهة الحضور .

وقال مجْمَش الجَلَّاب : صحبت أبا حفص النيسابورى اثنتين وعشرين سنة فأرأيت ذكر الله تعالى على حد الكلفة والانبساط ، ما كان يذكر الله إلا على سبيل الحضور والحُرْمَة والتمظيم ، وكان إذا ذكر الله تعالى تغيّر عليه حاله حتى كان يرى ذلك جميعاً من حضره .

وقال بعض السلف : صحبت فى طريقى رجلاً أسود فكان إذا ذكر الله تعالى أبيضاً !

وشغلت عنى فَنَهم الحديثِ سِوَى ما كان منك وعندكم شغلي  
وأديم نحو محدثى نظرى أن قد فهتُ وعندكم عقل

• • •

أين أهل الأذكار ، أين قُورَامُ الأَسْجَارِ ، أين صُورَامُ النهار ، خلت والله منهم الديار ، واستلأت بهم التِفَارُ فصيلٌ إليهم وصلٌ عليهم فهم الأحرار .

سلامٌ على أهل الحيى عدد الرملِ وَقَلٌّ له التلسمُ من تائقو منلى  
وقفت وقوف القيث بين طلوله بِمُنْكَسَبِ سَحَرٍ ومنهل وبلى  
وما رمت حتى خالى الرِّيمُ رِمَةً وأذرف أطيار الحيى مع من أجلى  
خليلٌ قد عذبتهانى<sup>(١)</sup> ملامةً كأن لم يلف فى دمنة أحد قبل

(١) لم أجده ترجمه فى مفت السفة ولا فى طبقات الصوفية .

(٢) ١ : قد عذبتهانى .

فلا برحت عيني تنوباً عن الحياءِ      بدّمتُ على تلك المناهلِ مُهكلاً  
لِيَالِي لَا رَوْضُ الْكَثِيبِ بِلَا نَدَى      ولا شجراتُ الْأَبْرَقَيْنِ بِلَا طَلٍّ

السجع على قوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .  
سبعان من قضى على المنافلين كسلاً وقعوداً ، ورفّع المتقين علواً وصموداً ومنحهم  
من إناهم فوزاً وسُموداً بطوبهم « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .  
أنهم عليهم فأعطاهم ، واستخلصهم واصطفاهم وقليل ما هم ، اشتغل الناسُ  
بدينامهم واشتغلوا بذكر محبوبهم « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .  
قنموا بأذنٍ للطعم واللباس ، وألقوا نفوسهم في المساجد كالأحلاس<sup>(١)</sup> ، يمشون  
بالسكينة بين الناس وما دروا بهم في دروبهم « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى  
جنوبهم » .

اكتفوا من الليل يسير النوم ، واشتغلوا بالصلاة والصوم ، وكانت والله همم  
القوم في صلاح قلوبهم « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .  
تناولوا لُحْمَ التَّزْمِيلِ<sup>(٢)</sup> وقالوا : هذه للجوع تزيل ، فهم يَنْمُنُونَ بالقليل في مطعمهم  
ومَشَرَوْهُمْ « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .  
قاموا قيام المستعد ، ووردوا بِحَمْرِ الْجُودِ الْمَدِّ<sup>(٣)</sup> ، وتسلحوا سلاحَ العزم والجدِّ  
في جميع حروبهم « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .  
لَبِسُوا ثِيَابَ السَّفَرِ ، ورحلوا على أَسْوَارِ<sup>(٤)</sup> السَّهَرِ ، فلو سمعت وقت السحر نرغم  
طُرُوبَهُمْ « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .

(١) الأحلاس : جمع حلس وهو الكساء الذي يسطق البيت .

(٢) ١ : لُحْمُ التَّزْمِيلِ . والمراد تلاوة القرآن .

(٣) المد يسخر العين : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع .

(٤) الأسوار : جمع كور ، وهو الرجل الذي يوضع فوق ظهر البعير .



تناولوا كؤوس اللمع يتجرعون ، فلورأيتهم في طريق الخضوع يتضرعون  
والقوم يلقون ويضرعون في ستر عيوبهم « يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم .  
يستغيثون إلى الحق وبشكون ، واليتامى في الذل يحسبون ، وجملة الأمر أنهم  
يبكون على قُبْح مكتوبهم » يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم .  
يمتدرون من زَلَل القدم ، ويتمنون بعد الوجود المدم ، وقد بَهِتوا رسالة الندم  
مع مندوبهم « يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .  
قلوبهم الأشجان ، وغيرتهم الأحران ، يزعجون لما قد كان من سالف ذنوبهم  
« يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .  
أما الليلُ فسأرى ، وأما النهار فأسأرى ، وكأنهم بالحبة سُكَّارَى في شروقهم  
وغروبهم « يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .  
لو أصفيت في الذُّحَى واستمتعت ، وأحضرت قلبك عندهم وجِئت ، وهيات  
ليتك اطلمت على بعض كُروبهم « يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .  
كانت رقدة ثم بقيت النباحة<sup>(١)</sup> ، فانتقلوا من حَضرة الحَفْظ إلى الإباحة ،  
واسقبدلوا بالرياضة الراحة ، فلم يبقَ أثرُ لُجْدُوبهم « يذكرون الله قياما وقعودا  
وعلى جنوبهم » .

---

(١) كذا بالأصول ، وله يريد كانت للصبة منهم عن خلف ثم في الندم عليها .

## (المجلس الثامن)

### (في ذكر العزلة)

الحمد لله الواحد القديم الجبار ، القادر العظيم القهار ، والمتعالى عن دَرَكَ الخواطر والأفكار ، المنفرد بالعرز والقهر والافتقار ، انذى وسمَّ كلَّ مخلوق بسمه الافتقار ، فأظهر آثار قدرته بتصرف الليل والنهار ، سميع يسمع لا كالأسماع ، بصير يبصر لا كالأبصار ، قادر مريد حكيم عليم بالأسرار ، يبصر ديبب الجملة السوداء فى الليلة الظلماء على القار ، ويسمع أنيق المذنب<sup>(١)</sup> يشكو ما به من أضرار ، كلمَّ موسى كيفاً لما قضى الأجل وسار ، وزآه نبيها صلى الله عليه وسلم دلَّ على ذلك القرآن والأخبار ، ويراها المؤمنون إذا نزلوا دار القرار ، صفاته كذاته والمشبَّهة كُفَّار ، قرَّ ونمَّ<sup>(٢)</sup> وأربابُ البحث فى خسار ، هذا سيف السنة فتناوله باليمين لا باليسار ، واضرب به كَفَّ « كَوَّف » ورأس « لِمَ » وعُنق « مِم » وخُذْ للتحذير من التثبيبة بالنار « أَمِنْ أَسَسْ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ<sup>(٣)</sup> » .

أتحمده فى الإعلاى والإسرار ، وأشهد بوحدايته بأصح إقرار ، وأصلى على رسوله محمد سيد الأنبياء الأطهار ، وعلى أبى بكر رفيقه فى الدار والفار ، وعلى عمر قاصم الكفار ، وعلى عثمان شهيد الدار ، وعلى عليٍّ قسيم النار<sup>(٤)</sup> ، وعلى عمه العباس آخِذ البيعة نيلة العقبة على الأنصار .



(١) المذنب : المريب .

(٢) كذَّأ رأينا ضبطه والمراد : بحث وسعد النظر فلن تهتمى إلا إلى عقيدة أهل السنة .

(٣) سورة التوبة ١٠٩ .

(٤) كذَّأ بالأصول ، ولعله يريد وصفه بالنور ، لأن النور قسيم النار ، أى للقابل لها . وفى قرعة الميوز البصرة : وعلى طى القائم بالأحجار .

أخبرنا عبد الأول بسنده عن عطاء بن يزيد عن أبي سعيد الخدري قيل: يا رسول الله أى الناس خير؟ قال: رجلٌ يجاهد نفسه وماله، ورجلٌ فى شَيْب من الشباب يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ .  
أخرجاه فى الصحيحين<sup>(١)</sup> .

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد البزار ، قال : أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب بسنده عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ خَيْرِ مَعَايِشِ النَّاسِ لِمَنْ رَجُلٌ تَمَسَّكَ بِمَنْفَعَتَيْنِ فَرَسَهُ بِطَبِيرِ عَلَى مَنْفَعَتِهِ كُلِّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ قَرْعَةً طَارَ عَلَى مَنْفَعَتَيْنِ فَرَسَهُ يَلْتَمِسُ الْوَيْلَ وَالْقَتْلَ مَكَانَهُ ، وَرَجُلٌ فِي رَأْسِ شُعْفَةٍ مِنَ الشُّعَافِ أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ يَقِيَمُ الصَّلَاةَ وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَقَّ يَأْتِيهِ الْيَقِينُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي سَبِيلِ خَيْرٍ .

قال أبو عبيدة : الْهَيْعَةُ : الصَّوْتُ . قال الطَّرْمَاحُ :

أَنَا ابْنُ حُمَاةٍ الْحُجْدُ مِنْ آلِ مَالِكٍ إِذَا جَعَلَتْ خُورُ الرِّجَالِ تَهْبِيعٌ<sup>(٢)</sup>

وَالْخُورُ جَمْعُ خُورٍ وَهُوَ الضَّعِيفُ . وَالشُّعْفَةُ وَاحِدَةُ الشُّعَافِ وَهِيَ رِءُوسُ الْجِبَالِ ، وَهِيَ الشَّارِخُ وَالشَّنَاقِيبُ وَاحِدُهَا شُنْخُوبَةٌ .

وروى عن عقبه بن عامر قال : قلت لرسول الله : ما النجاة؟ قال : «املك عليك لسانك وليسمعك يبتك وابك على خطيئتك»<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد ، وكتاب الرقاق . وصحيح مسلم كتاب الإمارة حديث رقم

١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ .

(٢) البيت من خواصم اللسان مادة « خور » ( اللسان ٤ / ٤٦٣ : ط بيروت ) وتهجى : تهجى .

(٣) صحيح الترمذى كتاب الزهد باب رقم ٦١ وصند أحمد ٤ / ١٤٨ ، ١٥٨٠ ، ١٥٩٠ .

قال الشيخ : وهذه الأحاديث تدل على فضل المُرْزلة .

وقد كان السلف يؤثرونها ويمدحونها فقال عمر بن الخطاب : خذوا بحفظكم من المُرْزلة .

وقال سعد بن أبي وقاص : والله لوددت أن يبنى وبين الناس باباً من حديد لا يكلمنى أحدٌ ولا أكله حتى ألحق بالله تعالى .

وقال ابن مسعود لأصحابه : كونوا بنائبع العلم مصاييح الليل أخلص البيوت ، جُدِّدْ القلوب خُلقان الثياب ، تُعرفون في أهل السماء وتُخفون على أهل الأرض .  
وقال أبو الدرداء : نِمَّ صَوْمَةُ الرجل بيته يكفُ فيها بصره ولسانه ، وإياكم والسُّوق فإنها تُتْلَى وتُغْنَى<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لَرَحَلْتُ إِلَّا بِلَادَ لَا أُنِيسُ بِهَا ، وهل يُفْسِدُ النَّاسَ إِلَّا النَّاسُ !

كان أبو جهنم الأنصاري يذرباً وكان لا يجالس الناسَ وكان يعزل في بيته ، فقالوا له : لو جالست الناسَ وجالسوك ؟ قال : وجدت مُقَارَبَةَ النَّاسِ شَرًّا  
وقال أبو حذيفة : والله لوددت أن لى إنساناً يكون في مالى ثم أُغْلِقَ عليّ باباً فلا يدخل عليّ أحدٌ حتى ألحق بالله عز وجل

وقال الحسن : صوامع المؤمنين بيوتهم .

وقال سعيد بن المسيب وابن سيرين : المُرْزلة عادة

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقربوا منه فإنه يُغْلَى الحُكْمَةُ .

---

(١) أى تحمِل الرجل ينطق بالقنو .

وكان عثمان بن أبي دهرش<sup>(١)</sup> إذا رأى الفجر أقبل عليه بته و قال : الآن أصبح مع الناس فلا أدري ما أجنى على نفسي !

وقال داود الطائي : فرّ من الناس كما فر من الأسد .

وأوصى سفيان الثوري بعض أصحابه فقال : إن استعطمت أن لا تخالط في زمانك هذا أحداً فافعل ، وليكن همك مرّة جهّازك .

وكان يقول : هذا زمان السكوت ولزوم البيوت .

وجاء رجل إلى النعمان بن حنبل إليه فقال : ما أجلسك إلى ؟ فقال : رأيك وحدك . فقال : إما أن تقوم عني وإما أن أقوم عنك . فقال : أنا أقوم أو صني . فقال : أخف مكانك واحفظ لسانك .

وجاء رجل إلى شعيب بن حرب فقال : ما جاء بك ؟ فقال : جئت أونسك . فقال : أنا أعالج الوحدة منذ أربعين سنة !

وقال مالك بن أنس : كان الناس الذين مضوا يحبون العزلة والانفراد من الناس .

وقال بشر الحافي : من عامل الله بالصدق استوحش من الناس .

وقد كان أحمد بن حنبل يحب العزلة وإبراهيم بن أدهم وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط وحذيفة الرعشي في خلق كثير .

• • •

واعلم أن العزلة لا ينبغي أن تقطع عن العلم والجماعات ومجالس الذكر والاحتراف للمائلة ، وإنما ينبغي أن يعتزل الإنسان ما يؤذي<sup>(٢)</sup> ، وقد يخاف من المخالطة للباحة أذى فيجهد الإنسان في ترك ما يخاف عواقبه .

---

(١) عثمان بن أبي دهرش : للسك ، يروي عن رجل من آل المسك من النبي صلى الله عليه وسلم ، روى عنه ابن عينة ذكره ابن الجوزي في سفة الصفوة ٢ / ١٢٣ .

(٢) ١ : من يؤذي .

وَيَبْعَدُ حَضُورُ الْقَلْبِ مَعَ الْحَاظَةِ لِلنَّاسِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِمَعْنَى .  
وقد قال شعيب بن حرب : الناس ثلاثة : رجلٌ تملُّهُ فيقبل منك ، ورجلٌ تعلم منه ، واهرب من الثالث .

وقد كان الثَّوْرِيُّ يقول : أَقِلَّ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ .  
وقال إبراهيم بن أدهم : لا تَعْرِفْ إِلَى مَنْ لَا تَعْرِفُ وَأَنْتَ كَرَّ مَنْ تَعْرِفُ !  
إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ نَظَرًا كَفَانِي  
فَمَرَفَتُهُ وَعَرَفَتُهُمُ وَعَرَفَتُهُمُ  
فَعَلَّتْ نَفْسِي بِالْقَنَاءِ هَمُّهُمْ وَهَمُّ الزَّمَانِ  
وَتَرَكْتُهَا بِعَفَافِهَا وَالزَّهْدِ فِي أَعْلَى مَكَانِ  
فَإِذَاكَ أَجْتَنِبُ الصَّدِيقَ فَلَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي  
فَتَمَجَّبُوا لِمُعَالَاتِ<sup>(١)</sup> وَهَبِ الْأَقَامَى وَالْأَدَانِي  
وَاسْلُ مِنْ بَيْنِ الزُّحَا مَ فَإِنَّهُ فِي الْخَلْقِ ثَانِي

\* \* \*

وفصل الخطاب في هذا : أن الناس على ضربين : عالم وعابد . فالعالم لا ينبغي له أن يتقطع عن نفع الناس فإنه خلف الأنبياء ، ولعلم أن عذابة الخلق أفضل من كل عبادة . وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لملي عليه السلام : « والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَّعَمِ »<sup>(٢)</sup> . فتى ما جاء الشيطان فحسن للعالم الانقطاع عن الخلق في الجملة فذاك خديعة منه ، واتق حسن لكثير<sup>(٣)</sup> من السلف

(١) للمعالي : اتقى قطع عهده مع الناس - والفت بكون اللام : الإهانة في الشراء .

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد وكتاب فضائل الصحابة وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة

حديث رقم ٣٥ .

(٣) ١ : الخلق من اللف .

دَفَنَ كَتَبَهُمْ وَمَحُو عِلْمَهُمْ وَهَذَا مِنَ الْخَطَا الْعَجِيبِ ، بَلْ يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَعْتَزَلَ عَنْ شَرٍّ مِنْ يُوْذَى وَيَبْزُرَ لِمَنْ يَسْتَفِيدُ ، فَظَهَرَهُ أَفْضَلُ مِنْ إِخْفَانِهِ .

فَأَمَّا إِنْ كَانَ عَابِدًا ظَالِمًا بَدُ لا يَنَافَسُ فِي هَذَا ، فَإِنْ مِنَ الْقَوْمِ مَنْ شَفَلَتْهُ الْعِبَادَةُ ، كَمَا رَوَى أَنَّ الْحَسَنَ رَأَى رَجُلًا مَتَمِّدًا فَأَتَاهُ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا يَمْنَعُكَ مِنْ مَجَالَسَةِ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَا أَشْفَلَنِي مِنَ النَّاسِ . قَالَ : فَمَا مَنَعُكَ أَنْ تَأْتِيَ الْحَسَنَ ؟ فَقَالَ : مَا أَشْفَلَنِي مِنَ الْحَسَنِ . قَالَ : فَمَا الَّذِي شَفَلَكَ مِنَ الْحَسَنِ ؟ قَالَ : إِنِّي أُمْسَى وَأَصْبَحُ بَيْنَ ذَنْبٍ وَنِعْمَةٍ ، فَرَأَيْتُ أَنَّ أَشْفَلَ نَفْسٍ بِالْإِسْتِغْنَارِ لِلذَّنْبِ وَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى النِّعْمَةِ . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ عِنْدِي أَفْقَهُ مِنَ الْحَسَنِ !

وَقَالَ رَجُلٌ لِعَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ : قِفْ فَكَلِّمْنِي . فَقَالَ : أُمْسِكِ الشَّمْسَ ! وَمِنَ الْقَوْمِ مَنْ اسْتَفَرَّقَتْهُ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْأَنْسِ بِهِ فَاسْتَوْحَشَ مِنْ انْخِلَاقِ . قِيلَ لِعِزْوَانَ الزَّاهِدِ : لَوْ جَالَسْتَ إِخْوَانَكَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أُصِيبُ رَاحَةَ قَلْبِي فِي مَجَالَسَةِ مَنْ عِنْدَهُ حَاجَتِي . تَعْمِي رَاحَتِي وَأَتَمْسِي انْفِرَادِي وَشِفَائِي الضَّنَّ وَنَوْمِي سُهَادِي لَسْتُ أَشْكُو بَعَادَ مَنْ صَدَّ عَنِّي أَيْ بَعْدَ وَقَدْ نَوَى فِي فُرْوَادِي هُوَ يَخْتَالُ بَيْنَ قَلْبِي وَعَيْنِي هُوَ ذَاكَ الَّذِي يُرَى فِي السَّوَادِ فَهَوْلَاءُ عَزَلْتَهُمْ أَصْلَحَ لَهُمْ ، بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُشْفَلَهُمُ الْعِزَّةُ عَنِ الْجَمَاعَاتِ وَمَجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، فَإِنْ فَعَلُوا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ . وَإِنَّمَا نَأْمُرُ الْعَوَامَّ بِاعْتَزَالِ النَّاسِ ، فَحَسْبُ فَإِنَّهُ الْجِهَادُ فِي حَقِّهِمْ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ السَّمْعَ يَوْمِلُ إِلَى الْقَلْبِ خَيْرَ السَّمْعَاتِ وَالْبَصَرَ خَيْرَ النُّظُورَاتِ ، وَرَبَّ نَظَرَةٍ نَقَشَتْ فِي الْقَلْبِ صُورَةَ فَيَمْدُ تَحْوِيهَا ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَمِشَ فِي الْأَسْوَاقِ فَيَتَفَقَّرُ قَلْبُهُ ، وَالْعِزَّةُ تَوْجِبُ السَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ . وَقَدْ كَانَ فِي الصَّالِحِينَ مَنْ إِذَا خَرَجَ لِمَوْقِفٍ فَكَسَبَ مَا يَكْفِيهِ قَامَ إِلَى السَّجْدِ .

فَالْبَدَارَ الْبَدَارَ إِلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ بِالْعِزَّةِ عَنْ كُلِّ مَا يُوْذَى .

### (الكلام على البسلة)

ما عُدُّرُ من جرٍّ عاصياً رسنهُ ما عُدُّرهُ بعدَ أربعين سنهُ  
أكلما طالت الحياةُ به أطلال عن أخذ حِذرهُ وسنهُ<sup>(١)</sup>  
قل لي إذا متُ كيف تنقص من سيئته أو تزيد في حسنهُ  
يا مريضاً ما يعرف أوجاعه ، يا مضجّع العمر بالساعة والساعة ، يا كثير الغفلة وقد  
دنت الساعة ، يا ناسياً ذِكْرَ النارِ لِمَها نزاعة ، كأنه وملك الموت قد أزجه وأراعه ،  
وصاح بالنفس صيحة فقالت: سمعاً وطاعة ، ونهضت تعرض كاسد التوبة ، وهيات غلق  
الباعة يا سعيّ النظر لنفسه في وجه شمس فهلك غيماً ، بين دائلك ودوائك حجاب ،  
لو أهممتك نفسك سميت لها في الخلاص ، لو رضيت بالهفلة ما استقرهن قلبك كسبُ  
العطالم ، لو قنمت كلاب الصيد بالنبوذ ما كانت السواجير<sup>(٢)</sup> في حلقها .

\* \* \*

طلبتك يا دنيا فأعددت في الطلب فما نلتُ إلا الهمَّ والغمَّ والنصب  
فما بدا لي أني لست واصلًا إلى لذةٍ إلا بأضعافها تعب  
وأسرعت في ذنبي ولم أقضِ شهوتي هربت بدني<sup>(٣)</sup> منك إن نفع الحرب  
تسرّبت أخلاق قنوعاً وعفة فمندی بأخلاق كنوز من الذهب  
ولم أرحظاً كالقنوع لأهله وأن يحول الإنسان ما عاش في الطلب  
يا من قد مال بالآمال إلى جمع المال ، كأنك به إلى غيرك قد ما! وإعجباً بالحرص  
تجمونه ، وبالأمل تحفظونه ، وبالفلة تأكلونه ، وفي الهوى نصر فونه ، المال نعمة فمن  
أنفق بعضه في الخير أقام للباقي حارساً ، إذا سمعت النعمة نعمة الشكر ألبت ولبت

(١) الوسن هنا : النوم .

(٢) السواجير : جم ساجور وهو خشبة تعلق في عنق الكلب .

(٣) هربت بدني .



بالمزيد وإذا لم تُشكر وقد وفرت نَفَرْتُ وما كلُّ شاردٍ بمرود ، وإعجاب من فرح بلدة  
يعلم سرعة زاولها ، وأحجب من ذلك الحساب عليها .  
أشدُّ الغمِّ عندى فى سرور تيقن عته صاحبه زوالاً

\*\*\*

أين من لبس الحرير والقر ، وحرَّك الجواد تحته وهَرَّ ، وتعاظم على أبناء جنسه  
وعَزَّ ، وقهر وغلب وسلب وبرَّ ، ذبحه سيفُ اللون وما قطع ولا حَزَّ ، فقلِّب  
الحبيبُ بمدِّ فراقه وجَزَّ<sup>(١)</sup> ، وأسكاه الدودُ وقد كان يستزى الأوز ، ينأ هو قد ركض  
فى أغراضه وكرَّ خرَّ فقيل : كيف بات ؟ قيل : مرَّ . فألبسه الضاحل ثوباً لا كَفَّه  
ولا زَرَّ<sup>(٢)</sup> ، فرحل من داره التى بها اغتر ، واستعمل الفقارُ لتهديد لحدِّه المرَّ<sup>(٣)</sup> ، واستلبه  
جذباً عنيفاً وجَزَّ ، ورجع أهله لا يقدرُون له على نفع ولا ضرر ، وندم حين سكن البرَّ  
إذا ما اتقى ولا برَّ ، وطُوب بما أعلن من حمل وأسرَّ ، ووجد الله وقد أحصى عليه القدر ،  
وبقى مكانه أسيراً لا يرى إلا الشر .

هذى منازلهم وقد رحلوا وعلى الكراهة غيرها نزلوا  
رحلوا وأبقوا لنفيمُ إنَّ المنازل والعقَى دُولُ<sup>(٤)</sup>  
شادوا مَبَانِيهَا وما سكنوا إلا زولَ الضيف وانتقلوا  
وتفرقت عنهم أقاربهم وجنودهم وخلوا بما حملوا  
بأويل الدنيا وقد عصفتْ بالناسِ قبلك خانك الأملُ  
أزوم جهلاً أن تقيم بها ووراك الأيام والأجلُ

(١) تلبت المرأة : أحبت على زوجها . وجزت : علفت رأسها .

(٢) كف الثوب : خاط حاشيته ، ومن الخياطة الثانية . وزره : جعل له لزوراً .

(٣) المر بنح الميم : المساء . (٤) ١ : إنَّ للمنازل فى الكفى لها دول .

يا هذا إذا أَسْلَمَكَ الأَرَاب ، نَسَلَكَ التراب ، كيف يفرح بحياته من يعلم أنها معطية  
نماته ، يامن هَجَمَ الشيطانُ عليه وهو في بادية الخالفة<sup>(١)</sup> ، فسبأه فباعه فاشتراه الهوى  
بمن بَخَسَ ، تافه لو كنت في حِصْنِ التقي ما قَدَّر عليك ، إلى كم يستخدمك الهوى  
وأنت حرٌّ طال تشبُّهك في التذبط بزُحَل فأنهض بحركة عطار في الحرب مما يؤذى .

تعرَّضَ لِحِيَادِ المَجاهِدِينَ لَمَلِ بَعْضِهِمْ بِسَتْصَحْبِكَ .

أَمَّا بَلَّغَكَ لُطْفَ : هَلْ مِنْ سَأَلٍ ؟ أَمَّا سَمِعْتَ عَفْوَ : هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ .

\* وَتَذُنُّونَ فَنَأْتِيَكُمْ فَنَمْتَدِّرُ<sup>(٢)</sup> \*

لَا تَيَاسُ فَبَابِ الرِّجَاءِ مُفْتَوِّحٌ ، لَا تُلْقِ بِيَدِكَ فَعَلَمَ الْقَبُولِ يَلْمُوحُ :

عسى وعسى من بعد طُولِ التفرُّقِ على كلِّ ما أرجو من العيش<sup>(٣)</sup> نلتقي  
ولو ظَنَرْتُ عَيْنِي بِرُؤُوبِكَ سَاعَةً لَكُنْتُ عَلَى عَيْنِي مِنَ الْعَيْنِ<sup>(٤)</sup> أَتَقَى

إِخْوَانِي : لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَالَ : أَنَا تَائِبٌ كَانَ تَائِبًا ، إِنَّمَا التَّائِبُ مَنْ صَبَرَ عَلَى  
قَعْدِ الْأَغْرَاضِ صَبْرَ السَّحَرَةِ<sup>(٥)</sup> عَلَى الصَّلْبِ ، وَاعْتَذَرَ مِنْ جُنَايَاتِهِ اعْتِذَارَ النَّابِغَةِ إِلَى  
النِّهَانِ<sup>(٦)</sup> ، وَخَضَعَ خَضُوعَ الْجُرْبِ لِلطَّلَالِي<sup>(٧)</sup> ، وَنَفَرَ نَفَرَ الصَّبِيِّ إِلَى الْمُؤَدَّبِ .

لَا تَنَفَّأ وَإِنْ طُرِدْتَ ، وَلَا تَبْرَحْ وَإِنْ رُجِرْتَ : -

إِذَا هَجَرُوا عِزًّا وَصَلْنَا تَذَلَّلًا وَإِنْ بَعَدُوا يَأْسًا قَرُبْنَا تَعَلَّلًا  
وَإِنْ أَغْلَقُوا بِالْمَجْرِبِ أَبْوَابَ وَصْلِهِمْ وَقَالُوا ابْنُدُوا عَنَا طَلَبْنَا التَّوَصَّلًا

(١) هب القلوب بالصعراء التي يضل فيها المسافر . وسبأه : أسره .

(٢) هذا مجز بيت من أشعار الصوفية وصدره :

إذا مرضنا أتيناكم نودكم

(٣) في قرعة الميون : الخير . (٤) العين هنا مجاز عن الحمد .

(٥) أي سحرة فرعون الذين اتهموا موسى .

(٦) النابغة الدبائي صاحب الاعتقاريات الطويلة إلى النيهان بن للنفر ملك الحيرة .

(٧) أي خضوع الناقة الجرباء لمن يظلمها بالهنا لتبرأ .

وإن منعونا أن نَجُوزَ بأرضهم ولم يسموا الشكوى وردُّوا التوسُّلاً  
أَشْرَنا بتسليم وإن بُعدَ اللدى إليهم وكلفنا الرياحَ لِتَحْصَلَ<sup>(١)</sup>

الكلام على قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع »<sup>(٢)</sup>

تتجافى أى ترتفع . والآية فى قُوم الليل .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن معاذ بن جبل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم :  
« تتجافى جنوبهم عن المضاجع » قال : قيام العبد من الليل .

قال أحمد : وحدثنا علي بن عبد الله بسنده عن أبي سعيد الخدرى قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة يضاعف الله إليهم : رجل يقوم من الليل ،  
والترم قد صَفَّوا للصلاة ، والقوم إذا صَفَّوا للقتال »<sup>(٣)</sup> .

قال أحمد : وحدثنا رَوْحٌ وعفان ، قال : أنبأنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا عطاء  
ابن السائب ، عن مَرْثَةَ عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عَجِبَ  
ربنا من رجلين : رجلٌ ثار عن وِطْأته ولحافه من بين حِجِّيه وأهله إلى صلاته فيقول  
ربُّنا : يا ملائكتى انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ولحافه من بين حِجِّيه وأهله إلى  
صلاته رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى . ورجل غزا فى سبيل الله عز وجل فانهزم فلم  
ما عليه فى الفرار وماله فى الرجوع فرجع حتى أهرق دمه فيقول الله عز وجل : انظروا  
إلى عبدي رجع رغبةً فيما عندى ورهبةً مما عندى حتى أهرق دمه »<sup>(٤)</sup> .

وروى أبو أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عليكم  
بقيام الليل فإن دأبَ الصالحين قبلكم وهو قُرْبَة إلى ربكم ومفخرة لسيئاتهم »  
عن الإمام .

(١) ١ : التحمل . (٢) سورة الجعدة ١٦ . (٣) مسند أحمد ٤ / ٨٠ .

(٤) مسند أحمد ١ / ٤١٦ .

وقال الحسن البصري : لم أجِد من العبادة شيئاً أشدَّ من الصلاة في جوف هذا الليل .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : فينا نزلت مباشرة الأنصار : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » كنا نصلى المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلى المشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم .

\* \* \*

واعلم أن السلف كانوا في قيام الليل على سبع طبقات

الطبقة الأولى : كانوا يُحْيُونَ كُلَّ الليل ، وفيهم من كان يصلى الصبح بوضوء المشاء . وكان ابن عمر يحى الليل . ومن القوم سعيد بن المسيب وصفيان بن سليم المدائني ، وفضيل بن عياض ، ووهيب<sup>(١)</sup> ابن الورد المكي ، وطاوس ووهب ابن منبه اليماني ، والربيع بن خثيم والحكم الكوفي ، وأبو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشامي ، وأبو عبيد الله الخواس وأبو عاصم البغدادي ، ومنصور ابن زاذان وهشيم الواسطي ، وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني الفارسي ، ومالك ابن دينار وسليمان القيبي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصري .

الطبقة الثانية : كانوا يقومون شَطْرَ الليل ، منهم عبد الله بن عباس . قال ابن أبي مليكة : سمعته وكان يقوم شَطْرَ الليل يُكثِّرُ في ذلك والله التسبيح .

الطبقة الثالثة : كانوا يقومون ثُلثَ الليل . وفي الصعيحين من حديث عبد الله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أحبُّ الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام سدسه<sup>(٢)</sup> » .

---

(١) في قرة السيون : وهشيم بن الورد .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأنبياء . وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٨٨ ، ١٨٩ .

وفي حديث عمرو بن عبّسة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكن .

وروى أن داود عليه السلام قال : يارب أي ساعة أقوم لك ؟ فأوحى الله عز وجل إليه : لا تقم أول الليل ولا آخره ، ولكن قم في وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك<sup>(١)</sup> وارفع إلى حوائجك .

وسأل داود عليه السلام جبريل عليه السلام : أي الليل أفضل فقال : ما أدرى ، إلا أن العرش يهتز في السحر<sup>(٢)</sup> .

الطبقة الرابعة : كانوا يقومون سُدس الليل أو ثُمسه .

الطبقة الخامسة : كانوا لا يراعون التقدير ، وإنما كان أحدهم يقوم إلى أن يغلبه النوم فينام ، فإذا انتبه قام . قال سفيان الثوري : إنما هي أول نومة فإذا انتبهت فلا أقبلها .

الطبقة السادسة : قوم كانوا يصلّون من الليل أربع ركعات أو ركعتين . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «صلُّوا من الليل ولو أربعاً صلُّوا ولو ركعتين» . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصلِّيا جميعاً ركعتين كُتِبَا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات<sup>(٣)</sup> » .

الطبقة السابعة : قوم يُحْيُونَ ما بين المشايين ويصلُّون في السحر فيجمعون بين الطرفين .

(١) يحمل ذلك كله على المجاز . وليس لهذه الأخبار طريق يستند به .

(٢) سنن أبي داود كتاب الوتر باب ١٣ . وسنن ابن ماجه كتاب الإقامة باب ١٢٥ .

(٣) البصرة ٢١ / ٢

وفي أفراد مسلم من حديث جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يأل الله فيها خيراً إلا آتاه إياه وذلك كل ليلة <sup>(١)</sup> » .

ومن أراد قيام الليل فلا يكثر من الأكل والشرب ولا يمتب أعضاءه في النهار بالكثرة ولا يعمل معصية ، ويستعمل بالقيلولة .

وأما آداب الباطن : فإن يكون القلب سليماً للمسلمين ، ولا بد له من خوفٍ مُقلقٍ أو شوقٍ مُزججٍ .

كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقل ثم يقول : اللهم إن جهنم لا تدغى أنام فيقوم إلى مُصلّاه .

وكان طاووس يفرش فراشه ثم يضطجع فينقل كما تنقل الحبة على اقل ثم يشب فيعطر ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول : طبر ذكر جهنم نوم المابدين !

وقالت بنت الربيع بن خثيم ه : يا أبت مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام فقال : يا بنية إن أباك يخاف التبيات <sup>(٢)</sup> .

وقالت أم عمر بن المذكدر : يا بني أشتى أن أراك نائماً . فقال : يا أماء والله إن الليل ليرد على فيهنوى فينفض عني وما قضيت منه أربى .

وكان ربيعة المابد يقوم فيصلي ليلاً طويلاً فإذا كان السحر نادى بأهل صوته : يا أيها الركب للمرسون أكل هذا الليل ترقدون ألا تقومون فترحلون .

فيسمع من هاهنا باله ومن هاهنا دلع ومن ههنا مقوسى ؟ فإذا طلع الفجر نادى بأهل صوته يقول : عند الصباح يحمّد القوم الشرى .

(١) صحيح مسلم كتاب المسافرين حديث رقم ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) البيات : الأخذ على فرة .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن أحمد بن أبي الحواري قال : دخلت على أبي سليمان وهو يبكي فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال لي : يا أحمد ولم لا أبكي وإذا جنّ الليلُ ونامت الميرون وخلا كلُّ حبيب بحبيبه ، وافترش أهلُ الحجة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وقطرت في محاريبهم ، أشرف الليلُ سبعمائة ومائة فنادى جبريل : بعيني من تلذذ بكلامي فلم لا تنادي فيهم : ما هذا البكاء ؟ هل رأيتم حبيباً يعدب أحبابه ؟! أم كيف يتحمل بي أن أعذب قوماً إذا جنّهم الليلُ تملقوني ؟ في حلفت إذا وردوا عليّ في القيامة لأكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا إلىّ وأنظر إليهم .

وقال أحمد بن أبي الحواري أيضاً : سمعت أبا سليمان يقول : بينا أنا ساجد ذهب بي النوم فإذا أنا بمحوراء قد ركضتني رجلها وقالت : حبيبي أترقد وتلك يقظان ينظر في المهجدين في تهجدهم ! يؤسأ لمين آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ وأقي المحيئون بمضمهم بمصاًفاً هذا الرقاد حبيبي وقرة عيني ؟ أترقد عيناك وأنا أربّي لك في الخدود ؟ فوثبت فزعاً وقد عريت استحياء من توبيخها إياي وإن حلالة منقطتها لي سمى وقلبي .

\* \* \*

وكان أبو بكر رضى الله عنه قصير أمله يوتر أول الليل وهو لتأميل الخدمة يؤخره إلى آخر الليل . وعثمان يتعبد في آناه الليل . وعلى يستغفر في أواخر الليل . قام النوم على أقدام « قم الليل » فيان في النوم سر « وحللك في الساجدين » لولا قيام تلك الأقدام ما كان <sup>(١)</sup> يؤذى حتى « هل من سائل » وإغافين عما نالوا ، لقد ملّم عن التقى وما مالوا ، قاموا في غفلات الرافدين صوبوا بجزاء لم يطلع عليه الخير غيرهم .

(١) قرة الميرون : من كان يؤدى .

ما أطيب أملهم في النجاة ، ما أقربهم من طريق النجاة ، ما أفلّ ماتمبوا وما أبسر  
ما نصبوا ، وما كان إلا القليل ثم نالوا ما طلبوا ، لو ذاق الفاسل شراب أنسهم في  
الظلام أو سمع الجاهل صوت حنينهم في القيام ، وقد نصبوا لِمَا انتصبوا له الأقدام ،  
وترنّموا بأشرف الذكر وأحلى الكلام ، وضربوا على شواطئ أهار الصدق الخيام ،  
وركزوا على باب اليقين بالحق الأعلام ، ورّموا مطايا الشوق إلى دار السلام ، وسارت  
جنود حبّهم والناس في الفلة نيام ، وشكّوا في الأسعار ما يلقون من وقّع الغرام ،  
ووجدوا من لذة الليل ما لا يحظر على الأوهام ، وإذا أسفر النهار تلقّوه بالصيام وصابروا  
المواجر بهجر الشراب وترك الطعام ، وتدرّعوا دروع التقى خوفاً من الزلّ والآثام ،  
فنورهم يُنجل شمس الضحى ويُرّى<sup>(١)</sup> بذرّ النّام ، فلاجلهم تُنبت الأرض ومن جرّام  
يجرى النّام ، وبهم يسامح الخطّاءون ويصْفَح عن أهل الإجرام ، فإذا نازلهم الموتُ  
طاب لهم كائن الجّام ، وإذا دفنوا في الأرض غرّت بحفظها تلك المقام ، فعل الدنيا  
إذا ماتوا من بعدهم السلام .

تتغافى جنوبهم	عن قديد الضاجر
كلهم بين خائف	مُتَجِيرٍ وطامر
تركوا لذة الكرى	للميون المواجر
ورعوا أنجم الدجى	طالماً بعد طامر
واستهلت دموعهم	بانصباب الدّامر
فأجيبوا إجابةً	لم تقع في اللامر
ليس ما تَصْنُونه	أو ليأتى بضامر
تاجرون بطاعتي	ترجّحوا في الميضامر

(١) الأمل : ويؤذى . وما أتيت عن مرة الميون ٢ / ٨٨ .



وابذلوا لى نفوسكم إنيها فى ودائى<sup>(١)</sup>

\* \* \*

لو رأيت رياح الأسجار تحرك أشجار القلوب فتقع غمار الحبة !  
بالدة خلوتهم بالحبيب ، يا وفور نصيهم من ذلك النصيب

هبتُ رياحُ وصالم سحرا	لحدائق الأشواق فى قلبى
واهنز عود الوصل من طرب	وتساقطت نمر من الحب
ومضت خيول الهجر مادية	مطرودة بساكر القرب
وبدت شمس الوصل خارقة	بشاعها لسرافق الحجب
وصفا لنا وقت أضاء به	وجه الرضا عن ظلمة المتب
وبيت ما شئ أشاهد	إلا ظننت بأنه حبي

السجع على قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع »

لو رأيتهم بين ساجد وراكع ، وذليل مخول متواضع ، ومنكسر الطرف من  
الخوف خاشع ، فإذا جن الليل حن الجازع « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .  
نفوسهم بالهبة علقت ، وقلوبهم بالأشواق فلفت ، وأبدانهم للخدمة خلقت ،  
يقومون إذا انطبقت أجفان الهاجع : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .  
يبادرون بالممل الأجل ، ويجهدون فى سد الخلل ، ويمتدرون من ماضى الزلل ،  
والدمع لهم شافع « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .

سبق واقفه القوم ، بكثرة الصلاة والصوم ، فإذا أقبل الليل حاربوا النوم والمزّم<sup>(٢)</sup>  
فى الطوالع « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .

(١) الفرة : من ودائى . (٢) مرة الهوى : والمزّم .

ينادى منادى تأنيبهم: لا أعود ، والمنعم ينعم بالقبول ويمجود ، هم والله من السكون المنصود ، فما حيلة الطرود والمعطى مانع « تتجاف جنوبهم عن المضاجع » .  
كن يا هذا رفيقهم ، وأنج وإن شقّ مضيقهم ، واسلك ولو يوماً طريقهم فالطريق واسع « تتجاف جنوبهم عن المضاجع » .

أهجر بالنهار طيب الطعام ، ودع في الدجى لذيق المنام ، وقل لأغراض النفس :  
سلام ، والله يدعو إلى دار السلام ، فأيقيد السامع « تتجاف جنوبهم عن المضاجع » .  
يا من يرجو مقام الصالحين ، وهو مقيم مع الفالسين ، وبأمل منازل المقربين ، وهو ينزل مع الذننين ، دع هذا الواقع . الصدق الصدق فيه تسلّم ، الجِدّ الجِدّ فيه تَنفَم «  
البِدَار البِدَار قبل أن تتدّم ، هذا هو الدواء النافع « تتجاف جنوبهم عن المضاجع »  
والله أعلم .

## المجلس التاسع

### في ذكر الأمر بالمعروف

الحمد لله مدبر الليالي والأيام، ومصرف الشهور والأعوام، المنفرد بالكمال والتمام، الملك القدوس السلام، تنزهه جلالة عن دَوْك الأفهام، وتعالى كماله عن إحاطة الأوهام، ليس بمجسم فيشبه الأجسام، ولا بمتجوف فيحتاج للشراب والطعام، ارتدى برداء الكبرياء والإعظام، وأبصر ما في بواطن المروق ودواخل المقام، وسمع أخفى القول وألفظ الكلام، لا يعزب عن سمعه صريف الأقلام، ولا ينق على بصره ديب النمل تحت سجب الظلام، إله رحيم عظيم الإنعام، ورب قدير شديد الانتقام، قدر الأمور فأحسن إحكام الأحكام، ومصرف الحكم في فنون التقص والإبرام، بقدرته هبوب الريح وتسيير الغمام، « ومن آياته الجوارى في البحر كالأعلام »<sup>(١)</sup>.

أحمد هذا يبق على الدوام، وأقر بوجدانيته كافراً بالأصنام. وأصل على رسوله محمد شفيع الأنام، وعلى صاحبه أبي بكر أول سابق إلى الإسلام، وعلى عمر الذي كان إذا رآه الشيطان هام، وعلى عثمان الذي أنهض جيش الصرة بنفخته وأقام، وعلى علي البحر الغمام<sup>(٢)</sup> والأسد الضرمام، وعلى مه العباس أبي الخلفاء الأعلام.

\*\*\*

اعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل الدين، فإنه شغل الأنبياء، وقد خلفهم فيه خلفاؤهم، ولولاه شاع الجهل وبطل العلم. أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو يسلطن الله شراًركم على خياركم فيدمروا خياركم فلا يستجاب لهم »<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الشورى ٣٢ (٢) النظامط : العظيم الأمواج . وفي مرة السيون المنضم .

(٣) سنن أبي داود كتاب اللام باب رقم ١٧ وسنن الترمذي كتاب اللقي باب رقم ٩ .

أخبرنا علي بن عبد الله بسنده عن جرير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« ما من قومٍ فيهم رجلٌ يعمل بالمعاصي وهم أعزُّ منه وأمنع لا يغيِّرون إلا أصابهم  
الله بمقاب » (١) .

واعلم أنه قد اضمحَلَّ في هذا الزمان الأمر بالمعروف حتى صار المعروف منكرا  
والمُنكر معروفاً ، وهذا زمن قوله عليه الصلاة والسلام : « بدأ الإسلام غريباً وسيُعود  
كما بدأ » (٢) .

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً للمُنكر والسكت عن الإنكار .  
أخبرنا ابن الحُصَيْن بسنده إلى عامر قال : سمعت النعمان بن بشير يخطب - وأوماً  
بإصبعه إلى أذنيه - : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن مثل القائم على  
حدود الله والواقع فيها واللداهن فيها مثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها  
وأوعرها وشَرها ، وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء  
مرؤوا على من فوقهم فأذَّوهم ، فقالوا : لو خرَّقتنا في نصيبنا خرَّقا واستقيننا منه ولم نُؤذ  
من فوقنا ، فإن تركوهم وأمرَّهم هلَكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجَّوا جميعاً » .  
أخرجاه في الصحيحين (٣) .

واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الخلق .  
وفي أفراد مسلم من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من  
رأى منك منكراً فاستطاع أن يغيِّره بيده فليقبل ، فإن لم يستطع يبيِّده فليسلاته فإن لم  
يستطع فليقلبه وذلك أضعف الإيمان » (٤) .

(١) سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب رقم ٢٠ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٢٢ .

(٣) صحيح البخاري كتاب العركة باب ٦ وصحيح الترمذي كتاب الفتن .

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٧٨ .

وفي حديث أبي حميد أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل : ما أفضل الجهاد ؟ فقال : « كلمة عدل عند سلطان جائر »<sup>(١)</sup> .

وقال الشافعي رحمه الله : أشد الأحوال ثلاثة : الجود من قلة ، والورع في خلة وكلمة حق عند من يُرجى ويخاف .

وفي حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا رأيتم أمي تهاب الظالم أن تقول له أفت ظالم فقد تودّع منهم »<sup>(٢)</sup> .

وفي حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن من كان قبلكم كانوا إذا همل العامل منهم بالخطيئة نهاه الناهي تنذيرا ، فإذا كان الله جلالة وواكله وشاربه كأنه لم يره على خطيئته بالأمس ، فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لسان داود وعيسى بن مريم ، والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفية فتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كاللعنهم »<sup>(٣)</sup> .

وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله عز وجل بعقابه »<sup>(٤)</sup> .  
وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعوا خياركم غللا يستجاب لهم » .

---

(١) سنن أبي داود كتاب اللام بباب رقم ١٧ وصحيح الترمذي كتاب الفتن باب ١٣ . ومنه أحمد ٣ / ١٩ / ٦٦ .

(٢) مسند أحمد ٣ / ١١٣ ، ١٩٠ .

(٣) أخرجه نحوه الترمذي في كتاب التفسر سورة اللائف وأبو داود في سننه كتاب اللام باب ٩٧ .

وابن ماجه في كتاب الفتن من سننه باب ٢٠ .

(٤) صحيح الترمذي كتاب الفتن .

قال مالك بن دينار: قرأت في التوراة: من كان له جار يعمل بالمعاصي فلم يَنْهه فهو شريكه .

وقال مسمر: أمر ملك أن يخسف بقرية فقال: يارب فيها فلان العابد . فأوحى الله تعالى إليه: أن به قابلاً فإنه لم يشمّر<sup>(١)</sup> وجهه في ساعة قط .

\* \* \*

وينبغي للآمر بالمعروف أن يُلطف فقد قال الله تعالى: « فُتُورًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا<sup>(٢)</sup> » .  
ومر أبو الدرداء برجل قد أصاب ذَنْبًا وكانوا يسبُّونه فقال لهم: أرايتم لو وجدتموه في قَلْب<sup>(٣)</sup> لم تكونوا مُستخرجيه ؟ قالوا: بلى . قال: فلا تسبُّوا أخاكم واحدوا الله الذي عاقاكم . قالوا: أفلا تُبْفِضْهُ ؟ قال: إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخى .  
ورأى محمد بن المنكدر رجلاً يكلم امرأة في موضع خَرَب فقال: إن الله تعالى يراكم استرنا الله وإياكم .

أخبرنا ابن ناصر بسنده عن ثابت البناني قال: كان صلة بن أشيم<sup>(٤)</sup> يخرج إلى الجبَّان فيتعبد فيها وكان يمر على شباب يلمهون ويلعبون فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فحادوا بالنهار عن الطريق وناموا بالليل متى يقطعون سَفَرهم ؟ فكان كذلك يمر بهم فيعظمهم ، فربهم ذات يوم فقال لهم ذات يوم هذه المقالة ، فقال شاب منهم: يا قوم إنه والله ما يَفُتَى بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نَلْمُو وبالليل ننام ثم اتَّبِع حِلَّة فلم يزل يختلف معه إلى الجبَّان ويتعبد معه حتى مات .

ومرَّ بِصِلَّة بين أشيم فتى يجرّ ثوبه فهمَّ أصعابُ حِلَّة أن يأخذوه بالسَّنْهم أخذًا شديدًا فقال صلة: دَعُونِي أُكْفِكُمْ أَمْرَهُ . ثم قال له: يا بن أخى إن لى إليك حاجة .

(١) لم يشمّر: لم يتغير من الغضب على من يقارنون المنكر .

(٢) سورة طه ٤٤ . (٣) القليب: البئر .

(٤) صلة بن أشيم المدوني يكنى أبا الصبَّاء أخبره في صفة الصفوة لابن الجوزى ٣ / ١٣٩ .

قال : وما هي ؟ قال : أحب أن ترفع إزارك . قال : نعم ونُعَمِّي عين ا فرفع إزاره .  
فقال صلة لأصحابه : هذا أمثل مما أردتم لو شتمتموه وأذيتموه لثمتكم .  
وقال سليمان التيمي : ما أغضبت أحداً فقبل منك .

وقال فتح بن شخرف<sup>(١)</sup> : تطلق رجل بامرأة ومعه سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره  
وكان شديد البدن ، فبينما الناس كذلك والمرأة تصبح مرء بشراً الحارث فدنا منه  
وحك كفته بكتف الرجل ، فوقع الرجل إلى الأرض وموت المرأة ومر بشر ، فدنوا  
من الرجل وهو يرشح عرقاً فسألوه : ما حالك ؟ فقال : ما أدري ولكن حاكني شيخ  
وقال : إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل . فضمفت لقوله وهيته هيبة شديدة  
لا أدري من ذلك الرجل . فقالوا له : ذاك بشر بن الحارث . فقال : واسوء أناه كيف  
ينظر إلى بعد اليوم ! وحُمَّ من يومه ذلك . ومات يوم السابع .

\*\*\*

وينبئ للآمر بالمعروف أن يتحذر من فعل ما نهى عنه وترك ما أمر به .  
فقد أخبرنا عبد الأول بسنده عن أمانة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : « يجيء بالرجل يوم القيامة فيُلْقَى في النار فتندلق أفتابُ بطنه في النار فيدور  
كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك ، أليس  
كنت تأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيسه  
وأنهاكم عن المنكر وآتته » .  
أخرجاه في الصحيحين<sup>(٢)</sup> .

(١) فتح بن شخرف بن داود بن زاعم أبو نصر الكشي له ترجمة في صفة الصفوة ٢ / ٢٢٧ .

(٢) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ، وصحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم ٥١ . ومسنود

واعلم أنه إذا هُذِبَ الأمرُ نفسه أُرْقِوْهُ إما في زوال المنكر أو في انكسار  
للمذنب أو إلقاء الهيبة له في القلوب .

خرج إبراهيم الخواص لإنكار منكراً فنبح عليه كلبٌ فما قَدَرَ على الوصول  
إلى مكان النكر، فرجع إلى مسجده وتفكَّر ساعة ثم قام فجعل الكلب يتبصَّبُص حوله  
ولا يؤذيه حتى أزال للنكر، فمثل مما جرى له فقال : إنما نبح على إفسادٍ دخل علىَّ  
في عقْدِ يني وبين الله عز وجل فلما رجعت ذكرته فاستغفرت .

### (الكلام على البسلة)

يُسْرُ بِصَفْوِ عَشْتِهِ الْجَهْلُولُ	وَتُعْجَبُ الْإِقَامَةُ وَالْخُلُولُ
وَدُونُ مَقَامِهِ حَادٍ حَنِثٌ	عَنِيفُ السَّوْقِ وَالْمَوْتُ السَّبِيلُ
سَبِيلٌ مَا تَوَجَّهَ فِيهِ سَفَرٌ	فَكَانَ لَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا قُفُولُ
طَرِيقٌ يَسْتَوِي لِلْخَلْقِ فِيهِ	مَسَالِكُهُمْ وَيَتَخْتَلَفُ الْمُتَعِيلُ
تَفَرُّهُمْ زَخَارُفُ دَارِ دُنْيَا	غَوَائِلُهَا بِمَعْنَمِهِمْ تَمُولُ <sup>(١)</sup>
تَطْلُوفُ عَلَيْهِمْ بِكَؤُوسِ لَهْوٍ	وَمَزَجُ كُؤُوسِهَا الدَّاءُ الدَّخِيلُ
وَنُصْفَلُ وَجْهَيْهَا لَهُمْ خِدَاعًا	وَمَحَتْ صَقَالُهَا السَّيْفُ الصَّغِيلُ

\* \* \*

يا هذا قد صانك بالحلال فلا تبذل ، وبالقناعة فلا تدل ، وطهرك من الأدناس  
فلا تقوسخ ، ودعاك إلى الأرباح فلا تتوقف ، ويحك إذا خدَمْتَ الدنيا رأت نفسها  
فقدلَّت ، وإذا أعرَضَتْ عنها عرفت قَدْرَها فتدلَّت ، « اخدُمِي مَنْ خَدَمْنِي واستخدِمِي  
مَنْ خَدَمَكَ » . يا جامع الدنيا لغيره تجعاً بموقه عن سيِّره .

ماذا تُؤْمَلُ لا أبالك في مالٍ نموت وأنت تُسَكُّهُ

(١) اللهم : الحرب . وتمول : تغلب ، أي أن غوائل الدنيا وآفتها تزيد على أهوال الحروب .



أُنْفِقْ فَإِنَّ اللَّهَ يُخْلِفُهُ لَا تَمْنَحِ مَذْمُومًا وَتَتْرَكُهُ  
مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهِ قَطْعٌ مَنَفْعَةٌ مِمَّا جَمَعْتَ فَلَسْتَ تَمْلِكُهُ

\*\*\*

يا هذا : إنما فضّل الماقل لنظرة في المواقب ، فأما من لا يرى إلا الحاضر فطِفْلٌ :  
تَصْنُو الحياةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ حَمَامِ مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ  
وَلَنْ يَضِلَّ فِي الْحَقِيقَةِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طِمَعُ الْحَالِ فَتَنْتَبِهُ  
قَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ كَأْسًا لَا يُشَبِّهُ الْكَؤُوسَ ، مَوْتُ بَسْبِ الْأَرْوَاحِ وَيَخْتَلِسُ النَّفُوسَ ،  
وَرَحْلَةٌ لَا تَدْرِي بِالْأُمُودِ أَوْ بِالنَّحُوسِ ، إِلَى لَحْدٍ ضَيِّقٍ وَغَرٍّ مَا مَهَّدَتْهُ الْفُؤُوسُ ، تُحْطُّ  
فِيهِ ذَلِيلًا وَأَنْتَ مَحْذُوبٌ مَدْكُوسٌ ، لَا يُشَبِّهُ الْمَطَامِيرَ <sup>(١)</sup> وَلَا يُجَانِسُ الْحُبُوسَ ،  
الَّذَرِ فِيهِ فِرَاشٌ وَالتَّرَابُ فِيهِ لَبُوسٌ ، أَرَى يَكُونُ لَكَ رَوْضَةٌ أَوْ يُشَبِّهُ النَّامُوسُ <sup>(٢)</sup> ،  
كَمْ حِجَّةٌ بَلَقَتْ ذَلِكَ الْمَلَقَى الْزَمُوسَ <sup>(٣)</sup> ، رَفَقًا إِذَا وَطِئْتَ الْأَحْدَاثُ فَالْأَجْدَاثُ تَدُوسُ ، ثُمَّ يَنْفَخُ  
فِي الصُّورِ فَتُطِيرُ إِلَى الْأَكْفِ الطُّرُوسُ ، وَتُجَنِّي ثَمَارَ الْجَزَاءِ بَوْمَتِذْنٍ قَدِيمِ الْفُرُوسِ ،  
وَتَشْتَدُّ الشَّدَائِدُ فِي قَمْطَرِيرِ عُبُوسٍ ، وَتَنْزِلُ الْعَتَاةُ الْجَبَابِرَةُ لِلْمَفْطَرِيسُونَ الشُّوسُ ،  
وَيَقْسَاوِي فِي الْخُضُوعِ الْأُنْبَاعُ وَالرُّوسُ ، وَتُقَسِّمُ بَيْنَ الْخِلَاقِ خَلِيعَ السُّعُودِ وَمَلَابِسِ  
النَّحُوسِ . وَاعْبِجَا بِجُلُودِ ذَهْنِكَ وَأَنْتَ فِي الْإِعْرَاضِ تَنُوسُ <sup>(٤)</sup> ، كَمْ يَهْزِجُ وَرَمَلٌ <sup>(٥)</sup>  
وَكَمْ تُجَلِّيُ عَلَيْكَ عُرُوسُ ، أَهَذَا الَّذِي نَسَمُهُ كَلَامُ الْخَالِقِ أَوْ صَوْتُ الثَّاقُوسِ ، لَأُمُوتَرَا  
شِهْوَةً لِحَلْفَةٍ تُجَنِّي لَهُ حَرَبَ الْبُوسِ ، لَأَمِنْ قَدْ غَلَبَ الْأَطْبَاءُ دَوَائِهِ أَمْرِيضُ أَنْتَ أَمْ  
تَمْسُوسُ ، تُعْنَى بِمَلَاجِكِ « بَقَرَاطٍ » وَتَحْمِيرُ « جَالِينُوسِ » ، سَبْعَانِ مِنْ خَلْقِ قَلْبِكَ

(١) الْمَطَامِيرُ : الْهَفَائِزُ تَحْتَ الْأَرْضِ .

(٢) الْأَصْلُ : الْبَاوُوسُ . وَالنَّامُوسُ : الْعُرْكَ - يَنْفَخُ الرَّاوِي - وَهُوَ الْمَفْرَةُ تَحْفَرُ لِبَعِ فِيهَا الْعَبِيدُ .  
وَهُوَ أَيْضًا : عَرَبِيَّةُ الْأَسَدِ .

(٣) لِلرُّمُوسِ : الْقِدَى الَّتِي فِي رِمَسِهِ .

(٤) تَنُوسُ : تَتَرَدَّدُ وَتَتَقَبَّبُ . - (٥) وَالرَّمَلُ : الْمَرْوَةُ .

من حجارة ، تعالى الملك القدوس ، واحببا لملكك ! العريض مبذول والعرض محروس ،  
جل هلك مع الدنيا وحظ الأخرى منك مبخوس ، ثوبك جديد صحيح والسكن  
القلب منكوس ، وبلوغ الحنين مُنذر وفي السنين نُصْرَب الكؤوس ، هذا قدر  
النصائح أفاخذك بالدوس .

أنت في دنياك صيفٌ      والتواني منك حيفٌ  
مرّ بالقرّ شتاءً      وأنى بالحرّ صيفٌ  
خاسرٌ منْ نَقْدِهِ      ن تقوم السوق زيفٌ  
فاغتنم أجراً وذكراً      حسناً فالوقتُ سيفٌ

صبح على فرس الجِدِّ وقُدِّ فرس الغايبة ، مجالس الذكر فصول وتعبئة المواعظ  
شربات (١) ، فاصبر على مرارة المركب لعل الأخلاق تحسن .  
واحببا تفيق في المجلس فتنتطق بلفظ توبة كما يفيق الجنون فيتكلم بكلمة حكمة ،  
فإذا عادت السوداء خلطاً

أبفيق من مرضٍ كئيب      إذا جنّ الظلامُ عليه أنا

مضى كان مرض الجسد عن أخلاط مجتمعة سهلت مداواته ، ومضى كان مرض  
الجسد التغير عن فساد في القلب فيا قُرب التلف ، مداواة الدني ممكن ، وأما مداواة  
الجنون فيتعذر .

جمعت لِعِرافِ البَيَامةِ حُكْمَهُ      وعِرافِ نَجْدٍ إِنِّ هَا شَفَيَانِي  
فَقَالَا : شَفَاكَ اللَّهُ وَاللَّهِ مَا لَنَا      بِمَا ضُمْتُ مِنْكَ الصَّلَوحُ بَدَانِ (٢)

حظ قلبك من هذا السلام حظُّ الصدى من تهمك ، علقك على طريقة يتحيز في

(١) كذا بالأصل .

(٢) البيهقي لمروء بن حزام ، وانظر ذم الحموي لابن الجوزي باب ذكر المشتهرين بالشق .

مثلها المداوى ، تسرع في طلب الدنيا لإسراع جواد وأنت في طلب الآخرة جبان . إن لاح لك ذنب وثبت وثب فهد وإن حرصت على طاعة أخذك طالج ابن أبي دؤاد<sup>(١)</sup> .  
خذ الوقت أخذ اللص واسرقه واختلس فوائده قبل النسيان الدواب  
ولا تتعلل بالأمانى فإنها عطاء أحاديث النفوس الكواذب  
ودونك ورد المر مادام صافيا فخذ وتزود منه قبل الشوائب

الكلام على قوله تعالى : « فإذا نفخ في الصور

فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون »<sup>(٢)</sup>

في هذه النفخة قولان : أحدهما : أنها الأولى والثاني : أنها الثانية . والتولان

عن ابن عباس .

وأما الصور فروى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم  
عن الصور فقال : « هو قرن ينفخ فيه » .

وقال مجاهد : الصور كهيئة البوق . وحكى ابن قتيبة أن الصور القرن في لغة قوم  
من أهل اليمن ، وأنشدوا :

نحن نطعنهم غداة الجمعين

بالصامحات في غبار النقعين

نطعنا شديدا لا كتطع الصورين

أخبرنا أبو منصور بن محمد بن عبد الملك بن خيرون بسنده عن أبي هريرة قال :  
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه فقال : إن الله تبارك وتعالى  
لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضع على فيه

(١) له يريد أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد وزير المأمون والصلح .

(٢) سورة المؤمنون ١٠١ .

شخصٌ ببصره إلى الأرض ينظر متى يؤمر. قلت يا رسول الله وما الصور؟ قال: القرآنُ.  
قال: قلت: فكيف هو؟ قال: عظيمٌ والذي يمتنى بالحق إن أعظمَ دائرة فيه كمرض السماء  
والأرض، فينفخ ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع. والثانية نفخة الصعق.  
والثالثة نفخة القيام لرب العالمين عز وجل، فيأمر الله عز وجل لإسرافيل بالنفخة الأولى  
فيقول: انفتح نفخة الفزع فينفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من  
شاء الله، فيأمره فيمدها ويطيها فلا يفتَر وهي التي يقول الله عز وجل: « وما ينظر  
هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من قَواقٍ »<sup>(١)</sup> فيسير الله تعالى الجبال فتصمر مر السحاب  
فتسكون سراباً فتخرج الأرض بأهلها رجاً فتسكون. كالسفينة الموقرة في البحر  
تضربها الأمواج تُسكفاً بأهلها، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجه الأرياح، وهي التي  
يقول الله عز وجل: يوم تَرَجُفُ الراجفة تتجهمها الراجفة. قلوبٌ يومئذٍ واجفة<sup>(٢)</sup>.  
فتמיד الأرض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان،  
وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها  
فترجع، ويؤلى الناس مُسدّرين ما لهم من الله من عاصم ينادى بعضهم لبعض، وهو  
الذي يقول الله عز وجل « يوم التناد »<sup>(٣)</sup> فينادون على ذلك نصدت الأرض فانصدت  
من قطر إلى قطار، فرأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله وأخدم من ذلك الكرب والمولر  
ما الله به عليم، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كاللؤلؤ ثم انشقت فانثرت نجشومها  
وانخسفت شمسها وقرها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والأموات يومئذ لا يملون بشيء من ذلك.  
قال أبو هريرة: يا رسول الله فمن استثنى الله تعالى حين قال: ففزع من في السموات

(١) سورة م ١٥ - (٢) سورة النازعات ٦ - ٨

(٣) وذلك في قوله تعالى: « وياقوم إن أناف عليكم يوم التناد » سورة غافر آية ٣٢

ومن في الأرضِ إلا من شاء الله<sup>(١)</sup> ؟ قال : أولئك الشهداء وقام الله فزعَ ذلك اليوم وأمنهم منه ، وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه يقول الله عز وجل : « إِنْ زُلْزِلَتْ السَّاعَةُ شَيْءٌ لَا عَظِيمَ . يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ<sup>(٢)</sup> » .

فيمكثون في ذلك البلاء ما شاء الله إلا أنه يطول عليهم ، ثم يأمر الله عز وجل إسماعيلَ فينبفخ نفخة الصنق ، فيصق أهلُ السموات والأرضِ إلا من شاء الله ، فإذا اجتمعوا جاء ملك الموت إلى الجبار فيقول : قد مات أهلُ السموات والأرضِ إلا من شئت فيقول الله عز وجل وهو أعلم : - من بقي ؟ فيقول : أئى ربِّ بقيت أنت الحى الذى لا تموت ، وبقيت حملة عرشك ، وبقي جبريل وميكائيل . فيقول : إني كتبت للموت على مَنْ تحت عرشى ، فيموتان ، ثم يأتي ملك الموت فيقول : قد مات جبريل وميكائيل فيقول وهو أعلم : مَنْ بَقِيَ ؟ فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العرش وبقيت أنا فيقول الله عز وجل : فليمت حملة العرش ، فيموتون ويأمر الله تعالى العرش فيقبض القرنَ من إسماعيل ثم يقول : ليمت إسماعيل فيموت . ثم يأتي ملك الموت فيقول : يارب قد مات حملة عرشك فيقول الله عز وجل وهو أعلم : فمن بَقِيَ ؟ فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا . فيقول الله عز وجل : أنت خلق من خلقت خلقك لِمَا رَأَيْتُ فِت . فيموت .

وفي رواية ابن أبي الدنيا : مت ثم لا تحيا .

فإذا لم يبق إلا الله عز وجل طوى السماء والأرض كلتي السجل للكتاب ثم دحاها ثم قال : أنا الجبار ، لن المُلْكُ اليوم - ثلاث مرات - فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه فيقول : لنسنة : لله الواحد القهار .

(١) سورة النمل ٨٧ . (٢) - ورة الحج ١ ، ٢ .

ثم يسط الأرض بسطاً بعدها مدة الأديم لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً ، ثم يزجر الله أخلق زجراً واحدة فإذا هم بالساهرة على ظهرها ، ثم ينزل الله تعالى ماء من تحت العرش كمئ الرجال ثم يأمر السماء أن تمطر فتطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله عز وجل الأجساد أن تنبت كنبات الطرائث أو كنبات البقل ، حتى إذا تكاملت أجسادهم فكأنت كما كانت قال الله عز وجل : لِيَحْيِيَ حُلَّةُ الْعَرْشِ فَيَحْيَوْنَ فَيَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ فَيَأْخُذُ الصُّورَ فَيُضَمُّهُ عَلَى فِيهِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عز وجل : لِيَحْيِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ . فَيَحْيِيَانِ ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ عز وجل الأرواحَ فيؤتى بها تنوّهج أرواح المسلمين نورا والأخرى ظلمة ، فيقبضها جميعاً ثم يلقها في الصور ، ثم يأمر إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث ، فتخرج الأرواح كأنها الدُّخُلُ قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الله عز وجل : وعزنى وجلالى لترجمن كل روح إلى جسدها . فتدخل الأرواح في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد ممشى الدَّمِ في الدَّبِغِ ثم تنشق الأرض عنهم سرعاً . فأنا أول من تنشق عنه الأرض فيخرجون منها سرعاً مطمئنين إلى الداعي حفاة عراة غرلاً ، ثم يقفون مقدار سبعين عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم ، فبكون حتى تنتطعم الدموع ، ثم تدممون دماً ، وتفرقون حتى يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم أو يبلغ الأذقان ، فتصيحون وتقولون : مَنْ بَشَعْنَا إِلَى رَبِّنَا عز وجل فيقبض بيننا فتقولون : من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام ، خلفه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلّمه قبلاً ، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأتى ويقول . ما أبا بصاحب ذلك فيستقرّون الأنبياء نبيّاً نبيا كلّا جاءوا نبيّاً أبى عليهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى يأتوني فأطلق معهم حتى آتني قدام العرش فأخرت ساجداً حتى يبعث الله تعالى ملكاً فيأخذ بمعضدي فيرفني ويقول لي : يا محمد . فأقول : نعم يا رب . فيقول : ما شأنك ؟ وهو أعلم فأقول : يا رب وعدتني

الشَّعَاعَةَ . فَشَفَعْنِي فِي خَلْقِكَ وَأَقْضِ بَيْنَهُمْ . فيقول : قد شفقتك . فأرجع فأقف مع الناس ، غيبنا نحن وقوف إذ سمعنا حسداً من السماء شديداً فها نحن ، فينزل أهلُ سماء الدنيا فيأخذون مصافهم ، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل من نزل من الللائكة ومثل من فيها من الجن والإنس حتى يأخذوا مصافهم ، حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى في ظلل من النعام ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة ، أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرض إلى جبرم والعرش على مناكبهم لهم زجل من نسيبهم ، يقولون : سبعان ذى العزة والجبروت ، سبعان ذى الملك ولللكوت ، سبعان الحى الذى لا يموت سبعان الذى يعمت الخلق ولا يموت ، شُبُوحُ قُدُوس ، سبعان ربنا الأعلى رب الللائكة والروح فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه ثم يقول : يا معشر الجن والإنس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا اسمع قولكم وأنظر أعمالكم ، فأنتصتوا ، فأما هي أعمالكم وصعفتكم نقرأ عليكم ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عتق عظم ثم يقول الله عز وجل : « وامتازوا اليوم أيها المجرمون . ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين » إلى قوله : « هذه جهنم التى كنتم توعدون »<sup>(١)</sup> فيميز الله الناس وتنجس الأمم ، فيقضى بين خلقه إلا الثقلين الجن والإنس فيقضئ الله بين الوحش والبهائم ، حتى إنه ليقيد الجبابرة من ذات القرن ، فإذا لم تبق تبعه عند واحدة لأخرى يقال لها : كوفى ترابا فعند ذلك يقول الكافر : « يا ليتنى كنت ترابا » .

فيقضئ الله بين العباد ، فيكون أول ما يقضى فيه الدماء فيأمر الله كل من قُتل فيجعل رأسه تشعب أوداجه ، فيقول : يا رب سل هذا فم قَتائى ؟ فلا تبقى نفسٌ قتلها قاتل إلا قُتل بها ولا مظلة ظلم بها إلا أخذ بها ، وكان في مشيئة الله عز وجل

إِن شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِن شَاءَ رَحِمَهُ ، ثُمَّ يَقْضَى بَيْنَ مَنْ بَقِيَ مِنْ خَآئِنِهِ حَتَّى لَا تَبْقَى مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا أَخَذَهَا الْمَظْلُومُ مِنَ الظَّالِمِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَكْلِفُ شَايِبَ اللَّيْلِ بِالْمَاءِ ثُمَّ يَبِيعُهُ أَنْ يَخْلُصَ اللَّيْلَ مِنَ الْمَاءِ ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ نَادَى مُنَادٌ بِسْمِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ فَيَقُولُ : أَلَا لَيْتَ لِحَقِّ كُلِّ قَوْمٍ بِأَكْثَمِهِمْ وَمَا كَانُوا بِمُعِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ عَبْدٌ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا مَثَلَتْ لَهُ الْآلَمَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَئِذٍ مَلَكَائِمًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فَيَتَّبِعُ هَذَا الْيَهُودَ وَيَتَّبِعُ هَذَا النَّصَارَى ، ثُمَّ قَادَتْهُمْ أَهْلَهُمْ إِلَى النَّارِ ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ وَفِيهِمُ النَّافِقُونَ بِدَاهَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذَهَبَ النَّاسُ فَالْحَقُّوا بِأَهْلِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . فَيَقُولُونَ : مَا لَنَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَمَا كُنَّا نَعْبُدُ غَيْرَهُ ، فَيَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ سَاقٍ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ مَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ تَعَالَى فَيَخْرُؤْنَ سُجَّدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَيَخْرُكُ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلَى قَنَاقَةٍ ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ أَضْلَابَهُمْ كَصِيَاحَى الْبَقَرِ ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الصِّرَاطَ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ كَعَدَسٍ السِّفِّ عَلَيْهِ كَلَالِيْبٌ وَخَطَا طَيْفٌ وَحَسَكٌ كَحَسَكِ السَّمْدَانِ ، فَيَمْرُونُ كَطَرْفِ الْعَيْنِ أَوْ كَلَمَحِ الْبَصَرِ أَوْ كَزَرِّ الرِّيحِ أَوْ كَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ أَوْ كَجِيَادِ الرِّجَالِ ، فَنَاجٍ مُسْلِمٌ ، وَنَاجٍ مُخْدُوشٌ ، وَمَسْكُودُوشٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَهَنَّمَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَتَى بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتَحُ فَيَنْتَحِلُ فَإِذَا دَخَلْتُ فَنَظَرْتُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ خَرْتُ سَاجِدًا .

ثم الكتاب بحمد الله تعالى



## فَهْرِسْتُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الموضوع
٥	الجلس الأول في ذكر عاشوراء والحرم
٨	الكلام على البسلة
١١	الكلام على قوله تعالى : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » .
٢٠	الجلس الثاني في ذكر رجب
٢٣	الكلام على البسلة
٢٦	الكلام على قوله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله »
٣٢	الجلس الثالث في ذكرى للعراج
٤٠	الكلام على البسلة
٤٣	قوله تعالى : « سبحانه الذي أسرى بيمهه ليلاً » .
٤٩	الجلس الرابع في ذكر فضائل شعبان
٥١	الكلام على البسلة
٥٤	الكلام على قوله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات » .
٥٩	الجلس الخامس في ذكر ليلة النصف من شعبان
٦٣	الكلام على البسلة
٦٦	الكلام على قوله تعالى : « حم والكتاب المبين » .
٧٠	الجلس السادس لاستفتاح شهر رمضان
٧٧	الكلام على البسلة
٨٠	الكلام على قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام »
٨٧	الجلس السابع لانتصاف شهر رمضان
٩٠	الكلام على البسلة
٩٣	الكلام على قوله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » .

الصفحة	الموضوع
٩٨	الجلس الثامن في ذكر العشر وليلة القدر
١٠٦	الكلام على البسطة
١٠٩	الكلام على قوله تعالى : « سلام هي حتى مطلع الفجر » .
١١٢	الجلس التاسع في ذكر عيد الفطر
١١٥	الكلام على البسطة
١١٨	الكلام على قوله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »
١٢٣	قوله تعالى : « لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .
١٢٦	الجلس العاشر في عشر ذى الحجة
١٣٤	الكلام على قوله تعالى : « ألم تركيف فعل ربك بماذا » .
١٣٨	قوله تعالى : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » .
١٣٨	سجع على قوله تعالى : « إن ربك لبالمرصاد » .
١٤٠	الجلس الحادي عشر في ذكر يوم عرفة
١٤٤	الكلام على البسطة
١٤٧	الكلام على قوله تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا » .
١٤٧	سجع على قوله تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا » .
١٥١	قوله تعالى : « وعلى كل ضامر »
١٥١	قوله تعالى : « يأتين من كل فج محيق » .
١٥٢	قوله تعالى : « ليشهدوا منافع لهم » .
١٥٥	الطبقة الثالثة تشتمل على ذكر خلق ابن آدم والأرض والسموات . فيها ثلاثة مجالس
١٥٧	الجلس الأول يذكر فيه خلق ابن آدم
١٦٣	الكلام على البسطة
١٦٦	الكلام على قوله تعالى : « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » .
١٧٢	الجلس الثاني في ذكر السموات وما فيها
١٨٧	الكلام على البسطة

الصفحة	الموضوع
١٨٩	الكلام على قوله تعالى : « ترى كل أمة جاثية » .
١٨٥	سجع على قوله تعالى : « كل أمة تدعى إلى كتابها »
١٨٦	الجلس الثالث في ذكر الأرض ومجاهاها
١٩٠	الكلام على البسطة
١٩٣	قوله تعالى : « فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » .
١٩٧	سجع على قوله تعالى : « ولن خاف مقام ربه جنتان »
١٩٩	الطبقة الرابعة : تشتمل على فضائل العلم والعملاء ثمانية وعشرون مجلسا
٢٠١	الجلس الأول في فضائل العلم والعمل
٢٠٥	الكلام على البسطة
٢٠٩	الكلام على قوله تعالى : « قال يوم لا تظلم نفس شيئا » .
٢١١	قوله تعالى : « ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون » ،
٢١١	قوله تعالى : « إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون » .
٢١٢	قوله تعالى : « هم وأزواجهم في ظلل » .
٢١٤	سجع على قوله تعالى : « هم وأزواجهم في ظلل »
٢١٤	قوله تعالى : « على الأرائك متكئون » .
٢١٥	سجع على قوله تعالى : « سلام قولا من رب رحيم »
٢١٦	الجلس الثاني في ذكر الطهارة
٢٢٢	الكلام على البسطة
٢٢٤	الكلام على قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة »
٢٢٨	سجع على قوله تعالى : « أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة »
٢٣٠	الجلس الثالث في ذكر الصلاة
٢٣٦	الكلام على البسطة
٢٤٠	الكلام على قوله تعالى : « إن الذين سبقتم من الحسن أولئك منها مبعدون »
٢٤٧	الجلس الرابع في ذكر الزكاة

الصفحة	الموضوع
٢٥١	الكلام على البسلة
٢٦١	المجلس الخامس في ذكر الصيام
٢٦٧	الكلام على البسلة
٢٧٠	سجع على قوله تعالى : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد »
٢٧٢	سجع على قوله تعالى : « عن اليميع وعن الشمال قعيد »
٢٧٢	السجع على قوله تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد »
٢٧٥	سجع على قوله تعالى : « لقد كنت في غفلة من هذا »
٢٧٧	المجلس السادس في ذكر الخلع
٢٨٣	الكلام على البسلة
٢٨٥	الكلام على قوله تعالى : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة »
٢٩١	سجع على قوله تعالى : « يرجون تجارة لن تبور »
٢٩٣	المجلس السابع من الأخوة والصداقة
٣٠١	الكلام على البسلة
٣٠٣	الكلام على قوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم »
٣١٠	المجلس الثامن في ذكر المزة
٣١٦	الكلام على البسلة
٣١٦	الكلام على قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع »
٣٢٥	السجع على قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع »
٣٢٧	المجلس التاسع في ذكر الأمر بالمعروف
٣٣٢	الكلام على البسلة
٣٣٥	الكلام على قوله تعالى : « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون »







